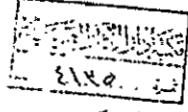


لجنة حفظ الآثار العربية - دار الآثار العربية

كتاب



حَفِيَّاتُ الْفُسْطَاطِ

ألفه ووقف على طبعه ونشره باللغة الفرنسية

المرحوم علي بهجت بك و مسيو أليير جبريل
مدير أرشيتكت حائز لديپوم الحكومة الفرنسية
دار الآثار العربية سابقا ودكتور في الآداب

وتفاه الى اللغة العربية

المرحوم علي بهجت بك

و

محمود عكوش



[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

٥١٣٤٧ - ٢١٩٢٨

فهرست الكتاب

صفحة	كلمة افتتاحية
(ى)	كلمة افتتاحية
(ك)	مقدمة الكتاب
٢	تاريخ التنقيب على آثار الفسطاط
٢	١ - الحالة التي كانت عليها التلال في سنة ١٩١٢
٣	٢ - عملية التنقيب على الآثار من سنة ١٩١٢ - ١٩٢٠
٤	٣ - في اختيار موقع الحفر
٤	٤ - في تحديد التواريخ وفي أصول التلال وتكوينها
٥	٥ - النتائج الأولى لعمليات الحفر
٩	الباب الأول - شيء من تاريخ الفسطاط
٩	١ - بابلون والفتح الاسلامي
١٠	٢ - في تخطيط مدينة الفسطاط
١١	٣ - في تأسيس مدينة العسكر
١٢	٤ - في منشآت أحمد بن طولون وتأسيس مدينة القطائع
١٣	٥ - تأسيس القاهرة وأقول نجم الفسطاط
١٦	٦ - حريق الفسطاط
١٧	٧ - في تاريخ الفسطاط من عهد صلاح الدين الى يومنا هذا
١٩	الباب الثاني - بحث في خطط الفسطاط
١٩	١ - في تنقل ساحل النيل
١٩	(أ) في أيام الفتح
٢٠	(ب) في عصر الخلفاء الفاطميين
٢٠	(ج) في عصر السلاطين من بني أيوب
٢١	(د) في العصر الذي أعقب الدولة الأيوبية
٢١	٢ - في تأسيس الفسطاط وتوزيع خططها على القبائل
٢٣	٣ - الكلام على المدينة الأولى



صفحة	
٢٥	٤ - في حدود الفسطاط والعسكر والقطائع
٢٧	٥ - رسم تقريري يبين مواقع الفسطاط والعسكر والقطائع
٢٨	٦ - في خراب المدينة
٣٠	٧ - في جزيرة الروضة
٣١	الجسران الموصولان بين الروضة وساحل النيل
٣٢	٨ - دار الصناعة
٣٢	٩ - في مينا الفسطاط
٣٣	١٠ - في القرافة
٣٥	الباب الثالث - الخريطة العمومية للفسطاط وهيئتها
٣٥	١ - مميزات عملية التقيب على الآثار في الفسطاط
٣٦	٢ - خريطة الفسطاط العمومية
٣٦	(أ) الشوارع والدروب
٣٧	(ب) هيئة الدروب وخصائصها
٣٨	(ج) أبواب الدروب
٣٨	(د) الرحاب
٣٩	(هـ) طبقة أرض الفسطاط
٣٩	(و) الآبار السابلة
٣٩	٣ - منظر بقايا المدينة
٤٥	الباب الرابع - الدور ذوات الخيشان المتوسطة ووصفها
٤٥	المجموعة الأولى من الدور
٥٥	الدار الثانية
٥٩	الدار الثالثة
٦٤	الدار الرابعة
٦٥	الدار الخامسة
٦٩	مجموعة الدور السادسة والسابعة
٧٢	الدار السادسة
٧٨	الداران السابعة والسابعة «مكرر»
٨١	الدار الثامنة

صفحة	
٨٥	باب الخامس - مميزات الدار التي بوسطها حوش
٨٦	١ - النسب
٨٨	٢ - الاتجاه
٨٨	٣ - مشتعلات الدار
٨٨	(أ) الحوش
٨٩	(ب) الرواق والقاعة
٩٢	(ج) الأواوين
٩٣	(د) باب الدار
٩٣	٤ - الطبقات
٩٥	٥ - الغرف واستعمالها وتقاسم الدار
٩٩	باب السادس - صناعة البناء
٩٩	١ - الأسس
٩٩	(أ) الأسس المبنية بالدهش
٩٩	(ب) الأسس المبنية بالآجر
١٠٠	(ج) البناء بالمدبر (كُل الطين)
١٠٠	٢ - البناء بالآجر
١٠٠	(أ) الآجر
١٠١	(ب) نظام البناء
١٠٢	(ج) الموزن
١٠٢	(د) اللغيمات والبياض
١٠٣	(هـ) القوائم الحجرية
١٠٤	(و) الأربطة
١٠٥	(ز) العقود والأقنية والصفف
١٠٥	٣ - التليط
١٠٦	٤ - المعدات الصحية
١٠٦	(أ) المراحيض
١٠٨	(ب) المجارير
١١٠	(ج) البيارات

صفحة	
١١٣	٥ - نظام توزيع المياه
١١٣	(أ) الآبار
١١٣	(ب) القنوات
١١٤	(ج) الفساق
١١٦	(د) أحواض غسيل الأيدي
١١٧	الباب السابع - قطع من الخزارف
١١٧	١ - الكسوة بالحص
١٢٠	٢ - الكسوة بالحص والآجر
١٣١	الباب الثامن - في العهد الذي ترجع إليه الأبنية التي كشفت من الفسطاق

لما أثمرت مجهودات المرحوم على بهجت بك، في عمليات الحفر باطلال الفسطاق، وظهرت النتائج العملية لهذه المجهودات، بفضل رعاية حضرة صاحب الجلالة الملك "فؤاد الأول" وتشجيعه، أبدى جلالة رغبته السامية في تدوين هذه النتائج، في مؤلف يشمل البحث العلمي فيها من الوجهتين الفنية والتاريخية .

فتحقيقاً لهذه الرغبة السامية، وضع المرحوم على بهجت بك مؤلفاً باللغة الفرنسية أسماه "حفريات الفسطاق"، واشترك معه في وضعه جناب مسيو الير جبريل، أحد نخريجي المدرسة الفرنسية المختصة بدراسة آثار اليونان، الذي سبق له مزاولة التنقيب عن الآثار في جزيرة ديوس وغيرها . وقد قوبل هذا المؤلف عند ظهوره في المجتمعات العلمية بالاستحسان .

ولما كان نشر العلم بين الجمهور، من أجل رغبات حضرة صاحب الجلالة الملك، تفضل حفظه الله، وأصدر نطقه الكريم، بنقل هذا المؤلف الى اللغة العربية ليستفيد الناطقون بالضاد من أبحاثه الأثرية والتاريخية .

فبدأ المرحوم على بهجت بك بتنفيذ الأمر، وعرب قسماً من الكتاب . وقد عنت بعد ذلك وزارة الأوقاف بتمام تعريبه، وعهدت الى دار الآثار أن تقوم بهذا الواجب خدمة للعلم وتحقيقاً لرغبة ملك البلاد . وما هو، بحمد الله، قد تم تعريبه وطبعه، في عهد حضرة صاحب الجلالة الملك "فؤاد الأول" أيد الله ملكه .

كلمة افتتاحية

من المآثر الجليلة والمنة الخالدة في تعضيد البحوث العلمية المقيدة والعناية بنشرها، صدور الارادة الملكية السامية لوزارة الأوقاف بتقل كتاب "حفريات الفسطاط" الى اللغة العربية، وهو الكتاب الذي وضعه أستاذنا وصديقنا فقيده العلم، المرحوم على بهجت بك، بالاشتراك مع جناب مسيو بير جبريل تنفيذاً لرغبة حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك، "فؤاد الأول" حفظه الله، في تدوين المعلومات التي استخلصت من عمليات الحفر والتنقيب في أطلال مدينة الفسطاط . ولقد كان من اهتمام وزارة الأوقاف، بإنجاز هذا العمل الذي بدأه المرحوم على بهجت بك ولم يتمه في حياته، رحمه الله، أن تعهد بإتمامه الى دار الآثار العربية .

وصادف صدور أمر الوزارة في الوقت الذي عينت فيه مديراً لدار الآثار العربية . وكان المرحوم على بهجت بك قد اختار للاشتراك معه في ترجمة قسم من الكتاب، حضرة محمود عكوش افندى الموظف بقسم الآثار العربية بوزارة الأوقاف، بعد أن استبقى لنفسه الأبواب الثلاثة الأولى من المتن . وقد أتم ترجمتها كما أتم عكوش افندى ما كلف به الى آخر الباب السابع، وتمكن من مراجعة ذلك مع المرحوم على بهجت بك .

ثم حالت المنون دون إشتغال المرحوم على بهجت بك بما بقي من الكتاب، وهو الباب الثامن والهوامش .

واذ عهد إلى بإنجاز الكتاب، طلبت القسم المترجم واستصدرت قراراً من لجنة حفظ الآثار العربية بطبع الكتاب على نفقة دار الآثار العربية . وقد وقع الاختيار على مطبعة دار الكتب المصرية . وفي أثناء العمل، أتم عكوش افندى القسم الباقي ووقف على عملية الطبع .

ونرجو أن يجد القراء في هذا الكتاب، وقد انتهى بحمد الله، ما يبيهم في دراسة الآثار والحرص عليها، واستقصاء ما تنطوى عليه من المعلومات الجليلة، والمميزات الخاصة التي تزيدنا معرفة بأعمال السلف .

ولقد كان من عناية ادارة مطبعة دار الكتب المصرية بطبع هذا الكتاب، على هذا الوجه، ما يسوغ لها قبول شكرنا . كما أننا نثبت هنا شكر دار الآثار العربية وامتنانها، للعهد العلمي الفرنسي الذي تفضل جناب مديره العالم الفاضل مسيو بيير بوجيه، بتقديم الحروف اللازمة لطبع الكلمات اليونانية الواردة في المتن .

أدام الله حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك، نصيراً للعلوم والفنون، وأبقاه للأمة المصرية وحفظ أمجادها .

مدير دار الآثار العربية

جاستون قبيت

مقدمة الكتاب

لما كان كشف موقع الفسطاط بتمامه يستدعي عدة سنين وكانت النتائج التي حصلنا عليها حتى اليوم لا يستهان بها، فكرنا في أنه من الممكن الشروع في نشر هذا الكتاب دون انتظار اتمام عملية الكشف .

وسنشرح فيما بعد في بيان الأحوال التي باشرنا فيها هذه العملية، مدة السنين الثمانية التي مضت، ونرجو أن يستمر الكشف على الطريقة الأصولية، والأمل عظيم في أن تأتي أعمال السنين المقبلة بنتائج عظيمة .

وقد وفقنا، حتى اليوم، الى كشف جانب كبير من الفسطاط بما فيه من : دوره، وحواليته، ومخازنه، وحماماته، ومصانعه، وأظهرنا السور الذي أقامه السلطان صلاح الدين فيما بين القلعة والنيل، وحفرنا في سمته جملة حفر للتثبيت من وجوده، هذا من حيث الآثار الثابتة . أما الآثار المنقولة فقد عاد الحفر على دار الآثار العربية بالخير العميم، اذ ضم الى مجموعاتها الكثير من الطرف الأثرية، وأخصها، مجموعة الخزف التي هي فريدة في بابها، ولا شك عندنا في أن بعض هذه المكتشفات يؤدي الى ظهور عدة مباحث تتعلق بمخطيط المدينة وبتاريخ الفنون، وقد أحيينا أن نعجل بتدوين مشاهداتنا الأولية منذ الآن، لأننا نرى أن النتائج الأولى التي حصلنا عليها تكفي على أفرادها، لأن تلقى شعاعاً من النور على أصول الفنون الاسلامية، وتقدم لتاريخ رقيها شواهد جديدة .

مع ذلك نلحشى أن تقدم من الآن قولاً قاطعاً في الموضوع، وان كنا لم تقتصر في الحفر على ما كشفناه من الخطط التي يدور عليها البحث في كتابنا هذا، بل عملنا بعض مباحث متباينة الأهمية في مواقع مختلفة، وذلك لأننا لانزال في حاجة الى اتمام البحث في مناطق أخرى لفتت نظرنا منذ زمن طويل .

ومن ثم يعلم ، أن غرضنا من وضع هذا المؤلف إنما هو جمع جملة شواهد ثابتة لانتفض ، ولم يكن في مقدورنا أن نعيد الأبنية الى أصلها، لأسباب منها : الكيفية التي كانت تتبع في عملية الحفر، والحالة التي وجدت عليها المباني، وقرب العهد بالمسائل التي يدور عليها البحث لحداتها، فلو هممنا بإعادة المباني كأصلها لكان جانب التخيل راجحا في عملنا .

أما فيما عسى العهد الذي شيدت فيه الأبنية التي كشفت، والمصدر الذي أخذت عنه، فإنا نقتصر على سرد الشواهد التي يمكن اعتبارها منذ الآن مقبولة، فإذا ما أتت عقب النتائج الأولى للحفر نتائج متممة لها، يسوغ لنا وقتئذ أن نضع بيانا عاما يحدد أصول العارة العربية في الديار المصرية .

وسيجد القارئ فيما بعد، بيانا بأسماء الكتب التي يرد ذكرها في كتابنا هذا، ونخص بالذكر من بينها الكتاب الذي عني بتأليفه في موضوع تخطيط الفسطاط، العالم الكبير المدرس في كلية فرنسا، مسيو پول كازانوف، فإنا قد رجعنا غير مرة الى الأجزاء التي ظهرت منه حتى اليوم، فكان لنا منها المرشد في أبحاثنا، المؤيد لاستنتاجاتنا .

ولقد كان لنا، من أعضاء لجنة حفظ الآثار العربية، العضد القوي في أعمال التقيب، والمهد لنشر هذا المؤلف، ونخص من بينهم جناب مستر فرنل، لما أظهره من ارتياحه لعملنا والاهتمام به، وجناب مسيو لاکو، لما حققه لنا دائما من صادق ولائه؛ إذ كان يعترف أخبار بحثنا ويشجعنا . ولقد تفضل فأعارنا ما كان في غنى عنه من أدوات الحفر، ولذلك تقدم للجميع هنا خالص الشكر .

وإنا لثري من الواجب علينا أن نذكر حضرة محمود أفندي أحمد المهندس في لجنة حفظ الآثار العربية ذكرا خاصا ونقر له بالفضل لما بذله من الجهد والاجتهاد، وبرهن عليه من الكفاءة والاستعداد، في رفع رسوم المباني، ونعترف له بالمعونة الحقة في ملاحظة عمليات إرجاع الشيء لأصله .

والفضل في الصور الفوتوغرافية التي حلي بها هذا المؤلف، يرجع الى حضرة أحمد أفندي صادق الذي أخذ هذه الصور بكل عناية وحذق .

وإنا نشكر كذلك، جناب مسيو لوکاس مدير المعمل الكيماوي، إزاء ما قام به من تحليل مواد البناء . وفي الختام، يحق لنا أن نثني الثناء العاطر على ضباط فرقة الطيران الانكليزية الذين قدموا لنا مساعدتهم بالاجمال وأن نسدى شكرنا لكل من مد لنا يد المساعدة في عملنا .

تاريخ التقيب في آثار الفسطاط

في سنة ١٨٣٥، رغبت الحكومة المصرية في حفظ آثارها الأهلية من الضياع، فأنشأت لذلك مصلحة خاصة لم تزل تعمل حتى يومنا هذا، أخذت على عاتقها من جملة ما أخذت من الأعمال ملاحظة التلال المحيطة بالقاهرة، وبقيت تلاحظها الى أن كانت سنة ١٨٩٢ حيث طلبت لجنة حفظ الآثار العربية أن تكون ادارة هذه التلال من اختصاصها، فأجيب هذا الطلب وعمل به الى سنة ١٩٠٦، ثم تحلت اللجنة عن تلك التلال، فأعيدت الى مصلحة الآثار التاريخية كما كانت من قبل .

وفي سنة ١٩١١، باشرنا بعض أعمال الحفريات على سبيل التجربة في باطن التلال المذكورة، وحصلنا على نتيجة مرضية، فاستندنا على ذلك وأوضحنا اللجنة فائدة هذه المنطقة من وجهة الآثار الإسلامية، فتقرر فصل التلال من جديد عن مصلحة الآثار التاريخية وإلحاقها بدار الآثار العربية، فأصبحت تدير مجموعتنا وتبني حاصلاتنا .

١ - الحالة التي كانت عليها التلال في سنة ١٩١٢

أقل ما يقال عن الطريقة التي كانت متبعة وقتئذ في ملاحظة هذه التلال، انها لم تعد على دار الآثار بفائدة ما، إذ بينا كانت المجموعات الخصوصية الكبرى، مثل مجموعات : فوكيه واينيس وكيننج، تكتون وتنمو، والكثير من الأبنية العربية ينقل الى أوروبا وأمريكا، لم يكن قد دخل دار الآثار العربية حتى سنة ١٩١٢، إلا بعض القطع غير النادرة .

ومما يؤسف له شديد الأسف، أن أطلال الفسطاط أخذت تلعب بها يد التخريب : فسمح لبعض مستخرجي الأحجار أن يفتحوا المخاجر، ليس في جوانبها الأربعة فقط بل وفي وسطها،

٢ - عملية التنقيب على الآثار من سنة ١٩١٢ الى سنة ١٩٢٠

من أول يوم قوضت لنا ادارة الحفر في اطلال القسطنطينية، كان جل قصدها، عدم الترخيص بقدر الطاقة بفتح محاجر جديدة في وسط المدينة البائدة، ولكنا لم نحصل على غرضنا كله . بل يسوغ لنا أن نصرح ، بأن خطة الرصد بتمامها التي كانت تشرف على بركة الحبش وكذلك الدور الفاتحة والمناظر الجلييلة التي كانت تحف بهذه البركة، محي أثرها دون أن يبحث باحث أو يدرسه دارس .

وفي اللوحين الثالثة والرابعة، ترى مواقع المحاجر من المنطقة التي كشفناها . وفيها يرى الناظر كيف ان شركة السباخ تمكنت من ابتياع أرض واقعة في بقعة من أكبر البقاع فائدة لعلم الآثار "الاركيولوجية"، وكيف أقامت عليها أبنية أصبحت حائلًا دون البحث فيها .

وكان بودنا، لو أننا تمكنا من الحفر في الأرض الخالية من الموانع والمحظورات على مقتضى الطريقة العلمية الحديثة . أعنى بذلك : كشف الأثرية طبقة بعد طبقة . ولكن حال دون العمل بهذه الطريقة، ارتفاع التلال، واتساع المنطقة المقتضى كشفها، ونقل الأثرية الخلفة عن الكشف الى أماكن بعيدة . وكل ذلك كان يستدعى كثيرا من العمل والنفقة .

لذلك، رأيت الاستفادة من عملية استخراج السباخ، فمكنتنا من كشف جانب عظيم من المدينة . ولكنا اضطررنا لأن نضع للعمل نظاما خاصا غير الذي كان متبعًا من قبل ، فألفنا طائفة كبيرة من الحراس لم تقتصر مهمتها على جمع ما عساه يظهر أثناء الحفر من الاثنيات بل منع هدم أى جزء من المباني قبل أن يعاينه أمين دار الآثار بنفسه . وبهذه الطريقة حفظت بقايا الأبنية وإن صغر حجمها . وكنا نعمل المساند عند الحاجة ، حتى لبقايا الجدران المعلقة (أى التي اقتلع الطوب من أسفلها فبقيت معلقة بين طبقات الأثرية) اذا ظهرت أهميتها، بحيث أصبح بيع الآجر قاصرا على بعض قطع الجدران المقلعة التي لا فائدة من وجودها .

ففسف أكثر من ربع المدينة الذي كان مخبوءا تحت طبقات التراب ورخص، كآبة، لمستخرجي الآجر القديم أن يستخرجوه من منطقة القسطنطينية .

واذ كانت التلال يستخرج منها السباخ الجيد لتسميد الأراضي، أذن لبعض الأفراد باستخراجه لمدد مختلف في الطول بشروط مكتوبة . ولكن هذه القيود لم يطالب صاحب الرخصة بالعمل بها، فلم يدخل دار الآثار العربية شئ من الأثنيات التي تظهر أثناء الحفر، ولم يكشف بناء واحد من الأبنية .

ولما أريد ردم بعض منخفضات جزيرة الروضة، في سنة ١٩٠٥، أخذت الأثرية اللازمة للردم من تلال القسطنطينية، كما هي، دون أن يراعى في أخذها جمع ما عساه يظهر من القطع الأثرية أو المحافظة على الأبنية القديمة .

هذا ما وقع في اطلال القسطنطينية في العهد القريب . أما ما تم فيها في القديم، فكان صورة مصغرة من هذه، فانه لما حدث ما اتفق المؤرخون على تسميته "خراب القسطنطينية"، في القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى)، كما ستقف عليه فيما بعد، ونهبت الدور التي هجرها ساكنوها، جاءها راغبو العمارة في القاهرة، فأخذوا منها ما بقي من مواد البناء . واستمر الناس يأخذون منها ما يلزمهم عدة قرون حينما شيدت المباني على ساحل النيل . ولا يعلم إلا الله مبلغ الأهمية الأثرية في هذه المنطقة التي امتدت اليها الأيدي ونحرتها قديما وحديثا وما ضاع فيها من الفوائد الجمة التي كانت تعود منها لو تركت على أصلها .

وما عرفناه من تاريخ المدينة وتحققناه بالعيان، مما كشف من أبنيتها، يجعلنا نأسف كل الأسف، لبقاء التخريب يعمل عمله، حتى الزمن الذي نحن فيه، مع أن سائر البلاد تحرص كل الحرص على دراسة بقايا العصور الماضية بكل دقة، وإن كانت دون بقايا القسطنطينية في الأهمية . ومن أجل ذلك، يسوغ لنا أن نصرح بأن من الغلطات التي لا تفتنر، عدم حماية بقايا العاصمة الاسلامية الأولى للديار المصرية، حماية أجل بخطرنا وأفعال أثرا .

٣ - في اختيار موقع الحفر

اخترنا لعملية استخراج السباخ، المنطقة الواقعة شرق جامع عمرو المسماة حلقوم الجبل، المتصلة بكوم الشقاف، لوقوعها في وسط مدينة الفسطاط. ولكنا لم نقصر البحث على هذه المنطقة، بل أذنا، كما سبقت الإشارة إليه، بالعمل في جملة مناطق أخرى، يقع بعضها في العسكر والبعض في القطائع والبعض في الفسطاط عند حدود القرافة قرب عين الصيرة، كما تراه مينا في الشكل الأول. وبهذه الوساطة كشفنا جملة مبان، وإن لم تكن كلها في درجة واحدة من الأهمية، ولكنها تنطق بوجود الشبه التام في الوضع والبناء بين جميع الأبنية التي كشفت في هذه المناطق المتباعد بعضها عن بعض.

٤ - في تحديد التواريخ وفي أصول التلال وتكوينها

سيجيء لنا، فيما بعد، كلام مطول عن العهد الذي ترجع إليه مباني الفسطاط. وهي مسألة نصرح من الآن بأنها في متبهي الدقة، فلا ندعى بأنها وصلنا فيها إلى رأى قاطع، وإنما نتمشى فيها تبعاً لما يظهر لنا من نتيجة الكشف دون أن نهمل قول المؤرخين، وإن كان يتعين أخذه بالاحتراس الكثير.

وهنا نستأذن القارئ في الجواب على اعتراض البعض أكثر من مرة، بشأن الطريقة التي اتبعناها في الحفر، على ظن أنه كان من الممكن الحصول على تواريخ مضبوطة، لو عملنا بالطريقة المألوفة في مثل هذا النوع من الحفر، أعني بها: رفع التراب من التلال، طبقة بعد طبقة، وحصر ما يوجد في كل طبقة من القطع الأثرية.

وإنا نرد على هذا الاعتراض، أولاً: بأن مدينة الفسطاط لا تقاس بمدينة تروادة ولا بمدينة بيسين، حيث الطبقات المتتالية تدل على تواريخ العاشر التي أقيمت بعضها على أنقاض بعض، بل أن الفسطاط لم تعمر أكثر من خمسمائة سنة. وسيرد عليك أنها كانت مشرفة على الخراب حينما أوقد فيها شاور النار سنة ٥٦٤ هـ (١١٦٩ م) فإن السكان كانوا قد هجروا معظمها أيام المستنصر، وانتقلوا إلى القاهرة أو على ساحل النيل، واتخذوا فيها مباني اتزعت موادها من أطلال المدينة المتداعية.

أما الخطط التي كانت لا تزال معمورة فيها، فكان سكانها وسكان القاهرة نفسها يلقون ما يختلف من أنقاض أبنيتهم التي يشيدونها فوق ما قرب منهم من تلك الأطلال. وكلما أصبح المكان الذي يلقون فيه الأنقاض تلالاً عالياً يصعب ارتقاؤه تجاوزه إلى مكان بجواره. ولما امتد حراب الفسطاط، امتدت معه التلال بعضها تلو بعض.

على هذا النسق تكوّن تلال الفسطاط. ومن السهل اذن، أن يدرك الانسان أن الشيء الذي يعثر عليه في ذروة أحد التلال قد يكون من عصر الشيء الآخر الذي يوجد في سفلى التل المجاور له. ومن ثم يسوغ القول، بأن توزيع الأشياء التي توجد في باطن التلال على طبقاتها لا يمكن أن يتخذ شاهداً على تحديد تواريخ الأبنية التي كشفت.

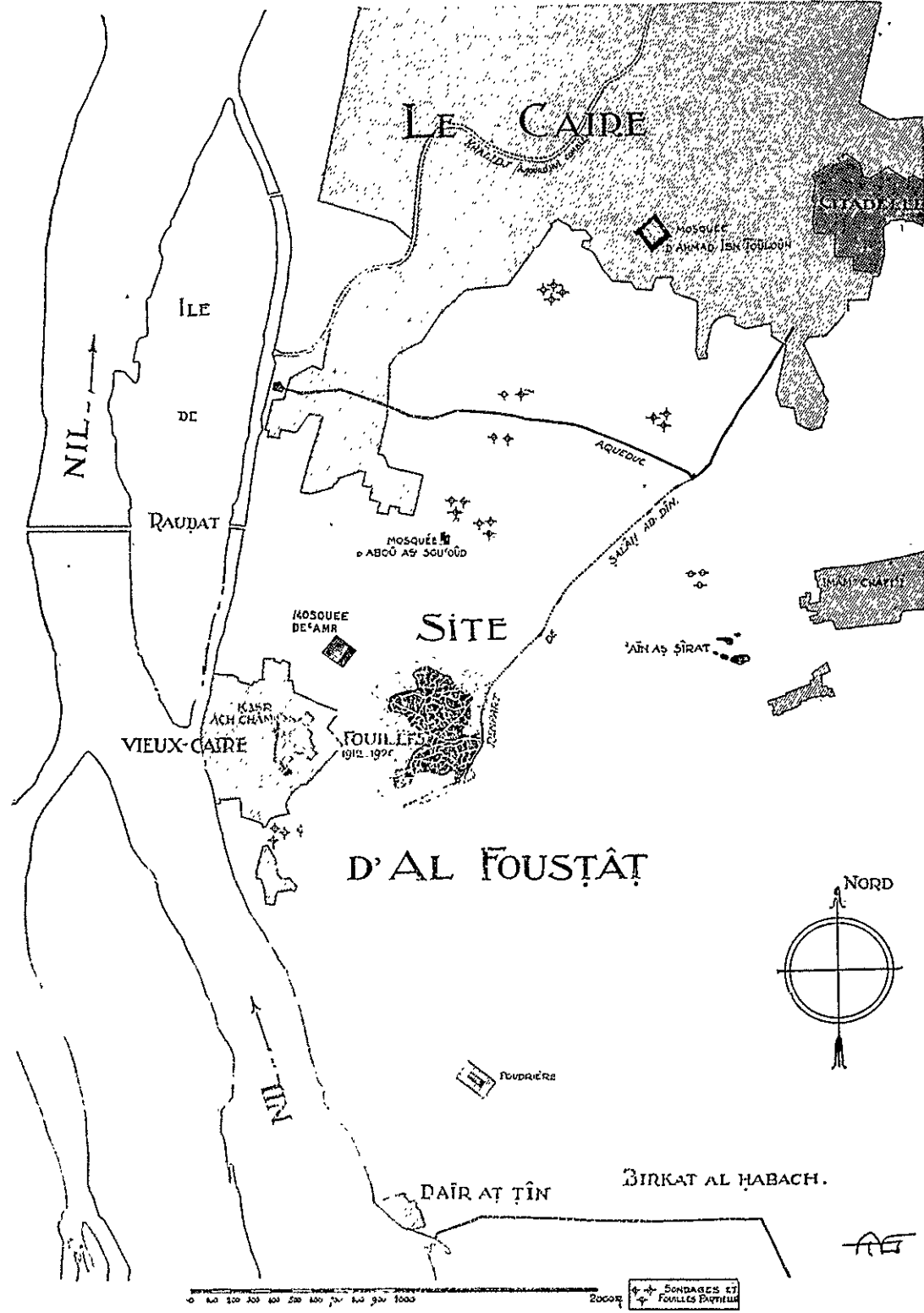
ولقد ادعى صاحب الانتقاد أن حريق الفسطاط ترك أثراً واضحاً جلياً يراه المتأمل في صفحة قطاع التلال، وهو خط أسود يتعرج بتعرج صفحاتها، يريد الناقد أن يعين بمقتضى ظهور هذا الأثر تواريخ ثابتة. ونحن نقول له: إن المتأمل في صفحة التل لا يرى خطاً واحداً بل خطوطاً منشؤها احتراق المواد العضوية المختلطة بالأتربة، على أن هذه الخطوط ليست بالانتظام والاستمرار اللذين يريد أن يصفها بهما ذلك المنتقد.

نقول ذلك، ونحن نعرف مع السرور بأن عملية استخراج السباخ مهما كانت ملاحظتها دقيقة لا تتفق مع البحث العلمي. ولكنا لا نظن أنه في حالنا الخاصة، كان من الممكن بأية طريقة أخرى من طرق الحفر أن نحصل على شواهد أتم وفوائد أعم. ونختم هذا الباب بأن نؤكد للقارئ أنه من يوم أن تولت دار الآثار العربية زمام العمل في الفسطاط لم يهدم جزء واحد من أجزاء البناء مهما صغر حجمه.

٥ - النتائج الأولى لعمليات الحفر

قلنا أن عمليات الحفر عادت على دار الآثار العربية بأعظم فائدة إذ ضمت إلى مجموعتها الطرف الأثرية الآتية، وذلك بخلاف ما انكشف من بقايا المباني التي هي موضوع كتابنا هذا:

(١) جمع جناب مستر هري فريل، مراتب صندوق الدين الانكليزي ومن أعضاء لجنة حفظ الآثار العربية، كما تداوله الجرائد من الجدل في موضوع الحفر بالفسطاط. وقد نشر في مجموعة لجنة حفظ الآثار العربية سنة ١٩١٥ - ١٩١٦ عكوش



شكل ١ - موقع الحفر

فما دخل دار الآثار من القسطنطينية :

- (١) عدد جرم من قطع الخزف المدفون بالمينا على اختلاف أنواعه، بعضه عليه كتابة منقوشة، وشارات ورونوك سلاطين مصر وأمرائها . ومنها أيضا ما ينسب لجماعة عرفوا في التاريخ . وبعضه عليه صور للإنسان والحيوان . والبعض عليه رسوم هندسية وغير هندسية .^(١)
 - (ب) قطع من الزجاج المطلي بالمينا، عليه زخارف مختلفة ورسوم متنوعة وكتابات وشارات .
 - (ج) قطع من أثاث الدور والقصور، ولوحات دقيقة النجارة، وإغلاق وضرب وسماعات أبواب، وأدوات طبخ ومباخر، وألعاب أطفال، وأمشاط وأدوات زينة .
 - (د) بعض أوراق من ورق البردي، مكتوب باللغة العربية، مما يرجع عهد أكثره الى عصر الدولة الفاطمية .
 - (هـ) بعض أوراق عادية، مكتوب فيها عقود ونصوص تجارية وإدارية، ترجع الى القرون السادس والسابع والثامن للهجرة .
 - (و) تيجان أعمدة مصنوعة من الرخام والحجر منقوشة نقشا بديعا .
 - (ز) زخارف من الجص .
 - (ح) بعض أبحار عليها نقوش هيروغليفية (أهديت لدار الآثار المصرية) .
- ومن الاطلاع على اللوحات الملحقه بهذا الكتاب، تعرف أهمية ما يعثر عليه بالحفر وما فيه من التنوع .

(١) عما قريب يظهر كتاب حائل في موضوع الحفر المصرية في العهد الاسلامي .

الباب الأول

شئ من تاريخ الفسطاط

١ - بابليون والفتح الاسلامي

في ستة عشر للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام (سنة ٦٤٠ م) ، هم عمرو بن العاص في أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بفتح مصر بجيش صغير، فلم يقاومه أهلها إلا بالأمر الخفيف حتى جاء قرية أم دنين^(١) ، وفيها جاءه المدد من عمر الى أن بلغ جيشه اثني عشر ألفاً على رواية . وكان من ضمن المدد الذي بعث به الخليفة الزبير بن العوام، فتقدم هذا الجيش حتى مدينة بابليون وحاصرها . وليس من السهل معرفة ما كانت عليه هذه المدينة من الأهمية وتعيين موقعها . وقد ذهب مسيو كازانوفكا الى احتمال وجود حصن آخر أو قصر منفصل عن المدينة، وقال : إن قصر الشمع بقية من استحكامات المدينة التي كانت في يد الاقباط، أما الحصن فكان موقعه على الشرف، وقد يكون البناء المنعزل المتخذ الآن معملاً للبارود المعروف عند الأهالي بأسطبل عتتر^(٢) .

على أنه مهما كان لهذه الأقوال من الفائدة والأهمية، فإن فيها شيئاً من التناقض وليس بينها وبين بحثنا رابطة .

(١) قال المقرئ ان قرية أم دنين تعرف الآن بالنس (ص ٣٥٩ ج ١ وص ١٢١ ج ٢) . ومن المعلوم أن هذه الخلة كان بها جامع القس الذي أنشاه الحاكم بأمر الله . وهو الآن جامع أولاد عثمان على مقربة من محطة مصر . (٢) المقرئ ج ١ ص ٢٨٨ وما يليها . (٣) راجع ما كتبه كازانوفكا عن بابليون وقصر الشمع في مجموعة بلنسة حفظ الآثار العربية سنة ١٩٠٦ (تقرير رقم ١٤٧) وفي مقدمة طوبوغرافيا الفسطاط ص ٢٤ وما يليها . وقد كتب المرحوم هرتس باشا فصلاً في مجلة الاسلام الألمانية سنة ١٩١٧ تلخص فيه هذه المسألة وبين اختلاف الأقوال فيها بعنوان «بابليون وقصر الشمع» . (٤) يلاحظ أن التسمية بأسطبل عتتر لا تنطبق على معمل البارود الموجود الآن ولكن على منارة في جانب الشرف المطل على بركة الجيش . وبالقرب من أسيوط مدفن معروف أيضاً بأسطبل عتتر .

ولا ننكر فائدة البحث عما كان لهذه المدينة الرومانية من التأثير في عاصمة مصر الاسلامية، غير أن التثبت من ذلك يستلزم وجود معلومات وافية عن بابليون، وما نقل الينا عنها مبهم جدا، فضلا عن أنه لم يخلف من معالم هذه المدينة غير بعض قطع من الأسوار وابين خارجين: أحدهما الباب الغربي، وهو باب الحديد، ولم يبق منه غير السفل. والآخر القبلي، وهو باب المعلقة، وقد وصل الينا ولم تتغير معالمه وأصلحته أخيرا لجنة حفظ الآثار العربية^(١).

أما تفصيلات فتح هذه المدينة، فإنها مبسطة في كتب الفتح، فلا نتصدى لسردها، بل نلخصها في أن حاكم مصر من قبل امبراطور قسطنطينية واسمه المقوقس، كان مقيا ببابليون وقت الفتح فتركها والتجأ الى جزيرة الروضة، وفيها فاوض عمرا على تسليم الحصن، وذلك في سنة ٢٠ هـ (٦٤٠ م)^(٢).

ولم يتوان عمرو بعد الاستيلاء على هذا الحصن عن فتح الاسكندرية، فسار اليها ووضع عليها الحصار الى أن سلمت بعد شهرين. ثم عاد الى بابليون.

٢ - في تخطيط مدينة الفسطاط

اختلف الرواة في أصل تسمية مصر بالفسطاط وفي معنى هذا اللفظ وكاتبته. ولكن الرواية الأكثر شيوعا، هي أن عمرو بن العاص لما نزل على حصن بابليون نصب فسطاطه خارج أسواره، ولما فرغ من فتح الحصن وأحب أن يسير لفتح الاسكندرية أمر بنزع فسطاطه فاذا فيه يمام قد فرخ، فقال: لقد تحرم بجوارنا، فأمر به فأقر كما هو وأوصى به صاحب القصر فلما قتل المسلمون من الاسكندرية، قالوا: أين نزل؟ قالوا: الفسطاط. هذه هي الرواية المشهورة في أصل تسمية المدينة.

(١) الجنوب الشرق - (٢) المقرئ ج ١ ص ٢٨٧ و ٢٨٨، لا يمكننا موافقة جاييه على أن الجنس الغير المنظم المعروف بقصر الشمع هو حصن بابليون كله (راجع جاييه "الفن القبلي" ص ١٩١)، لأن هذه المدينة برواية مؤرخي العرب كان فيها عدد عظيم من الروم والأنباط بينهم كثير من النصارى، واحتاج الاستيلاء عليها الى نحو اثني عشر ألف رجل، مما يفهم من أنها كانت من المدن المهمة.

(٣) يحسن مقابلة قول ابن عبد الحكم (ص ٥١ وما يليها) بقول القضاة وقد ذكرهما المقرئ (ص ٢٨٧ و ٢٨٨ ج ١) لأن سيروكارانوتا، بالرجوع الى هذين القولين، استنتج أن المدينة كان يحيط بها حصن غير القصر.

وهناك رواية أخرى، وهي: أن مدينة بابليون كان يحيط بها خندق والخندق في اليونانية اسمه "فساطن"، ومن ثم نشأت كلمة فساط التي يذكرها بعضهم مقارنة لفسطاط. وهذه الرواية الثانية وإن لم تكن في رقة الأولى وظرفها، إلا أنها ربما كانت أقرب للعقل^(١).

ولقد كان أول ما عني به عمرو لما أصبح أمير مصر أن شيد جامعه. وهذا الجامع، وإن لم يبق به الآن شيء على أصله يحدد، ولا شبهة في تحديده، مكان أول حرم أقام فيه المسلمون الجمعة في أرض مصر. ثم توزعت الخطط حول الجامع على الجماعات من القبائل المنتوعة التي تألف منها جيش عمرو، فاختر لكل جماعة خطة تنزل بها. وعلى ذلك تأسست مدينة الفسطاط. وابنتى عمرو دارا له وبنى أميرا على مصر يحكمها باسم الخليفة، الى أن كانت سنة ٢٣ هجرية (٦٤٣ م)، دعى الى المدينة معزولا. ثم عاد الى عمله في سنة ٣٨ هـ (٦٥٨ م)، وبقى الى أن توفي فيها في سنة ٤٣ هـ.

وأنسعت المدينة وارتقت حالها على عهد الخلفاء من بني أمية، وبقيت مقرا للأمراء الذين بعث بهم الأمويون الى مصر. قال الفلقشندي: ولم يكن على أيام هؤلاء الأمراء دار خاصة للامارة، إلا أن عبد العزيز بن مروان الذي كان أمير مصر من قبل أخيه عبد الملك اتخذ له دارا تعلوها قبة مذهبة، وكانت هذه الدار فسيحة جدا حتى سموها المدينة^(٢). ومن ثم يظهر ان بعض الأبنية التي شيدت في ذلك العصر بلغت من الكبر والزخرف حدًا عظيما.

٣ - في تأسيس مدينة العسكر

لما كانت سنة ١٣٢ هـ (٧٤٩ م) وقدم مروان آخر الخلفاء الأمويين الى مصر فآزما من جيوش العباسيين وجاء هؤلاء على عقبه، نزل صالح بن علي وأبو عون اللذان كانا يقودان هذه الجيوش بعسكرهما في الشمال الشرقي من الفسطاط، وهناك اتخذوا مساكنهم وأقاموا دورهم، فتكون من مجموعها مدينة العسكر التي يشبه أن تكون ضاحية كبيرة أو امتدادا لمدينة الفسطاط نحو الشمال

(٢) المقرئ ج ١ ص ٢٢٤

(١) راجع مقدمة كتاب طبرغرافيا الفسطاط لكارانوتا ص ٢٤ رقم ٢

الشرقي^(١) . وفي وسط هذه الدور أقام صالح بن علي دارا سماها دار الامارة، أصبحت مقر الأحرار .
وفي سنة ١٦٩ هـ (سنة ٧٨٥ م)، وضع الفضل بن صالح أساس جامع كبير سماه جامع العسكر .
وكان بجوار دار الامارة . قال المقرزي : وكان موقعهما فيما بين جامع ابن طولون وكوم الخراج^(٢) .

٤ - في منشآت أحمد بن طولون وتأسيس مدينة القطائع

لما تولى أحمد بن طولون على مصر سكن في أول أيام ولايته دار الامارة بالعسكر . ولكن
لما وجدها تضيق بعسكره وحاشيته بنى في سنة ٢٥٩ هجرية (٨٧٢ م) ، قصرا كبيرا تحت
الشرف الذي أقام السلطان صلاح الدين عليه فيما بعد قلعة الجبل، واتخذ في السهل الممتد من
قصره الى جبل يشكر ميدانا للعب بالكرة والصولجان، حتى أصبح القصر نفسه يعبر عنه بالميدان .
ثم أذن لأمرائه وعساكره أن يبتنوا حول الميدان، فاخنت كل أمير لنفسه ولعسكره خطة،
فأصبحت خططهم يضيق بها الفضاء وامتدت حتى التصقت بخطط الفسطاط . وسميت كل خطة
من هذه الخطط باسم الأمير الذي يزل فيها أو باسم طائفة العسكر التي تسكنها . ومن مجموع هذه
الخطط تكوّنت المدينة الثالثة التي سميت بالقطائع^(٣) .

وأقام ابن طولون على جبل يشكر في وسط القطائع جامع في سنة ٢٦٣ هـ (٨٧٦ م) .
وفي آنحيات أيامه كانت الفسطاط والعسكر والقطائع كتلة من الأبنية متصلة بعضها ببعض،
تمتد على ساحل النيل فيما بينه وبين جبل المقطم .

وسنين، في الباب الآتي، حدود كل مدينة من هذه المدن الثلاث وامتداد كل واحدة منها .
وأطلق على مجموع المدن الثلاث اسم مصر أو الفسطاط . وقد تميزت به فيما بعد عن القاهرة
لما أنشأها جوهر القائد شمالي الفسطاط .

(١) كان العسكر في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) لا يزال مسكونا ولكن ثلاثي اسمه فلم يكن معروفا غير الفسطاط والقطائع (راجع المقرزي
ج ١ ص ٣٠٤ و ٣٢٧ و ٢ ص ٢٦٤) .
(٢) المقرزي ج ٢ ص ٢٦٤ .
(٣) داجع من طوغرائيا للقطائع كتاب ج . سالدن الذي عنوانه « باحث في طوغرائيا القاهرة — قلعة الكيش وبركة القيل » .

وفي سنة ٢٩٢ هـ (٩٠٤ م)، زالت دولة بني طولون من مصر، فخرب عمال بني العباس
الذين جاءوا بعد الطولونيين قصور بني طولون كراهة فيهم، لما هموا به من الاستقلال بحكم
مصر^(١) . ولكنهم تركوا الجامع على حاله وكذلك القطائع لم يتعرضوا لها بأذى، فبقيت زاهرة زاهية
أكثر من قرن، بعد زوال حكم مؤسسها .

٥ - تأسيس القاهرة وأفول نجم الفسطاط

لما أسست القاهرة شمالي مصر الفسطاط اتخذها الخلفاء القواطم مقرا لهم ولحاشيتهم دون
سواهم . أما طوائف العسكر والتجار والعملة فكانوا يسكنون الفسطاط . ثم أخذ الناس ينتقلون
بكترة الى القاهرة يوما فيوما حتى أربت على العاصمة القديمة بيهجتها وروائها .

نعم، أن مدينة الفسطاط بقيت زمنا مركزا للتجارة والصناعة المصرية، ولكن قيام القاهرة صوّب
الى مقتلها ضربة قاضية بحيث أصبحت المدينة الجديدة كلما قطعت مرحلة في سبيل التقدم
والرقى، تخطو الفسطاط بجانبها مرحلة في طريق التدهور والسقوط . قال ابن سعيد : ومد بنيت
القاهرة ضعفت مدينة الفسطاط وفرط في الاغتيال بها بعد الافراط^(٢) .

ولقد عقد المقرزي فصلا نسب فيه سقوطها للغلاء والحريق حيث يقول : « وكان لخراب
مدينة فسطاط مصر سببان : (أحدهما) الشدة العظمى التي كانت في خلافة المستنصر بالله الفاطمي .
(والثاني) حريق مصر في وزارة شاور بن مجير السعدى^(٣) » .

(١) ولقد فكروا في هدم القطائع كلها، فقد روى ابن دقاق عن بعض الزوارح : « أن الامام المنتشد بالله العباسي أمر بهدمها حقا على أحمد رسولون
في سنة اثنين وتسعين ومائتين بعد انقضاء دولة آل طولون . وكان تولى تخريبها محمد بن سليمان الكاتب ج ٤ ص ١٢١ و ١٢٢ ولكنهم انكفروا
بهدم القصر .

(٢) المقرزي أول ص ٢٤٠ (٣) المقرزي أول ص ٣٣٥ . ويقرب من هذا قول المقرزي : أما الشدة العظمى فان سببها أن المستنصر جمع
بمصر في سنة ٤٤٦ هجرية (١٠٥٤ م) ... وفي سنة ٤٤٧ هـ، اشتد الغلاء وكثر الوباء بمصر والقاهرة وأعمالها الى سنة ٤٥٤ هجرية (١٠٦٢ م) حدثت
مع ذلك الفتنة العظيمة التي نوب بسببها إقليم مصر كله ... وأقام (يعني الغلاء الذي ابتدأ في سنة ٤٤٧ هـ) الى سنة ٤٥٤ هـ ... فأقام ذلك سبع سنين واليهل بمدة
ويزل فلا يجد من يزرع ... وصار الحال الى أن بيع رقيق من المنز الذي رزقه رطل يرقاق القناديل كنج الطرف في التساء بأربعة عشر درهما وبيع اهدب
من الفتح ثمانين دينارا (يعني ٤٠٠ مرة فوق السعر الأصلي) ثم عدم ذلك . (أول ص ٣٣٧) .

نعم، ان الغلاء والفناء اللذين أعقبا الشدة العظمى عجلا بخراب الفسطاط الذي أتمه الحريق، ولكنهما لم يكونا السبب الأصلي، بل كان السبب الأول كما قلنا، حدوث القاهرة واتخاذها مقراً للخلفاء ومركزاً لحكومتهم ثم قيام المباني الفخمة التي لم يكن لأحد بها عهد من قبل، حول قصور الخلفاء .

ولست أنكر أن الشدة العظمى على أيام المستنصر كان لها أثر فعال في خراب مدينة الفسطاط. وقد نقل الينا مؤرخو العرب في موضوع حال البلاد وقتئذ روايات مزعجة. ومع غض النظر عما في هذه الروايات من المبالغة، فالظاهر ان المرور خلال الفسطاط كان خطراً على الأنفس . ومن إطلاق الأسماء على بعض الحواري والدروب التي ذكرها ابن دقاق، يقف القارئ على أن تلك الحواري كانت وقتئذ مسكناً للنهابة والقتلة^(١) .

ولست أنكر أيضاً أن مدينة الفسطاط هجر السكان على عهد المستنصر بعض خططها، ونشأ عن تركهم تلك الخطط ما يسميه المؤرخون "خراب المدينة" . وسنين فيما يجيء حدود منطقة الخراب .

ولما قدم بدر الجمالي الى مصر في سنة ٤٦٥ هـ (١٠٧٢ م) وهمّ باعادة العمارة الى مدينة القاهرة، لم يكن من نتيجة عمله إلا زيادة خراب الفسطاط. ذلك : أنه أباح للناس من العسكرية والملحية والأرمن وكل من وصلت قدرته الى عمارة أن يعمر ما شاء في القاهرة مما خلا من فسطاط مصر ومات أهله، فأخذ الناس ما كان هناك من أنقاض الدور وغيرها وعمروا به المنازل في القاهرة وسكنوها وأخذ الناس أيضاً في نقل ما كان بالقطائع والعسكر من أنقاض المساكن حتى أتى على معظم ما هنالك الهدم وصار موحشاً . وخراب ما بين القاهرة ومصر من المساكن، ولم يبق هنالك إلا بعض البساتين ... ولم يبق من العسكر ما هو عامر سوى جبل يشكر الذي عليه جامع ابن طولون وما حوله^(٢) .

(١) وكان بمصر طوائف من أهل الفساد قد سكنوا بيوتاً قصيرة السقف قريبة من يسى في العرارات ويطوف وقد أعدها سلباً وخطايف فاذا من بهم أحد شاره في أقرب وقت ثم شربوه بالأخشاب وشربوا لحمه وأكلوه . المقرئى أول ص ٣٣٧ ، وقد ذكر ابن دقاق في الأذنة البدائين والمكاتبين والقتل . وكان يجرى فيها مثل هذه الأمور (راجع ج ٤ ص ١٦ و ١٨) . (٢) المقرئى أول ص ٣٦٤ (٣) المقرئى أول ص ٣٠٥

نعم، انه وقع بعد ذلك أى في سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) سعى في تعمير الخطط الخراب تعميراً جزئياً، قال المقرئى : فلما كان في خلافة الأمر بأحكام الله أبى على منصور بن المستعلى أمر وزيره أبو عبد الله محمد بن فاتك المنعوت بالأجل المأمون بن البطائحي فنودي مدة ثلاثة أيام في القاهرة ومصر بأن من كان له دار في الخراب أو مكان فليعمره ومن عجز عن عمارته يبيعه أو يؤجره من غير تقبل شئ من أنقاضه، ومن تأخر بعد ذلك فلا حق له ولا حكر يلزمه . والظاهر ان ما أمر به الوزير أتى بالغرض المقصود في وقته و " عمر الناس ما كان من ذلك مما يلي القاهرة من جهة المشهد النفيسى الى ظاهر باب زويلة"^(١) .

ولكن يظهر لنا، أن الجانب الذى همّ وزراء القواطم بتعميره، انما هى الخطط المجاورة للقاهرة، وأن خراب الفسطاط بقى دائراً على حاله . وانا نقول ذلك استناداً على جملة أوردها المقرئى، أبان فيها حدود ما أعيد تعميره، حيث قال : فعمر من الباب الحديد طولاً الى باب الصفا بمدينة مصر حتى صار المتعيشون بالقاهرة والمستخدمون، يصلون العشاء الآخرة بالقاهرة ويتوجهون الى سكنهم في مصر ولا يزالون في ضوء وسرج وسوق موقود، من الباب الحديد خارج باب زويلة الى باب الصفا حيث الآن كوم الجارح، والمعاش مستمر في الليل والنهار^(٢) .

وهذه الخطة ينطبق عليها الطريق الذى كان يسلكه الخلفاء في ذهابهم الى صلاة الجمعة في جامع عمرو أو الى المقياس لحضور موسم كسر الخابج . يؤيد ذلك، أنه في أيام الشدة العظمى التي كانت على عهد المستنصر اضطر وزيره اليازورى أن يقيم حائطاً يستر خراب العسكر والفسطاط عن عين الخليفة . قال المقرئى : ولما استولى الخراب في المحنة أمر ببناء حائط يستر الخراب عن نظر الخليفة اذا سار من القاهرة الى مصر، فيما بين العسكر والقطائع وبين الطريق، وأمر ببناء حائط آخر عند جامع ابن طولون^(٣) . لذلك نقول : أن المباني إنما أقيمت على حافة هذا الطريق العام . ولذلك، لا نأخذ رواية المقرئى بحروفها حينما يؤكد أن مدينة الفسطاط عادت زاهية كما كانت عليه قبل الشدة العظمى . حيث يقول : وتراجعت أحوال الفسطاط بعد ذلك حتى قاربت ما كانت عليه قبل الشدة^(٤) .

(١) المقرئى أول ص ٣٠٥ (٢) المقرئى أول ص ٣٠٥ (٣) المقرئى أول ص ٣٠٥ (٤) المقرئى أول ص ٣٣٠

وعلى كل حال فقد أصبحت مساحة الفسطاط وقتئذ أصغر مما كانت عليه من قبل . وهو استنتاج المقرئ نفسه، حيث يقول: «وبسبب هذا الغلاء حرب الفسطاط وخلا موضع العسكر والقطائع وظاهر مصر مما يلي القرافة، حيث الكيمان الآن، الى بركة الحبش» .

٦ - حريق الفسطاط

كل من له اطلاع على التاريخ يعرف الغيرة التي وجدت بين شاور وضرغام بسبب الوزارة ثم دخول أموري دى لوزيانان منتصرا للأول منهما في سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٦ م) كما يعرف أيضا، ان أموري بعد سنتين من انتصاره لشاور قصد الفسطاط غازيا، فاستولى في طريقه إليها على بليس، ثم نزل بجيشه على بركة الحبش .

وفي ذلك الوقت كان أكثر العسكر والقطائع خاليا عن السكان كما قلنا؛ أما الفسطاط نفسها فانها وإن لم تكن على عهدنا الأول من القوة كانت ساكنها غير قليلين، فلما لم يسع شاور الدفاع عنها أمر بأحراقها وحرقتها . قال المقرئ: «فنادى شاور بمصر ألا يقيم بها أحد وأزعج الناس في النقلة منها فتركوا أموالهم وأثقالهم ونجوا بأنفسهم وأولادهم، وقد مانح الناس واضطربوا كأنما خرجوا من قبورهم الى المحشر لا يعبا والد يولده ولا يلتفت أخ الى أخيه، وبلغ كراء الدابة من مصر الى القاهرة بضعة عشر دينارا وكراء الجمل الى ثلاثين دينارا، ونزلوا بالقاهرة في المساجد والحمامات والأزقة وعلى الطرقات فصاروا مطروحين بعالمهم وأولادهم وقد سلبوا سائر أموالهم، الى أن قال: وبعث شاور الى مصر بعشرين ألف قارورة نפט وعشرة آلاف مشعل نار فرق ذلك فيها فارتفع لهب النار ودخان الحريق الى السماء فصار منظرا مهولا فاستمرت النار تأتي على مساكن مصر من اليوم التاسع والعشرين من صفر لتمام أربعة وخمسين يوما والنهابة من العبيد ورجال الأسطول وغيرهم بهذه المنازل في طلب الخبائيا . ومن ثم تحولت مصر الفسطاط الى تلك الأطلال المعروفة الآن بكيمان مصر» .

(١) المقرئ أول ص ٢٢٧ (٢) المقرئ أول ص ٢٢٨-٢٢٩

٧ - في تاريخ الفسطاط من عهد صلاح الدين الى يومنا هذا

بعد أن أوقد شاور النار في الفسطاط كما مر، التجأ الى القاهرة . أما أموري فلم يتمكن من نفاذ غرضه من الاستيلاء على مصر لأن صلاح الدين كان قد ظهر في عالم الوجود وأضحى سيد مصر واستولى على الشام .

ولما عاد صلاح الدين الى مصر، صم على أن يجمع بين القاهرة وما بقي من الفسطاط بسور واحد . وهو السور الذي كشف لنا الحفر القسم القائم منه بين القلعة وحدود الفسطاط من الجهة القبلية، ومن ثم انتقلت حركة التجارة والصناعة الى ساحل النيل حيث كانت ترسو المراكب وتكثر المخازن والمصانع التي حفظت للفسطاط الى درجة ما بعض عمارها . قال ابن سعيد (سنة ٦١٠ - ٦٧٣ = ١٢١٣ - ١٢٧٤ م): «وقد نفخ روح الاعتناء والنمق في مدينة الفسطاط الآن لمجاورتها لجزيرة الصالحية وكثير من الجنود قد انتقل اليها للقرب من الخدمة وبني على سورها جماعة منهم مناظر تبهج الناظر» . قال المقرئ: «يعني، ابن سعيد، ما بنى على شقة مصر من جهة النيل» . ومن أول القرن السابع الهجري (الثالث عشر المسيحي) شيدت من مواد انتزعت من الخسوف التي هجرها أهلها من الفسطاط، الخطة الواقعة على ساحل النيل جنوبي دار الملك التي كانت في أول أمرها آخر حدود المدينة من قبلها .

وفي أيام الناصر قلاوون امتدت المباني الحديدية على الخصوص فيما بين الفسطاط والقاهرة حتى غدت المدينتان مدينة واحدة، قال المقرئ: «وفي أيام الناصر اتصلت عمار مصر والقاهرة فصارتا بلدا واحدا يشتمل على البساتين والمناظر والقصور والرباع والقياسر والأسواق والفنادق والحنانات ...» .

وفي رأينا أن الأبنية لم تكن ليتصل بعضها ببعض بل كانت الدور تغلغلها البساتين تمتد في غير منطقة الخراب . وبالإجمال كانت تحل المدينة في أواخر القرن السابع الهجري أي الثالث عشر المسيحي على الصورة الآتية البديعة: في شمال القاهرة، يجمعها بالفسطاط ضاحية مكونة من بعض

(١) المقرئ أول ص ٢٨٠ (٢) المقرئ أول صفحة ٢٦٥

الدور والقصور تتخلها البساتين ، ويلبها الفسطاط على ساحل النيل على سمت جامع عمرو وقصر الشمع ، ويلى ذلك كله من الجنوب على شط النيل خطة المناظر والقصور المتصلة ببركة الحبش .

ولقد ترك لنا كل من ابن دقاق والمقرزى والقلقشندى عن مدينة الفسطاط فى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر المسيحى) ، معلومات دقيقة وكلها تتفق فى أن تدهور المدينة إنما كان يزداد قرنا بعد قرن . وفى الجملة الآتية لخص القلقشندى الحن التى نزلت بالفسطاط ، قال : " ولم يزل الفسطاط زاهى البنيان نامى السكان الى أن كانت دولة الفاطميين بالديار المصرية وعمرت القاهرة فتقهقر حاله وتناقص ، وأخذ الناس فى الانتقال عنه الى القاهرة وما حولها ، فخلا من أكثر سكانه ، وتناقص الخراب فى بنيانه ، الى أن غلب الفريخ على أطراف الديار المصرية فى أيام العاضد آخر الخلفاء الفاطميين " .

وقال : وبعد حريق شاور "تزايد الخراب فيه وكثر الخلو ولم يزل الأمر على ذلك فى تقهقر أمره الى أن كانت دولة الظاهر بيبرس أحد ملوك الترك بالديار المصرية فصرف الناس همهم الى هدم ما خلا من أخطاطه والبناء بنقضه بساحل النيل بالفسطاط والقاهرة وتزايد الهدم فيه واستمر الى الآن حتى لم يبق من عمارته إلا ما بساحل النيل وما جاوره الى ما يلى الجامع العتيق وما دانى ذلك ودثرت أكثر الخطط القديمة وعنى رسمها واضمحلت ما بقى منها وتغيرت معالمه " .

أما اليوم فلم يبق من الفسطاط إلا كيانها القائمة فيما بين النيل والمقطم . وما يطلقون عليه اليوم اسم مصر القديمة لا يمكن اعتباره من بقايا الفسطاط ، فإن الدور الحفيرة التى تتكون منها هذه الخطة حديثة العهد ، قام أكثرها على الأرض التى خلفها النيل الذى ما زال ساحله ينتقل الى جهة الغرب ، ولم يتخلف من بقايا المدينة البائدة سوى جامع عمرو وقصر الشمع والمباني التى كشفها الحفر .

(١) القلقشندى ثالث من ٢٢٧ و ٢٢٨

الباب الثانى

بحث فى خطط الفسطاط

١ - فى تنقل ساحل النيل

معلوم أن ساحل النيل فيما يجاور القاهرة لم يثبت على حالة واحدة بل كان يتنقل من الشرق الى الغرب . وهذه الحركة التى يرجع عهدها الى ما قبل الهجرة النبوية لم تقف بل استمرت حتى يومنا هذا . من أجل ذلك ، يلزمنا قبل الدخول فى موضوع أى بحث بمس الخطط أن نعين بالضبط الحدود التى كان يصل إليها ساحل النيل فى تنقله مدة بقاء الفسطاط .

(١) فى أيام الفتح

اتفق المؤرخون على أن جامع عمرو بنى على شاطئ النيل^(١) . وهو اليوم يبعد عنه بنحو مائة متر . وكذلك قصر الشمع كان على ساحل النيل ، وكان باب الغربى أو باب الحديد مطلا على النيل مباشرة ومنه نرجح المقوقس حاكم مصر من بابليون ليحتمى بجزيرة الروضة ، كما رواه المقرزى . وعلى هذا الباب وجد المقوقس المراكب التى عبر عليها النيل^(٢) .

ومن هذه الرواية ، تعينت لنا نقطتان من المعالم الثابتة نشفعهما بثلاثة نحو الشمال وهى القنطرة الأولى التى أقيمت على الخليج فى سنة ٦٩ هـ (٦٨٨ م) . وقد ذكرها المقرزى فقال : إنها كانت

(١) راجع عن هذا الموضوع طبرغرافيا الفسطاط لكازانوف من ٢١٧ ، واللوحة الثالثة الواردة فيه ، فانها تبين التغيرات التى طرأت على شاطئ النيل الأيمن فى أزمنة مختلفة . (٢) المقرزى أول من ٢٤٣ وقد ورد فى المقرزى أيضا « وكان بجوار الحصن (بني قصر الشمع) من بحريه وهي الجهة الشمالية أشجار دكرم صار موضعها الجامع العتيق » أول من ٢٨٦ ، راجع أيضا المقرزى من ١٢٢ (٣) أورد المقرزى خبرين مختلفين عن رسم القوقس (المقرزى أول من ٢٨٦ و ٢٩٠) . وسنورد للكلام على ذلك عند ذكر الروضة . وعلى كل حال ، كان النيل يمر بجانب جدار القصر .

قائمة في المكان الواقع بين قناطر السباع (حوالي المشهد الزينبي) وقنطرة السد^(١) (حوالي كنيسة مارمينا) ومن ثم يعلم أن ساحل النيل في سنة ٦٩ هجرية كان يمتد بين الموقعين المذكورين .

وقد أورد مسيو كازانوفا نقطة رابعة نوافقه عليها حيث يقول : إن موقع دار الملك كان كالأنف يدفع تيار النيل عن الفسطاط . ونحن نقول : إن هذه الجهة الواقعة جنوبي الفسطاط تبتدى منها حركة تنقل الساحل، لأن ما بين دار الملك ودار الطين من الشاطئ بقي ثابتا على حاله لم يطرأ عليه تغيير ما .

(ب) في عصر الخلفاء الفاطميين

وكذلك في أيام الفوالم، استمر ساحل النيل المقابل لجزيرة الروضة ينتقل نحو الغرب، إذ كان خليج مصر الخارج من النيل يسير والطريق المؤدى الى الحمراء القصوى . وكان على شاطئ الخليج العربي بساكن منها بستان الخشاب القائم في أرض المريس . أما بعد سنة ٥٠٠ هـ (١١٠٦ م) فإن النيل انحسر وخلف أرضا بين ميدان باب اللوق وبستان الخشاب . وهذه الأرض غلب عليها فيما بعد اسم بستان الفاضل، نسبة للقاضي الفاضل الذي كان له بها بستان كبير^(٢). وكان ذلك يكاد ينطبق على الأماكن الواقعة حوالي مستشفى القصر العيني ومدرسة الطب .

(ج) في عصر السلاطين من بني أيوب

ولدينا من عهد الدولة الأيوبية المعالم الآتية :

(١) قلعة المقس التي أقامها صلاح الدين، قال المقرئى: «إنها كانت مظلة على النيل»، وإنا نجد موقعها ونعينه في الجهة التي تشغلها الآن محطة السكة الحديد العمومية .

(١) المقرئى ثان ص ١٤٦

(٢) راجع طبوغرافيا الفسطاط لكازانوفا ص ٢١٧، وقد رددت نصوص كثيرة عن حركة النيل، ولكنها غير صريحة . من ذلك، قول المقرئى رواية عن ابن عبد الظاهر : إن جبل يشكر كان مطلا على النيل، دون تعيين الزمن، وقوله أيضا : وكان الكباش يشرف على النيل من غربيه، المقرئى أول ص ٣٥٩ و ٣٦٠

(٣) المقرئى أول ص ٣٤٥

(٤) المقرئى أول ص ٣٨٠ وثان ص ١٢١ و ١٢٢

(٢) قنطرة السد التي أقيمت في أعوام بضع وأربعين وستائة هجرية (١٢٤٢ م) على الخليج . وهذه القنطرة التي لم تكن لتبعد عن ساحل النيل، مرّ بك تحديد موقعها .

أما فيما يتعلق بساحل النيل حذاء الفسطاط، فليس لدينا عنه معلومات ثابتة . وإنما يمكن القول بأن حركة التنقل على العموم في هذه الجهة كانت منتظمة ومستمرة .

(د) في العصر الذي أعقب الدولة الأيوبية

استمرت حركة النقلة نحو الغرب على حالها، حتى الأيام الأخيرة . ولكن مساحة الأرض التي انحسر عنها ماء النيل في هذه المدة، كانت فيما سامت القاهرة أكبر منها حذاء الفسطاط . ومن ذلك حدثت خطة بولاق جميعها بعد ستة سبعمائة من الهجرة . وليست حركة النقلة في هذا العصر مما يهم موضوعنا .

٢ - تأسيس الفسطاط وتوزيع خططها على القبائل

لما رجع عمرو بن العاص من فتوح الاسكندرية، قسم بعض الأرض التي قامت عليها مدينة الفسطاط على القبائل، فاجتمع أهل كل عشيرة في ناحية .

وقد كانت هذه القسمة الأولى، الأصل في تسمية خطط المدينة . وانه وإن لم يكن من الممكن أن يهتدى الانسان بمقتضى الأوصاف التي أوردها المؤرخون الى معالم تكفي لوضع خريطة مستوفاة تحدد موقع خطة كل قبيلة بالضبط، إلا أنه من المتيسر الاستدعاء الى مواقع خطط بعض القبائل بمعونة كتاب المقرئى الذي ينقل طبعا عن سبقه .

فمثلا : خطة أهل الراية^(١)، تقع على مقربة من جامع عمرو وتمتد الى قصر الشمع، وخطة مهرة تقع في الجنوب الشرقي من أهل الراية، لأن المقرئى عبر بأنها في قبليها، وكان لها خطة

(١) المقرئى ثان ص ١٤٦

(٢) قال المقرئى : أهل الراية جماعة من فرس والأنصار ونزاعة وأسلم وغير ذلك وإنما سماها أهل الراية ونسبت الخطة اليهم لأنهم جماعة لم يكن لكل يمل منهم من العدد ما يفرد بدعوة من الديوان، نكرة كل يمل منهم أن يدعى باسم قبيلة غير قبيلة، فيجس لهم عمرو بن العاص راية ولم ينسبها الى أحد، فقال : يكون موقفكم محببا، فكانت لم كالسب الباطع وكان ديوانهم عليها (المقرئى أول ص ٢٩٧) .

أخرى على جبل يشكر، وخطة تجيب نجىء بعدها، فتكون في الجنوب أى الجنوب الشرقى من مهرة اذ كان من بين دروبها، درب المصوصة الذى يؤدى الى شرقى قصر الشمع، أى الشمال الشرقى منه . أما قبيلة نغم، فكان لها ثلاثة خطط : (الأولى) فيما يلي أهل الرابية مباشرة، نحو الشمال فتكون في الشمال الشرقى من الجامع ، (والثانية) شرق كنيسة ميكايل التي لا تزال قائمة حتى اليوم، (والثالثة) غير بعيدة منها . وخطة اللقيف كانت تلاصق خطة أهل الرابية . أما خطط أهل الظاهر، فكانت تمتد شرق نغم (الشمال الشرقى) حتى العسكر . وخطة وعلان في جنوب قصر الشمع .

وهناك خطط لم تحدد مواقعها مع الدقة التامة ، مثل : خطة الفارسيين ، فانه يظهر أنهم اختاروها بعيدا عن الخطط السابقة على مقربة من الشرف الذى أقيم عليه فيما بعد جامع ابن طولون، أو على الأرض التي أقيمت عليها مدينة العسكر . وقد اختير لخولان خطتان : (الأولى) جنوبى قصر الشمع ، (والثانية) في مكان الكوم المشرف على مصلى خولان . وخطة المعافر موقعها على الشرف المطل على بركة الحبش .

أما القبائل من غير الجنس العربى ، وهم الذين أطلق عليهم الحمرء فقد خصص لهم خطط ثلاث ، تلى الواحدة الأخرى ، من جامع عمرو حتى جبل يشكر . وهذا الجبل سمي باسم القبيلة التي سكنته .

(١) طوبوغرافيا القسطاط لكازانوف ص ٤٩ (٢) ينقل على الظن أن هذه القبيلة كانت كثيرة العدد لأنها اختطت في مواضع أخرى (راجع المقرزى أول ص ٢٩٧) . (٣) الظاهر أن كازانوف عين موقعها أبعد من ذلك جنوبا (راجع كتابه المذكور قبله والروحة رقم ٣) . (٤) خطة الفارسيين عين كازانوف موقعها في الخريطة جنوبى قصر الشمع ، على أن المقرزى يقول صريحا : أنها كانت تشغل بنا من العسكر . (٥) اكتشفنا في هذه البقعة بقايا بناء يشاهد فيه ، بالرغم من تداعيه ، حين نتسع قائم الزرابيا ، وجدار به بقية محكمة الاتجاه . وربما كانت هذه البقايا من مصلى خولان . (٦) رهى الحمرء الدنيا والحمرء الوسطى والحمرء القصى . وزاد مسيو كازانوف حمرء رابية سماها الحمرء الأول وهو يريد أن يقول أنها غير الحمرء الدنيا ولكنها ترى أن الحمرء الدنيا والحمرء الأول يدلان على موقع واحد . وقد عين لها مواقع (راجع طوبوغرافيا بول كازانوف) لوحة رقم ٣) لا يمكن أن تنطبق على المواقع الأصلية ، لأن مياه النيل كانت تغمر المواقع التي عينها . وقد يكون اعتمادنا في تخطيطه ، على ما رواه المقرزى عن ابن المنجج (ج أول ص ٢٩٨) . وإذا أردنا أن نأخذ بهذه الرواية نحتم علينا أن نفهم ، أن ما كان يحسره النيل في انسحابه الى الجهة الغربية من المواقع ، كان يسمى باسم المواقع الأصلية التي على الشاطئ .

٣ - الكلام على المدينة الأولى

قلنا فيما سبق : ان المساكن الأولى لمتاحي مصر كانت قائمة حول الجامع ، وعلى مقربة من قصر الشمع ، وان هذه المساكن كان يزاحم بعضها البعض ، في تلك المنطقة ، وكلما بعد الانسان عنها قل العمار . وأشرنا أيضا الى أن خطة كل قبيلة كانت قائمة على انفرادها منزلة عن غيرها اذ لا يعقل أن تكون الخطط التي ذكرها المقرزى وأتينا على ملخصها متصلة الدور من النيل حتى عين الصيرة ، ومن جبل يشكر حتى الشرف المطل على بركة الحبش . نقول لا يعقل ذلك ، حتى لو فرضنا أنه انضم الى الجند الذى قدم لفتح مصر وعدده اثنا عشر ألفا ، أضعاف أضعافهم . بل المعقول أن يتخيل الانسان أن مجموع هذه الخطط ما كان لينشأ عنه مدينة واحدة . وإنما كانت الخطط متوزعة في السهل ، من النيل في الغرب حتى عين الصيرة في الشرق ، ومن جبل يشكر في الشمال حتى الشرف في الجنوب ، وأكثرها التصاقا ما كان على مقربة من الجامع ومن قصر الشمع . وكلما ابتعد الانسان عنهما خف الالتصاق حتى يبلغ محيط الدائرة . ومن بين هذه الخطط ، خطة الحمرء القصى ، هدمت في غضون الحروب الأهلية ، ولم تعد لتعمر إلا عند تأسيس مدينة العسكر .

هذه كانت حالة مدينة القسطاط في القرن الأول الهجرى . ولكنها بعد ذلك ، اتسع نطاقها على توالى القرون ، ورفقت حالها ، فاستبدلت خططها بغيرها ، واتسعت حدود الخطط وتلاصقت حتى نشأ عن مجموعها مدينة واحدة ، سأتى فيما يلى على بيان حدودها في الوقت الذى بلغت فيه أوج كمالها ، حوالى القرن العاشر المسيحى .

(١) وما يدك على تفرق القبائل ، الحمرء الذى جاء فيه : «ان ممدان ومن والاها استجبت الجزيرة فكتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب رضى الله عنها يعلمه بما صنع الله للمسلمين ، وما فتح عليهم ، وما فعلوا في خططهم ، وما استجبت ممدان من الزورك بالجزيرة ، فكتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه على ما كان من ذلك و يقول له : كيف رضيت أن تحرق أصحابك ؟ لم يكن ينبغي لك أن ترضى لأحد من أصحابك أن يكون بينك وبينهم بحر ، ولا تدرى ما يقبم هم ، فملك لا تقدر على غنائهم حين يزل بهم ما ترونه ، فأجهم اليك ، فان أبوا عليك وأجهم مروضهم بالجزيرة وأجروا ما هناك ، فان عليهم من في المسلمين حصنا . فمروض عليهم عمرو ذلك ، فأبوا ، وأجهم مروضهم بالجزيرة ، ومن والاهم على ذلك من رملهم بأفغ وغيرها ، وأجروا ما هناك ، فبني لهم عمرو بن العاص الحصن في الجزيرة ، في سنة احدى وعشرين ، ورفغ من بنائه في ستة اثنين وعشرين . » (المقرزى أول ص ٢٠٦) .

٤ - في حدود الفسطاط والعسكر والقطائع

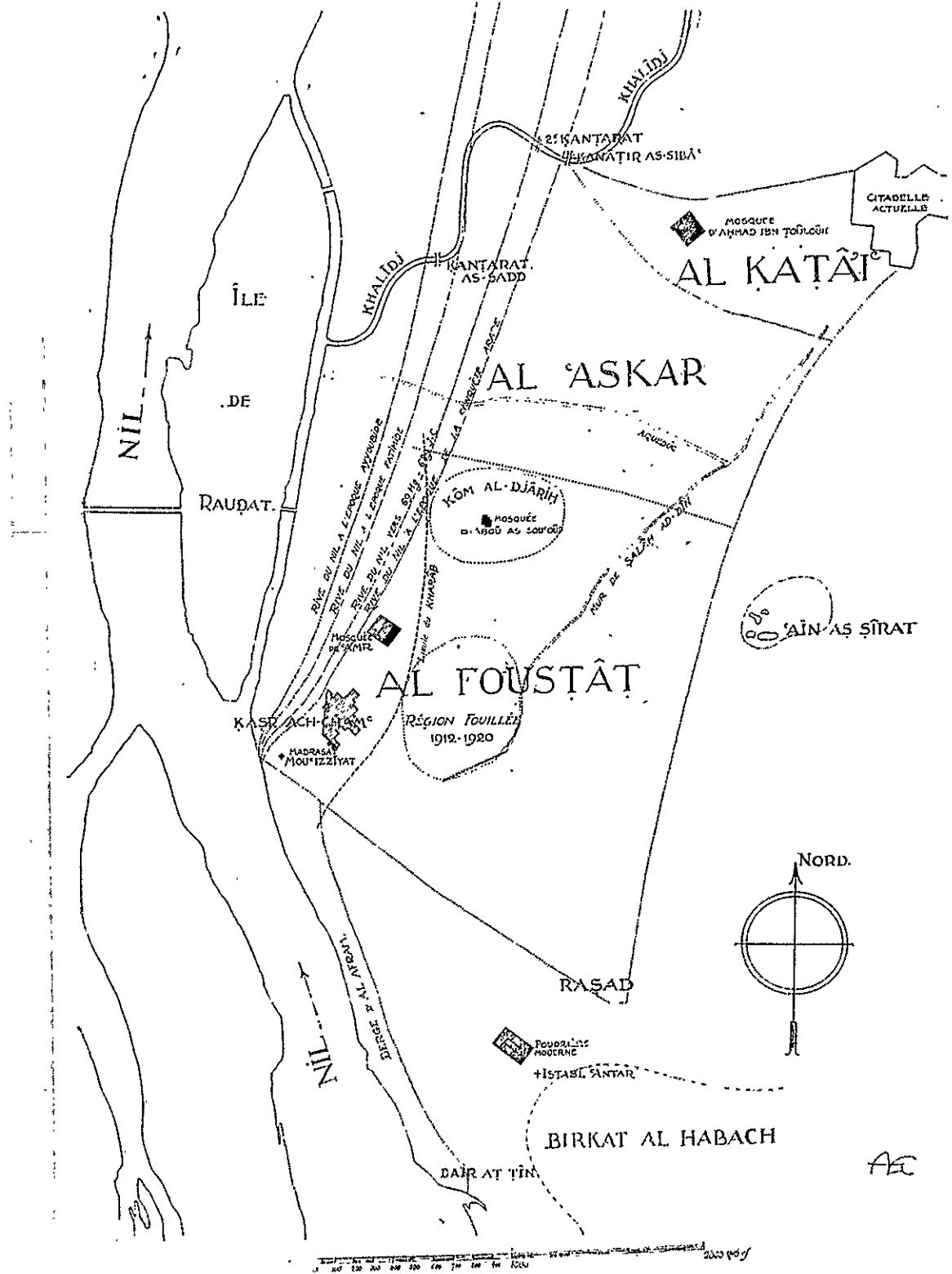
قال المقرئى: "ان مدينة مصر محدودة بمحدود أربعة، فحدّها الشرقى اليوم، من قلعة الجبل وأنت أخذ الى باب القرافة، فتمر من داخل السور الفاصل بين القرافة ومصر الى كوم الجارح، وتمر من كوم الجارح وتجعل كيان مصر كلها عن يمينك حتى تنتهى الى الرصد حيث أول بركة الحبش، فهذا طول مصر من جهة المشرق . وكان يقال لهذه الجهة عمل فوق . وحدّها الغربى من قناطر السباع خارج القاهرة الى موردة الحلفاء وتأخذ على شاطئ النيل الى دير الطين، فهذا أيضا طولها من جهة المغرب . وحدّها القبلى من شاطئ النيل بدير الطين حيث ينتهى الحدّ الغربى الى بركة الحبش تحت الرصد حيث انتهى الحدّ الشرقى، فهذا عرض مصر من جهة الجنوب التى تسميها أهل مصر الجهة القبلىة . وحدّها البحرى من قناطر السباع حيث ابتدأ الحدّ الغربى، الى قلعة الجبل حيث ابتدأ الحدّ الشرقى، فهذا عرض مصر من جهة الشمال التى تعرف بمصر بالجهة البحرية . وما بين هذه الجهات الأربع يطلق عليه الآن مصر"^(١)

ولقد حدّد المقرئى المنطقة التى كانت لا تزال عامرة على أيامه حيث قال: "وهذه الجهة (يعنى الغربية) هى أعمار ما فى مصر الآن . وأما الجهة الشرقية فليس فيها شىء عامر إلا قلعة الجبل وخط المراغة المجاور لباب القرافة الى مشهد السيدة نفيسة . ويجاور خط مشهد السيدة نفيسة من قبليه، الفضاء الذى كان موضع الموقف والعسكر الى كوم الجارح، ثم خط كوم الجارح . وما بين كوم الجارح الى آخر حد طول مصر عند بركة الحبش تحت الرصد فانه كيان"^(٢)

ويجدر بنا أن نتبع حدود الفسطاط التى ذكرها المقرئى بشىء يوضحها فنقول: قد وجدنا فى سائر المواقع التى حفرتنا فيها على سبيل البحث حتى عين الصيرة، بقايا مبان شبيهة من كل

(١) هذا الفصل فيه بعض تعديل أدخله المرحوم على نكته بحيث عند ترجمته نقلناه كما هو من خطه وقد حصل مثل ذلك فى مواضع أخرى من الكتاب .

(٢) المقرئى أول ص ٢٤٢ (٣) المقرئى أول ص ٢٤٢



شكل ٢ - رسم تقرئى عن مواقع الفسطاط والعسكر والقطائع

وجه بالمباني التي عثرنا عليها في وسط الفسطاط . ومن ذلك نستنتج : ان المدينة في أيام عمارها كانت تمتد الى حدود القرافة الحالية ، بمعنى أن حدها الشرق كان فيما وراء الحد الذي عينه المقرزى .

أما حدها القبلي، فكان ينتهي الى الرصد . وهذا الرصد وان كان لا يتأني اليوم تعيين موقعه بالدقة والضبط، لأن أبواب المحاجر نسفوا مكانه كما سيجيء، لكن يظهر أنه كان قائما على ذروة الشرف المطل على بركة الحبش . قال المقرزى : «هذا المكان عرف بالرصد من أجل ان الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي أقام فوقه كرة لرصد الكواكب، فعرف من حينئذ بالرصد»^(١) .

هذه نقطة من نقط الحد القبلي . وقد مر بنا أنه في غضون القرن السابع الهجري (الثالث عشر المسيحي)، حدثت خطة جديدة جنوبي الفسطاط، امتدت مبانيها حتى دير الطين على ساحل النيل . أما ما سامتها في الشرق، بين دير الطين والرصد، فلم يكن معمورا ، وهذه الخطة الجديدة ذكرها المقرزى فقال : «وأما الجهة القبليّة من مصر، فان خط دير الطين حدثت العمارة فيه بعد ستة سنائة، لما أنشأها صاحب نجر الدين محمد بن صاحب بهاء الدين على ابن حنا الجامع هناك، وعمر الناس في جسر الأفرم، وكان قبل ذلك آخر عمارة مدينة مصر، دار الملك التي موضعها الآن بجوار المدرسة المعزية»^(٢) .

وهذه نقطة ثانية من هذا الحد، لأن المدرسة المذكورة عين مكانها مسيو كازانوف فقال : انها واقعة في الجنوب الغربي من قصر الشمع، شمالي باب القنطرة^(٣) . ونحن نوافق على هذا التحديد، لمطابقته لما نعتقده من أن الحد القبلي للفسطاط، كان ينتهي الى النيل في القرن السابع الهجري . يؤيد ذلك جميعه، اتجاه السور الذي أقامه السلطان صلاح الدين في سنة ٥٧٥ هـ

(١) المقرزى أول ص ١٢٥ و ١٢٧، لما فرغنا من صب هذه الكرة وتركها جربها، فوجدوا الشرق الاول لبروز الشمس مسددا، فانفقوا على نقلها الى المسجد الجيوشي فوق القنطرة . راجع أيضا مذكرة مكس فان يرسم عن «جامع الجيوشي» طبع بمصر سنة ١٨٨٨ (٢) المقرزى أول ص ٣٤٧ (٣) راجع طبرغرابا لفسطاط لكازانوف ص ٦ كركي ٣

(١١٧٩ م) وكشف لنا عنه الحفر، فعثرنا على امتداده كله، عدا الجنوبي منه الذي تحت المحاجر أثره الى أهد الدهر، فان المتبج لهذا الاتجاه يحكم، ولا شك، بأن السور كان ينتهي الى النيل عند دار الملك .

أما حد مصر من جهة الغرب، فكان هو الساحل الأيمن للنيل . وهذا الحد كان ينتقل على لتابع السنين مع تنقل الجسر نحو الغرب .

بقى علينا من حدود مصر الفسطاط، حدها الشمالي . وانا نستعين على تعيين مكانه، بتعيين مكان العسكرة التي تليها من الشمال . قال المقرزى : ان حد العسكرة من الجنوب هو كوم الجارح، وحدها من الشمال قناطر السباع، ومن الغرب قنطرة السد، ومن الشرق باب المجدم^(١) . فيكون حد مصر الشمالي واقعا بين كوم الجارح وقنطرة السد، ومكانهما معروف .

هذا وفي الشمال من العسكرة، قامت القواطع حول جامع ابن طولون . وهذه القواطع كانت تمتد غربي القلعة وتختصر في الحدود الآتية : من الشمال، خط ينطبق عليه شارع الصليبية . ومن الغرب، قناطر السباع أي نواحي المشهد الزيني . ومن قبليها، العسكرة . ويدخل في هذه الحدود : سوق جامع ابن طولون، والقيبيات، والريلة، الواقع كل ذلك تحت القلعة^(٢) .

٥ - رسم تقريبي يبين مواقع الفسطاط والعسكرة والقواطع

من مقتضى البيانات المتقدمة، قد وضعنا الرسم التقريبي (شكل رقم ٢) . وهو رسم نحن في غنى عن القول بأنه لا يطابق الحقيقة تمام المطابقة، إلا أن الغرض منه تقريب أوضاع المدن الثلاث السابقة على تأسيس القاهرة . ومنه يعلم، مع الوضوح التام، أن عاصمة مصر الاسلامية كانت تنتقل من الجنوب الى الشمال . من مكان الى مكان يابسه، كما هو الحال في الوقت الحاضر، اذ نرى المدينة تمتد خططها الحديثة نحو الشمال .

(١) المقرزى أول ص ٣٠٥ وثان ص ٢٦٥ (٢) المقرزى أول ص ٣٠٥

٦ - في خراب المدينة

في الرسم التقريري السابق ، عينا للمدينة النطاق الذي كانت تشغله في أيام بلوغها أوج كالمها عند تأسيس القاهرة ، في القرن الرابع الهجري (العاشر المسيحي) . وليس عندنا شك في أن القسطنط من هذا الوقت وقف نموها، ثم أخذت تتدهور . فان قيل ولم بلغ خرابها على عهد المستنصر الذي حكم من سنة ٤٢٧ الى سنة ٤٨٧ هـ (١٠٣٥ الى سنة ١٠٩٤ م)؟ نقول ان غاية علمنا ان السكان هجروها في ذلك العهد بكثرة ، وان الخراب استولى شيئا فشيئا على دورها ، ومساكنها ، حتى جاء حريق شاور .

وليس يخطر لنا على بال ، أن نحدد المنطقة المهجورة تماما . ولكن يظهر من نصوص المؤرخين التي ذكرناها فيما سبق^(١) ، أن مدينتي العسكر والقطائع كانتا في أوائل القرن السادس الهجري يبأ خرابا . كما أن المناطق البعيدة عن وسط القسطنط كانت خالية عن السكان ، بحيث كان منظر المدينة كلها وقتئذ عبارة عن صف من المباني يمتد على ساحل النيل .

وفي نحو سنة ٥٧٦ هـ (١١٨٠ م) ، أمر صلاح الدين ، بإقامة سور يصل القلعة بجنوبي القسطنط . وقد تبين لنا من الحفر ، أن هذا السور كان يضم في باطنه بعض دور متخربة ، كما سنبينه عند ما نحدد العصر الذي ترجع اليه الأبنية التي كشفناها ، فانه جاء قاطعا لسلسلة من الدور حفر خلالها خندق رمى فيه أساسه . ولم تكن القسطنط وقتئذ تشغل المثلث المكون

(١) القريري أول ص ٣٠٥ و ٣٣٧ و ٣٦٥ و ثان ص ١٠٠ الخ .

(٢) ذكر القريري : أن صلاح الدين ابتدأ في عمارة السور في سنة ست وستين وخمسة ، وهو يومئذ على وزارة العاضد لدين الله ، فلما كانت سنة ٥٦٩ هـ « وقد استولى على الملكة انتدب لسور الطواش بها ، الذين قراوش الأسي فبناء بالجارة ... » (أول ص ٣٧٩ ص ٢٩) . وقال في ترجمة صلاح الدين ، انه : « قدم القاهرة في سادس عشرى وبيع الأول سنة ٥٧٢ هـ فأمر ببناء سور يحيط بالقاهرة ومسر قلعة الجبل ، وأقام على بنائه بها ، الذين قراوش الأسي فشرع في بناء قلعة الجبل وعمل السور وحفر الخندق حوله ... » (ثان ص ٢٣٢ ص ٣٢) . وعلق على ذلك فان يرشم ، فرج التاريخ الأخير وقال أن سنة ٥٦٦ هـ تعين بدء الوقت الذي تمكن فيه صلاح الدين من مصر ، لأن القريري أتى بهذا التاريخ على وجه الاطلاق . (الجريدة الآسيوية سنة ١٨٩١ ص ٤٤٧ ملحوظ رقم ١) .

وقال كازانوف في الجريدة المذكورة ، والمجلد السابع عشر ص ٣٢٥ - ٣٢٩ ، يجتدل أن صلاح الدين وضع مشروع بناء السور منذ سنة ٥٦٦ هـ ولم يشرع في تنديده إلا في سنة ٥٧٢ هـ ، وقد استمر العمل حتى وفاته ولم يتم .

من خط السور والنيل . وهو المثلث الذي تكوّن القلعة رأسه في الشمال الشرقى ، ودار الملك رأسه الثانية في الجنوب ، وفوهة الخليج رأسه الثالثة في الشمال الغربى ، لأن الخراب لم يكن قاصرا على ما كان ظاهر السور ، بل كان يمتد في باطنه أيضا . ولذا كان السور مستقيما ؛ بمعنى أنه لم يراع في حفر أساسه سمت الخطط التي كانت لا تزال عامرة وقتها .

وقد مرّ بك فيما سبق ، أنه في حوالى سنة ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ م) ، أنشئت في المنطقة بين دار الملك ودير الطين ، أعنى خارج سور صلاح الدين على حافة النيل ، خطة أغلب مبانيها من المناظر والهوادج الفاتحة . وانه للحصول على مواد البناء اللازمة ، نهبت الدور المهجورة من القسطنط ، بجاء بعض العامة وأقام له مساكن فوق تلك الدور المهجورة منتفعا بما أمكنه الانتفاع به من أسسها وجدرانها . ولكن هذه المساكن كانت منعزلة عن بعضها البعض ، فلم ينشأ عنها خطة كاملة ، كما أثبتته القلقشندى^(١) . ومن ثم يمكن الجزم بأن خراب المدينة لم يعمر من جديد .

أما المدينة التي أتى على وصفها في القرن الثامن الهجري (الخامس عشر للمسيح) ، كل من ابن دقاق والمقريري ، فانما هو الجانب الغربى من القسطنط . على أن حدود الخراب لم تكن تتغير في القرن الثامن الهجري ، عما كانت عليه في أواخر القرن الخامس . ومن مجموع النصوص المضبوطة المتعلقة بالخطط التي أوردها مؤرخو العرب ، يمكن الوقوف على امتداد منطقة الخراب ، وامتداد نطاق المدينة المعمورة في ذلك العهد . ويكفى للوقوف على حدودهما ، وضع النصوص الآتية بعضها بجانب بعض وتطبيقها على الطبيعة :

(١) خراب المدينة : يشمل كوم الشقاف ، وكوم الجارح ... وكوم الجارح ، وخطة باب الصفا ، وخطة أبي السعود ، كل ذلك خراب .

(ب) كوم دينار : يسكنه بعض العامة من الناس وهو مجاور لكوم المشانيق ، وواقع في الخراب .

(١) القلقشندى ثالث ص ٣٣٨ (٢) ابن دقاق رابع ص ٥٣ (٣) ابن دقاق رابع ص ٥٣

(ج) رحبة دار الولاية، فيما بين حبس بنانة وسوق الغزل في الخراب^(١).

(د) درب المصاصة: خراب، وهو مجاور نخط قصر الشمع وزقاق ابن بكر وهو من أزقة درب المصاصة، ويتوصل إليه من الدرب الجديد من تحيب، ومن درب الكرامة، ومن درب أبي بكر بسوق اليهود بالمصاصة، وهذه الأماكن كلها اليوم خراب^(٢).

وموقع الكيمان في هذه النصوص، معروف محدود. ورحبة دار الولاية، محلها فيما بين جامع عمرو وقصر الشمع، أما خط المصاصة فكان يمتد على ما أبانه مسيو كازانوفا في شرق تحيب المعلوم موقعها^(٣).

وبناء على ما تقدم، يكون حدّ الخراب من المعمور على أيام ابن دقاق، هو خط مواز للنيل تقريبا مار شرقى جامع عمرو وقصر الشمع. ومن ثمّ يمكن الجزم بأن المنطقة التي كشفناها واقعة كلها في خراب المدينة.

٧ - في جزيرة الروضة

كانت جزيرة الروضة^(٤)، من ملحقات القسطنطينية الطبيعية. وعند فتوح مصر التجأ إليها الروم في خروجهم من بابلون. وكان بها بساتين، وحدائق جميلة، ولها في جميع جهاتها أسوار منيعة. وبعد أن حاصرها عمرو طويلا، وهرب الروم منها، دك عمرو أسوارها وبقيت خرابا حتى جاء ابن طولون، وحصنها من جديد في سنة ٢٦٣ هـ (٨٧٦ م)، واتخذ فيها القصور لنسائه. ثم طغى عليها الماء فدمر تلك الدور والقصور شيئا فشيئا^(٥). وجاء محمد بن طغيج الاخشيدي وبني فيها في سنة ٣٢١ هـ (٩٣٢ م) دارا له، ذات بساتين. واتخذ فيها دارا للتوبة ودارا للغلمان^(٦).

(١) ابن دقاق رابع ص ٣٦ (٢) ابن دقاق رابع ص ١٤ وورد النص الآتي فيه رابع ص ١٦ "زقاق الزمامة بغير" تأخذ إلى المصاصة وقد سدت من أوله بلجة تحيب لاستيلاء الخراب. (٣) طيوغرافيا القسطنطينية لكازانوفا ص ١٢ كركي ٦ (٤) هذه الجزيرة على قول كازانوفا لم تكن موجودة في زمن الفراعنة وكان موقعها وتنته جزءا من الشاطئ الأيسر لنيل (راجع كازانوفا ومقدمة طيوغرافيا القسطنطينية ص ٣٥ المخطط الثالث). (٥) المقرئى ثان ص ١٨٠ (٦) المقرئى ثان ص ١٨١

وعلى أيام الفاطميين، أصبحت جزيرة الروضة من المنزهات، وأنشئت فيها المناظر الكثيرة. أما في أيام السلاطين من بني أيوب، فقد دخلت الجزيرة بما حوته، في ملك ابن أخ صلاح الدين ثم استأجرها الملك الصالح أيوب لمدة ستين سنة، وبني فيها قلعة وكل حراستها إلى المماليك من جنده وأطلق عليهم اسم البحرية^(١). وعلى عهد أول الملوك البحرية، وهو المعز أيوب، هجرت الروضة وهدم السلطان قلاون مبانيها ليستعملها في المارستان المنصوري. وكذلك ابنه الناصر، انتفع بما بقي من مواد بنائها.

الجسران الموصلان بين الروضة وساحلي النيل:

يظهر أن الروضة، كانت متصلة قبل الفتح الإسلامي بساحلي النيل يجسر من المراكب. وقد أورد المقرئى، عن خروج المقوقس من بابلون، روايات مختلفة. فقال في الرواية الأولى: «لما رأى القوم (القبط) الجند من المسلمين على فتح الحصن والحرص، ورأوا صبرهم على القتال ورغبتهم فيه، خافوا أن يظهر عليهم، فتنحى المقوقس وجماعة من أكابر القبط، وخرجوا من باب الحصن القبلي، ودونهم جماعة يقاتلون العرب، فلحقوا بالجزيرة موضع الصناعة اليوم وأمروا بقطع الجسر، وذلك في جري النيل»^(٢). وفي الرواية الثانية أغفل ذكر الجسر، فقال: «وكان هذا الحصن مطلا على النيل، وتقبل السفن إلى بابه الغربي الذي كان يعرف بباب الحديد. ومنه ركب المقوقس في السفن في النيل، من بابه الغربي قبالة مصر»^(٣).

وفي الرواية الثالثة، عند الكلام على شروط الصلح بين المقوقس وعمرو بن العاص، قال: «أجاب الثاني الأول إلى ما طلب على أن يضمنا (القبط) له الجسرين جميعا». وهذا الجسران، كما هو المفروض، كانا يصلان الروضة بالساحلين^(٤).

(١) ابن دقاق رابع ص ١٠٩ و ١١٠ وفي أرائل القرن التاسع عشر الميلادي كانت هناك بقايا من الأبنية المهمة لا تزال قائمة (راجع كتاب وصف مصر، ج ١ لوحة ٥٣، والمجلد الثاني (المتن) قسم ثان ص ١٥٩ وما بعدها. (٢) سياق نيا بعد بيان المراضع التي أقيمت فيها دار الصناعة. وقد ذكر المقرئى هنا أحد الروايات ولم يأت بالاسم ولا التاريخ. (٣) المقرئى ج ٢ ص ١٧٨ (٤) المقرئى أول ص ٢٨٦ (٥) لم يكن موجودا في القرن الحادي عشر الميلادي غير جسر واحد مكون من ٣٦ مركبا بين الروضة ومصر (ناصر خندرق "سفرنامه" ص ١٥٣). وورد في هذا الكتاب النص الآتي: "ومن المدينة تسمى على الشاطئ المقابل من النهر (الجزيرة) ولا جسر هناك والسيور بالسفن أو القوارب".

٨ - دار الصناعة

كان لبناء المراكب عدة دور ينشأ فيها الأسطول، يسمونها دار الصناعة. فأقول دار للصناعة أنشئت كان مقرها الروضة. قال الكندي: أنها أنشئت سنة ٥٤ للهجرة (٦٧٣ م) وكانت تبنى فيها السفن حتى أيام ابن طولون. وهذه أحرقت في سنة ٣٢٣ هـ (٩٣٤ م) أحرقتها أسطول محمد بن طنجج الاخشيد. ولما رأى في وجودها على شاطئ الروضة خطراً على الفسطاط، نقلها إليها في سنة ٣٢٥ هـ. وبنى في مكانها داراً^(١) أحاطت بها البساتين الفيحاء. ولكن يظن أن دار صناعة الروضة بقيت، أو بقي بعضها، يبنى بها الأسطول، لأن المؤرخين اتفقوا على القول، بأنه كان هناك داران للصناعة على عهد الفواطم: احدهما في الروضة، والأخرى في الفسطاط. وهذا الظن يؤيده التاريخ، لأن الظاهر يبهرس أنشأ في الروضة أسطولا كاملاً ليعوض به ما دمره له فرسان القديس يوحنا المقيمون في القدس في محاربتهم إيهاهم عند جزيرة قبرس^(٢)، وابنتي الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، دار صناعة في المقس^(٣)، بحيث أصبح حينئذ عدد الدور التي تنشأ فيها المراكب ثلاثة. ولا شك في أن دار صناعة الفسطاط منذ انشائها في سنة ٣٢٥ هـ (٩٣٦ م)، كانت أكبر الثلاثة وأكثرها انشاء. وقد ترك لنا المقرئ نصاً حدد فيه مكانها حيث يقول: «ان البستان الذي قام على أرض دار الصناعة، هو بستان الطواشي. وهو في أول مراغة مصر حذاء غيط الجحرف على يسار الذهاب من المراغة الى باب مصر»^(٤). وفي هذا الوصف كفاية لتحديد موقع دار الصناعة في المنطقة الواقعة قبلي مجرى العيون.

٩ - في ميناء الفسطاط

لم يمض زمن طويل على تأسيس الفسطاط، حتى غدت ميناء عظيمة على النيل، بل أعظم ميناء في مصر كلها. استمرت فيها حركة الوارد والصادر حتى في الأيام التي زاحتها القاهرة، فأرابت عليها. وفي أواخر أيام بني أيوب زارها ابن سعيد المغربي، فاندحش من حركتها حيث

(١) المقرئ ثان ص ١٧٨ (٢) المقرئ ثان ص ١٨١ (٣) المقرئ أول ص ٤٨٢ (٤) ابن دقاق رابع ص ١١٠
(٥) المقرئ أول ص ٤٨٢ ٤٨٣ (٦) المقرئ أول ص ٤٨٢

يقول: «ثم انفصلنا من هنالك (يعني عن الفسطاط) الى ساحل النيل، فأرابت ساحلا كدر التربة غير نظيف، ولا متسع الساحة، ولا مستقيم الاستطالة، ولا عليه سور أبيض، إلا أنه مع ذلك كثير العمارة بالمراكب وأصناف الأرزاق التي تصل من جميع أقطار الأرض والنيل. ولئن قلت: اني لم أبصر على نهر ما أبصرته على ذلك الساحل، فاني أقول حقاً. والنيل هنالك ضيق، لكون الجزيرة التي بنى فيها سلطان الديار المصرية الآن قاعته، قد توسطت الماء ومالت الى جهة الفسطاط. وبجسورها المبيض الشاخر، حسن منظر الفرجة في ذلك الساحل... .. الى أن قال: وأما ما يرد على الفسطاط من متاجر البحر الاسكندراني، والبحر الحجازي، فانه فوق ما يوصف. وبها يجمع ذلك لا بالقاهرة ومنها تجهز الى القاهرة وسائر البلاد... ..»^(١)

وغنى عن البيان، ان الجزيرة التي ذكرها ابن سعيد في الجملة الأولى، انما يقصد بها جزيرة الروضة التي اتخذها السلطان الصالح أيوب قلعة لجيوشه من الممالك البحرية كما مر. ومن عبارات المؤرخين يعلم أن المراكب كانت ترسو في الميناء في أماكن معينة لها حسب شحتها. فمثلاً: المراكب المشحونة بالحطب كانت ترسو في موردة الخلفاء من الساحل. وفي ناحية أخرى منه، كانت ترسو المراكب المشحونة بالأخشاب المخصصة لبناء المراكب أو لأشغال التجارة. وفي أخرى منه كانت موردة السمك التي كانوا يطلقون عليها من باب التغليب اسم ساحل البورى^(٢)، وهو نوع خاص من السمك.

١٠ - في القرافة

ان أول قرافة للسلمين، كانت تمتد فيما بين مصلى خولان الى المعافر. وخصص في جنوب هذه القرافة جهة لدفن موتى الأقباط^(٣).

ولقد كان الخلفاء الفاطميون، يدفنون موتاهم في تربة الزعفران من القصر الكبير. أما الرعية فكانت تقبر في قرافة مصر. واذ كانت مدينة مصر انحطت منزلتها حينئذ، امتدت حدود

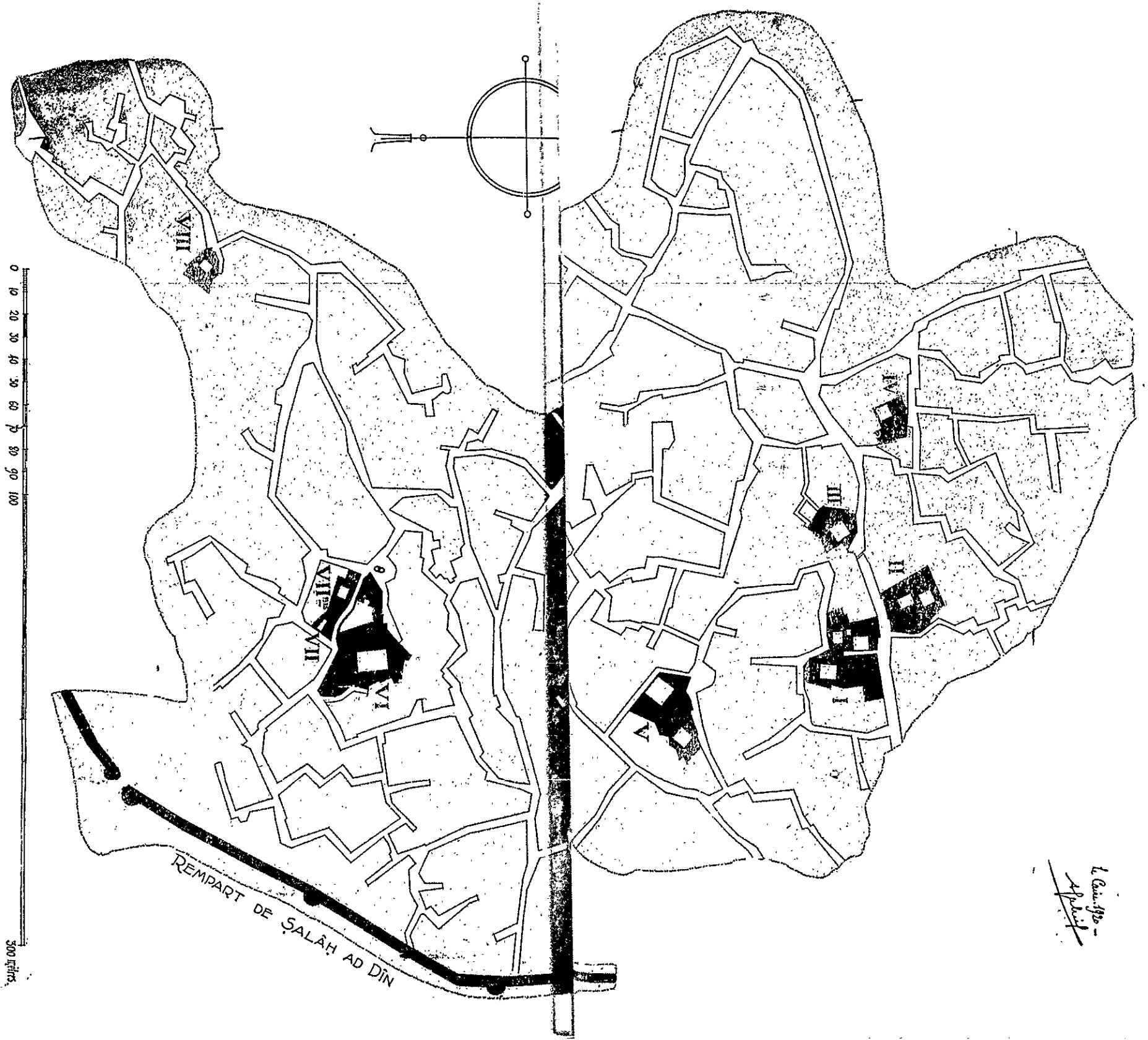
(١) المقرئ أول ص ٢٤٢ (٢) المقرئ أول ص ٢٤٥ (٣) المقرئ أول ص ٢٢٢ (٤) المقرئ أول ص ٢٤٤
(٥) المقرئ ثان ص ٤٤٣ ٤٤٤

القرافة حتى عدت على ما خلا من ساكنيه من خطة المعافر، وعلى الخصوص من خطة
بني قرافة، التي هي قريع من الأولى . ومن هنا أطلق اسم القرافة على المدافن بتلك الجهة
أولاً، ثم عم سائر المدافن . وفي أيام سلاطين بني أيوب، أنشئت حول تربة الامام الشافعي،
جملة قبور أطلق على مجموعها اسم القرافة الصغرى، وقل الدفن في القرافة الكبرى، الى أن
عاد اليها على أيام الناصر بن قلاوون^(١) .

وبعد سنة ٧٠٠هـ (١٣٠٠ م)، أخذوا يقبرون الموتى تحت المقطم، فيما يلي قلعة الجبل .
وبئذ انتشرت القرافات في شرق القاهرة وشمالياً^(٢) .

خندق القرافة - ويجدر بنا قبل أن نختم الكلام على القرافة، أن نذكر الخندق الذي حفر
حولها في القرن الأول للهجرة . ذلك، أن عامل ابن الزبير على مصر لما خشى أن يأخذه
مروان على غرة في عاصمة ولايته أمر في سنة ٦٥ للهجرة، حفر على القسطاط خندق .
وكان هذا الخندق، يبتدىء من المكان الذي دفن فيه فيما بعد الامام الشافعي ويخترق أرض
القرافة الى بركة الحبش . وفي سنة ٢٠٠هـ (٨١٥ م) كان هذا الخندق قد انطم، فأعيد
حفره عند وقوع الشقاق بين الأمين والمأمون ولدى الرشيد . وقد ذكر ابن زولاق : أن هذا
الخندق جدد حفره على يد جوهر القائد سنة ٣٦٠هـ (٩٧٠ م) خشية من القرامطة الذين
كانوا يكثرون الغارة على مصر^(٣) .

(١) القرزي ثان ص ٤٤٣ ر ٤٤٤ (٢) القرزي أول ص ٣٦٥ ثان ص ٤٤٤ (٣) القرزي ثان ص ٤٥٨ ر ٤٥٩



شكل ٢ - الخريطة المعمارية للموقع العنصر

300 meters

L. G. 1930 -
A. P. 1931

الباب الثالث

الخريطة العمومية للفسطاط وهيئتها

١ - مميزات عملية التنقيب على الآثار في الفسطاط

أشرنا فيما سلف إلى الحين التي نزلت باطلال الفسطاط حتى أيامنا هذه، وصرحنا بأن جمع مواد البناء منها وخصوصا الآجر قد أزال بقايا الأبنية القديمة من بعض جهاتها ومحي جدرانها إلى الصخر . تقول بعض الجهات ، لأن تخريب الأبنية التي كانت باقية لم يحصل على السواء ، فيينا نرى دارا من دارين متلاصقتين بقيت جدرانها قائمة على ارتفاع متر ومترين فأكثر ، نرى الدار الأخرى محيت جدرانها إلى الصخر بحيث لا نجد ملصقا به إلا بعض قطع من الآجر أو أثر المونة فقط . وقلنا ، ان زوال الجدران إلى هذا الحد سببه الترخيص بالجمعي الآجر باقتلاع الجدران من أساسها^(١) . وقلنا أيضا ، ان الترخيص باستخراج الحجر من وسط المدينة البائدة بفتح الحاجر في قلبها ، قد أدى إلى نتيجة لم تكن في الحسبان : ذلك ، لأن هذا الترخيص اقتضى ضرورة المحافظة على الطريق المؤدى إلى الحاجر ، والمحافظة عليه أدت إلى حفظ المباني القائمة تحته . فكان ما كشفناه من الدور على طول هذا الطريق أتم من غيره حفظا .

وهالك بيان الطريقة التي اتبعناها في كشف الأبنية : كنا نناثر على العمل حفرا كان أو ردما حتى نبلغ مستوى أرض تلك المباني والحواري ، ومتى وصل الحفر إلى هذا المستوى ووجدنا علامات ثابتة بجلاط الدور أو عتب أبوابها ، نوقف العمل حتى يكشف البناء الكشف النهائي

(١) من المحتمل جدا أن بعض البيوت هدمت من أعلاها إلى أسفلها بعد ان هجرت المدينة زمن قريب . وكان ذلك على كل حال قبل أن تتكون الكيان .

بالطريقة الفنية . أما اذا تعسر الحصول على شيء من بقايا جدران الأساس، فقد كما تنزل بالحفر الى الصخر . هذا، ولم يؤد بنا الحفر في كثير من المواقع إلا الى الأسس المتخذة من الحجر أو الآجر^(١) . وفي بعضها لم يكن يقع نظرنا فوق الصخر كما قلنا، إلا على بقايا قطع من البناء لا يفهم الغرض منها . وفي البعض الآخر، كان لا يقع على شيء أصلا سوى المجارير والآبار المنقورة في الصخر التي هي من الأدلة على وجود الأبنية القديمة . ومما سبق يتبين أن سائر المواقع التي كشفت ليست في درجة واحدة من حفظ مبانيها ولا فاندتها الأثرية . وهذا هو السبب في عدم وضوح تخطيط الطرقات في بعض المواقع، كما هي واضحة جلية في تخطيط مدينتي بومي وديلوس .

٢ - خريطة الفسطاط العمومية (شكل ٣).

(١) الشوارع والدروب

اتبعتنا في رسم شبكة الشوارع والدروب الطريقة الآتية :

لما كان كثير من الجدران لا يزال قائما وكانت جدران الدور الخارجية واقعة على حافة الحواري والدروب، فقد كانت لنا من هذه الجدران معالم يهتدى بها في التحديد . أما في المواقع التي أزيلت منها الجدران، فقد لاحظنا أن الآبار التي تصب فيها قصبات المراحيض وتصل بها مجارى تصافى المياه المنزلية كلها إلا النادر، قائمة على حافة الدروب . وإذا كانت هذه المجارير كثيرة العدد وبقية على أصلها لأنها منقورة في الصخر، فقد أضحى لدينا معالم ثابتة لم يكن علينا إلا أن نوصلها ببعض البعض للحصول على مجموع شبكة الشوارع والدروب، ولا يبقى لدينا مما يشك فيه من الخطوط إلا القليل الذي لا يغير شيئا في هيئة الرسم العمومي .

(١) يشاهد مثلا في اللوحة ١٥ تحت رقم ١، بقايا أساس من الحجر . وقد اندثر الجدران من الآجر ولم يبق منه إلا بعض قطع متفرقة . ويشاهد في اللوحة ١٦ تحت رقم ٤ و ٦، قطع من أساس من الآجر . ومن لخص الرسوم المبينة بها حالة الدور الآن يتضح أننا في أعادتها في الرسم إلى حالتها الأولى، كان اعتمادنا على بقايا الأساس . (٢) راجع اللوحين الحادية عشر والثانية عشر الموضوعين عن الدارين الثالثة والسادسة اللتين تكلنا عليهما في الباب الرابع . (٣) راجع اللوحة الثالثة عشر . وهي واثق يتذرفها بالمرحة بحالة تخطيطها على ما كانت عليه .

(ب) هيئة الدروب وخصوصياتها

لم تتبع في رسم الشوارع والدروب طريقة يشترك فيها الجميع، بل هي عبارة عن نية من الطرقات المختلفة الاتساع والامتداد، فأكبرها لا يزيد عرضه عن ستة أمتار، وأضيقها لا يتجاوز مترا ونصف متر . وبمجاميع الدور التي تحيط بها تلك الدروب تختلف في المساحة عن بعضها البعض . وفي بعض الأحيان نرى المتسع منها منقسما بخوذة أو عدة خوحدات .

ولما كانت المنطقة التي كشفناها خرابا، وقت أن كتب ابن دقاق والمقرزي كتابيهما في خطط الفسطاط، كما سبق، لذلك لا يتأتى البحث في تقريب الدروب والحواري التي كشفت مما ذكر في كتابي هذين المؤلفين . ولذلك أيضا، أدى التقريب الذي عمله مسيو كازانوفا وبرهن به على قوة الصبر على العمل، الى نتيجة لا تنطبق على الواقع في بعض المواقع .

وقد كان يطلق على الطرقات في الفسطاط، بنسبة عرضها واتساعها، إما اسم شارع أو حارة أو درب أو زقاق . وكانت الأسواق بمعزل عن بعضها البعض، ويطلق عليها اسم أرباب الحرفة والصناعة التي تباع فيها مصنوعاتهم، فيقال مثلا : سوق العطارين، وسوق السكاكين، وسوق القشاشين، وسوق الغرابلين، كما هو الحال اليوم في الشرق كله .

وكانت الخطط تنسب الى صناعة من الصنائع، أو تجارة من التجارات . وقد تنسب لبعض الجوامع أو الكنائس . وليس غريبا أن تكون طريقة التسمية هذه باقية من العصور القديمة، فيصح تطبيقها على المنطقة التي نحن بصدد الكتابة في موضوعها^(١) . ومن ثم يلتبس لنا العذر اذا نحن لم نتمكن من العثور على اسم بعض الشوارع أو الخطط المكشوفة؛ خصوصا، اذا روعى

(١) الجهات التي تكلم عنها ابن دقاق والمقرزي من المدينة تختلف عن المواقع التي جرى فيها الحفر، لأنها في القرن التاسع الهجري (الثامن عشر الميلادي) كان قد مضى عليها زمن طويل وهي مردومة تحت الكيان . ولا يخفى أن ابن دقاق والمقرزي كانا يتقلدان عن غيرهما من كان قبلهما سائرا لتعبده الذي كانت فيه الفسطاط زاهيا زاهرا . ولما كانت العادة والنقل بالواتر لها في الشرق الأثر الذي نلده من قوة البرهان، فان ذلك يكفي لأن يبرر استهتادا بابن دقاق والمقرزي .

عدم النصوص الدقيقة في المؤلفات التي كتبت في الخطط والآثار . ولذلك لا يسعنا القول بأن هذا الدرب كان به قبو أو سقيفة^(١) إلا بالتقريب على سبيل التخمين .

أما الدروب المسدودة ، التي عندنا منها أمثلة كثيرة ، فيظهر أنه لم يكن لها أسماء خاصة ، وابن دقاق يسميها زقاق غير نافذ^(٢) .

(ج) أبواب الدروب

كانت القاعدة المتبعة في الشرق ، منع السير في الطرقات ليلا بواسطة إغلاق أبواب الدروب ، إلى أن كانت سنة ١٦٢٢ هـ (٧٧٨ م) ، رأى الأمير يحيى بن داود ، عامل مصر ، أن يبطلها من الفسطاط . ويظهر لنا أن عتبة الباب التي كشفناها غربى الدار نمرة ٣ من قبيل غثبات الأبواب التي كانت تغلق في ذلك العهد (راجع شكل ١٤) . وكان لهذا الباب مصراعان بدليل بقاء سكرجتيه على أصلهما منقورتين في الحجر .

(د) الرحاب

يرى المتأمل في الرسم الذى وضعناه للفسطاط ، رحابا صغيرة ، تقع أحيانا عند تلاقى بعض الشوارع . وهى عبارة عن اتساع ملتقيات بعض الدروب ، لرحاب حقيقية . والرحاب التي ذكرها ابن دقاق لم تكن على ما يظهر أوسع ولا أفسح^(٣) .

(١) ذكرنا ابن دقاق كثيرا : وكان البعض يحمل الجارى والصفاق ومخالف الحمامات (ابن دقاق رابع ص ٥٤) .

(٢) كانت السقائف يقام عليها أيضا بعض الأبنية العظيمة . من ذلك سقيفة الزوايا كان يعلوها مسجد كبير وله سكن حسن (ابن دقاق رابع ص ٤٦) . وكانت هناك سقائف حاملة لدار ابن ناصر الدين الشراي (ابن دقاق رابع ص ٤٦) ، ودار ابن العبدان السمار (ابن دقاق رابع ص ٥٠) ، وأخرى سفلى مسجد عماد الدين والزبير وشيخة (ابن دقاق رابع ص ٤٦) . وكان البعض على هيئة أروقة على الشارع ، ومن ذلك : سقيفة الربع العادل ، وكانت سابقا مستطيلة بطول الربع المذكور من بحريه إلى شرقه ، عمارة على سور الربع المذكور . وهى على عهد سوان تتأمله (ابن دقاق رابع ص ٥٠) . ومن هذا القبيل قول ناصر خسرو : إن بعض الأسواق والشوارع تضام بالتناوب ، لأنها مسقوفة لا يصل إليها التور ، ويمر الناس فيها (ناصر خسرو «سفرنامه» طبع شيفر ص ١٤٧) .

(٣) ابن دقاق ج ٤ ص ٤٧ و يعلق على ذلك عتبة غير نافذة (ابن دقاق قبله) . والظاهر أن بعض الدروب المسدودة كان مسقوفة ، كسقيفة الكجاد . وكان سفلى كجاد عنده أقياس يعلم بها الرى ويصدره أرماع يرى فيه وعلوها دار كانت تدعى للربيع بن المهدي (ابن دقاق رابع ص ٤٦) .

(٤) كان ابن داود من أشد الناس ، وأعظمهم حية ، وأقدمهم على الدم ، وأكثرهم عقوبة ، فنعى من خلق الدروب والحوائث (المقريزى أول ص ٣٠٧) . (٥) ابن دقاق رابع ص ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ وما كان أوسع وأفسح من ذلك يسمى "ميدان" .

(هـ) طبقة أرض الفسطاط

بنيت المدينة على كتلة عظيمة من الصخر تشمل هضابا ، ووهادا . وتبع الشوارع والدروب على العموم اختلاف وجه الأرض القائمة عليها . وفي غالب الأحيان ترى بين أرجحة الشارع والصخر طبقة غير كثيفة من الرمل . وفي بعض المواقع يرى الصخر ظاهرا مكونا لأرض الشارع . ولقد أشار إلى هذه الميزة ، السائح العجمي ناصر خسرو ، حيث يقول : بنيت مدينة مصر خشية طغيان الماء عليها فوق هضبة من صخور كبيرة ، وسميكة . ولما خططت الشوارع والدروب ومهدت أرضها كسرت تلك الصخور ، فنشأ عن كسرها عقبات^(١) .

نقول : وهذه العقبات قد أبان لنا الحفر في أطلال الفسطاط عن كثير منها . ويظهر أن أرض الدروب وغيرها من الطرقات لم تكن مبلطة ، فإنا لم نعثر مطلقا في أى موقع من مواقع المدينة المكشوفة على أثر للبلاط أو أن الأرض مفروشة بمادة أخرى .

(و) الآبار السائلة

ذكر ابن دقاق بعض الآبار السائلة^(٢) ، وقال : إن بعضها قائم في وسط الطريق^(٣) . وقد كشف الحفر بئرا من هذا القبيل ، واقعة في وسط رحبة صغيرة . وسيجىء لنا ، أن هذه البئر كانت تمتد بمائها حوضا في إحدى الدور القريبة منها ، يجمعه بها عقد^(٤) . وهى أول بئر عثرنا عليها من هذا القبيل . وليس ذلك بالغريب لأن البيوت التي تحوى الآبار كثيرة العدد^(٥) .

٣ - منظر بقايا المدينة

كل من زار أطلال الفسطاط التي كشفها الحفر ، يشق عليه ، أن يتصور أن هذه الكتل من الآجر القديمة الشكل ، قائمة في مكان عاصمة كان لها شأن عظيم ، وإن هذه الدروب والحواير الضيقة التي ترى على جانبيها قطع من بقايا الجدران ، ازدحمت في غابر الأزمان بالمارة

(١) ناصر خسرو «سفرنامه» طبع شيفر ص ١٤٦ (٢) ابن دقاق رابع ص ٣٦ و ٤٧ (٣) ابن دقاق رابع ص ٤٨ (٤) راجع الدار السادسة في الباب الرابع . (٥) من المعلوم ، أن المياه التي في باطن الأرض تزيد ملوحتها كلما ابتعدت من النهر . ولذلك كان يؤتى للشرب بالمياه من النيل ويوزعها السقاؤون في أنحاء المدينة بالقرب (ناصر خسرو «سفرنامه» طبع شيفر ص ١٥٢) .

ومع ذلك، لم تكن هذه المدينة التجارية تصلح للسكنى، فان ابن رضوان المصرى الطبيب الذى كان طبيب الخليفة الحاكم بأمر الله فى القرن الخامس الهجرى (الحدادى عشر المسيحى)، قابل بينها وبين القاهرة من حيث الصحة والنظافة فقال: "وأزقة الفسطاط وشوارعها ضيقة، وأبنيتهما عالية ... ومن شأن أهل الفسطاط، أن يرموا ما يموت فى دورهم من السنائر والكلاب ونحوها، من الحيوان الذى يحالط الناس فى شوارعهم وأزقتهم، فتعفن وتخالط عنوتها الهواء. ومن شأنهم أيضا، أن يرموا فى النيل الذى يشربون منه فضول حيواناتهم، وجيفها، وخرارات كنفهم، تصب فيه. وربما انقطع جرى الماء فيشربون هذه العفونة باختلاطها بالماء. وفى خلال الفسطاط، مستودعات عظيمة يصعد منها فى الهواء دخان مفرط. وهى أيضا كثيرة الغبار لسخانة أرضها، حتى انك ترى الهواء فى أيام الصيف كدرا يأخذ بالنفس، ويتسخ التوب النظيف فى اليوم الواحد. واذا مر الانسان فى حاجة لم يرجع إلا وقد اجتمع فى وجهه ولحيته غبار كثير. ويعلوها فى العشيات، خاصة، فى أيام الصيف بخار كدر أسود وأغبير، سيما اذا كان الهواء سليما من الرياح..."

وهذه الصورة المتفردة، ربما كانت هى السبب فى تنقل العاصمة، من مكان الى مكان، نحو الشمال، والبحث وراء الموقع الذى يمكن أن تهب فيه الرياح الشرقية^(١). على أن بعض خطط الفسطاط لم تكن لتخلو عن الرياح الطيبة ولا تجرد عن العفونات، كما يصفها ابن رضوان، فان الجانب الذى يصفه يوافق وسط الأسواق، وحركة التجارة، حيث يبلغ فيها السكان أقصى الزحام فيما جاور الجامع والنيل^(٢). أما الخطة الحميلة التى يذكرها ابن حوقل، فلا شك فى انها كانت تمتد الى الشرف، والى حافة بركة الحبش التى كانت على أيام خلفاء الفاطميين مفعمة بالمناظر العديدة البديعة^(٣).

(١) القرزى أول من ٣٢٩ ر ٣٤٠

(٢) ولقد اتخذ الخليفة العزيز موقعا فى القاهرة لأن مكانها لم يصبه فقال له: «فأناك بناء القاهرة على النيل فهلا كنت بينها على الجرف». وفى الشرف الذى عليه الرصد، يريد بذلك مكانا أليق هواء من موقع العاصمة القديمة (القرزى أول من ١٢٨ وعن المواضع التى كانت تعرف بالشرف تراجع من ١٢٥). (٣) ابن حوقل من ٩٦ (٤) القرزى أول من ٤٨٦

من الناس، من كل الأجناس، وان هذه البقاع الخالية كان يسمع فيها لفظ أكبر الأسواق المصرية المشحونة بالبضائع، مع أن المؤلفات التاريخية تقدم لنا فى هذا الباب نصوصا لو طبقناها على هذه البقايا التى انكشف عنها الحفر، ساعدت على تصور الحال التى كان عليها الفسطاط قديما. وانا نورد هذه النصوص مبتدئين بما ذكره ابن حوقل، الذى ساه فى مصر فى القرن الرابع الهجرى سنة ٣٦٧ هـ (٩٧٧ م)، حيث يقول: والفسطاط مدينة حسنة يتقسم النيل لديها وهى كبيرة نحو ثلث بغداد ومقدارها نحو فرسخ، على غاية العجالة والطيبة واللذة، ذات رحاب فى محالها وأسواق عظام فيها ومتاجر نفام ولها ظاهر أتيق وبساتين نضرة ومنتزهات على ممر الأيام خضرة^(١).

ولما قدم ناصر خسرو مصر سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٦ م)، كانت الفسطاط لا تزال فى غاية العجالة، فانه وصفها بقوله: "حينما يرى الانسان من بعيد مصر الفسطاط، يظن انها جبل، فيها دور من أربع عشرة طبقة، وأخرى من سبع طبقات. وقد سمعت من ثقة: أن بعض الناس كان له بستان على سطح دار له من سبع طبقات، فأصعد الى هذا السطح بجلا صغيرا، وغناه حتى غدا ثورا، وركب فى السطح ساقية يديرها الثور، فصعد الماء الى السطح الذى غرس فيه شجر البرتقان، من الحلوى، والموز، وأشجارا أخرى مثمرة، وزرع فيه الأزهار، والرياحين من سائر الأنواع". ولكن ما يلفت النظر من وصف هذا السطح الفارسي، انما هو كثرة الثروة فى الأسواق، والازدحام فيها وجمال الأعياد التى حضرها، حيث يقول: "لو وصفت هذه الأعياد لما وسع كثير من الناس أن يصدق كلامي، ويرمى بالمبالغة والاعراق، فان حوانيت القصارين والصبياغ والحوانيت الأخرى، مفعمة بالذهب، والحلى، والبضائع، والأقمشة من الحرير والقصب، لدرجة لا يجد فيها المشتري محلا يجلس فيه". وختم هذا الوصف، بقوله: "رأيت بمصر ثروة جسيمة، وأموالا جمة، لو هممت بوصفها، لما صدق أحد من سكان بلاد العجم كلامي"^(٢).

(١) ابن حوقل من ٩٦

(٢) ناصر خسرو طبع شيفر، من ١٤٦ و ١٤٧

(٣) ناصر خسرو طبع شيفر، من ١٥٥

ما يقبض نفس التنظيف، ويقبض طرف الظريف^(١) . وفوق هذه الأطلال الدارسة، أُلقيت شيئاً فشيئاً الأتقاض، بحيث انه لم يمض غير قليل، حتى تكوّنت على خطة "الخراب" هذه الكيان العالية . ومن هذه الكيان كانت تؤخذ مواد البناء التي يمكن الانتفاع بها في الأبنية الحديدية من آجر وخشب وأبواب وبلاط وغير ذلك، حتى أدى إخراج هذه المواد من باطن التلال في بعض المواضع التي كشفناها، الى أن الباقى من المباني كان عبارة عن كُتل لا يفهم أصلها كما سنثبت في هذا الكتاب .

(١) ذكر ذلك القرزى أول ص ٣٤١

أما ما جاور الفسطاط، فكانت تكثر فيه البساتين الواسعة : كبستان بنى مسكين، على مقربة من بركة قارون^(٢)، وبستان بنى سنان البصري، خارج مدينة الفسطاط . وهذا البستان الذى أعجب به المأمون بن هارون الرشيد، حينما جاء مصر فى سنة ٢٠٧ هـ (٨٢٢ م)، كان فى غاية السعة، فان مالكة كان يؤدى عنه فى كل سنة نحاجا يقدر بعشرين ألف دينار، ويحجى منه غلة سنوية مقدارها مائة ألف دينار^(٣) .

وما سبق من وصف الفسطاط، انما ينطبق على زمن سعادتها . وبعد أن هجرها السكان قليلاً، بقيت أسواقها على حالها من الضخامة . وقد أتى ابن سعيد المغربى على وصف ما بلغته المدينة من عظم التجارة، وكثرة الصناعة، وقت مروره بها حيث يقول : "وبمدينة الفسطاط مطابخ السكر ومطابخ الصابون ومسالك الزجاج ومسالك الفولاذ ومسالك النحاس والوراقات مما لا يعمل فى القاهرة ولا غيرها من الديار المصرية"^(٤) .

ولقد كانت كثرة الميرة والحبوب، فى مطامير الفسطاط، سبباً فى رخاء العيش فيها، رخاء يزيد على ما كان عليه الحال فى القاهرة، لأن القاهرة كانت مسكناً للكبراء ومقراً للأمرء . وفى ذلك الوقت، كانت ترى أطلال الخلل التي هجرها أهلها من الفسطاط فى شمالى أسواقها وشرقيها .

ولقد زار ابن سعيد المغربى الفسطاط، كما يزور سياح الوقت الحاضر آثار القاهرة، فركب إليها من باب زويلة حماراً . ولكنه لم يبلغها حتى شاهد منظراً مخزناً، قال : "ولما أقبلت على الفسطاط أدبرت عنى المسرة، وتأملت أسواراً مثلمة سوداء، وأفاقاً مغبرة . ودخلت من بابها^(٥)، وهو دون غلق، مفض إلى خراب معمور، بمبان سيئة الوضع، غير مستقيمة الشوارع، قد بنيت من الطوب الأدكن، والقصب والنخيل طبقة فوق طبقة . وحول أبوابها من التراب والأزبال

(١) القرزى أول ص ٢٩٧

(٢) قدم المأمون الى مصر فى سنة ٢١٧ هجرية كما ذكره الكندى فى تاريخ مصر رولاتها ص ١٩٢ مكوش

(٣) القرزى أول ص ٣٣٤ (٤) ابن دقاق رابع ص ١٠٨

(٥) يحتمل أن يكون باب الصفا، لأنه كان على الطريق عند المروج من باب زويلة الى الفسطاط فخر الخليل .

الباب الرابع

الدور ذوات الحيشان المتوسطة ووصفها

الدور التي نتكلم عليها في هذا الفصل متفرقة في عدة نقط بمنطقة الحفر، كما يتبين من الخريطة العمومية (شكل ٣) . وهي نوع من المساكن ان لم يكن قد عم مدينة القسطنطينية، فانه عام في المنطقة التي تم كشفها . وما جمعناه من الأمثلة قد انتقيناه من بين دور كثيرة، وضعت تصميماتها على أصول متشابهة .

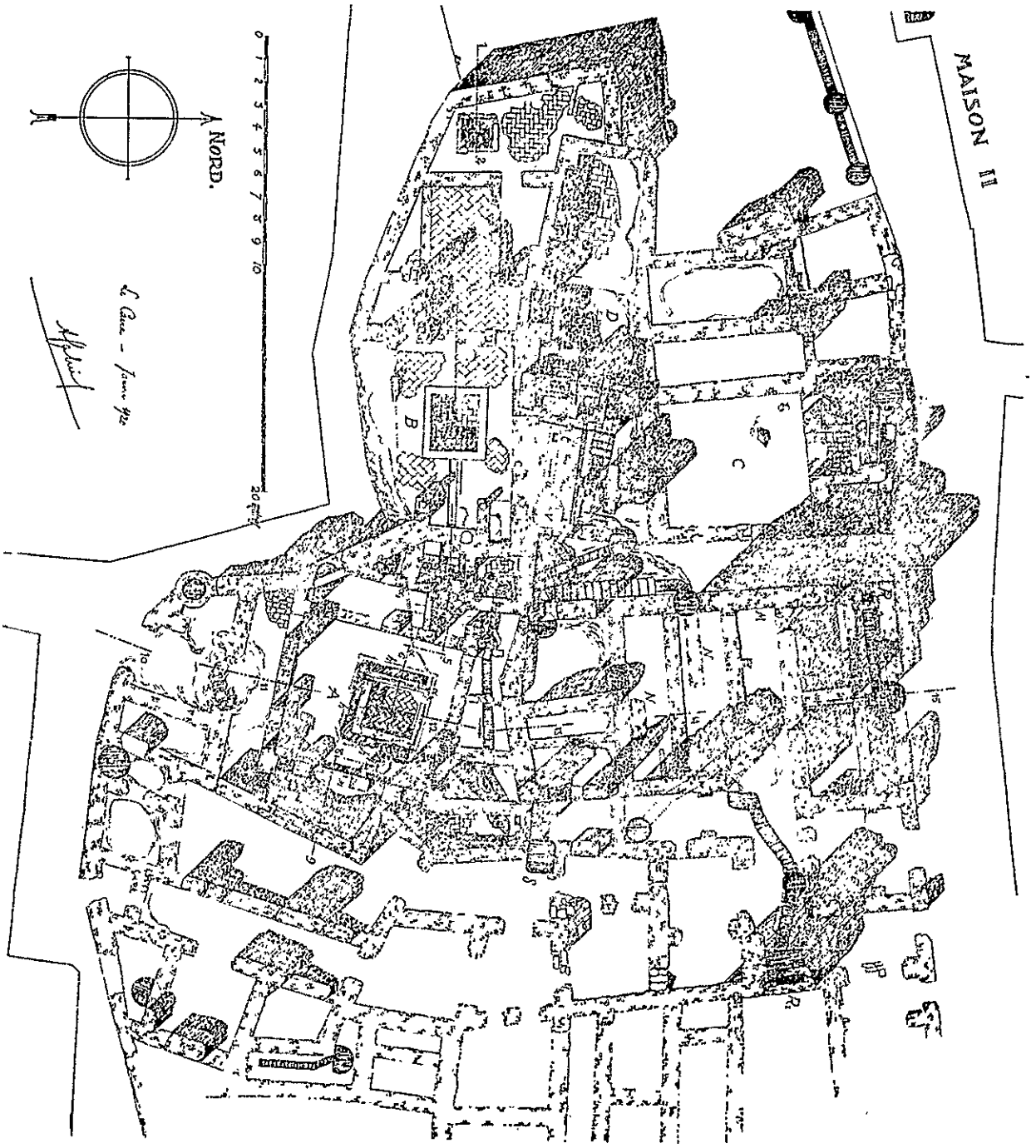
المجموعة الأولى من الدور

(راجع اللوحات السابعة ٢ والثامنة ٢ والتاسعة والأشكال ٤ و٥ و٦ و٧ و٨ و٩)

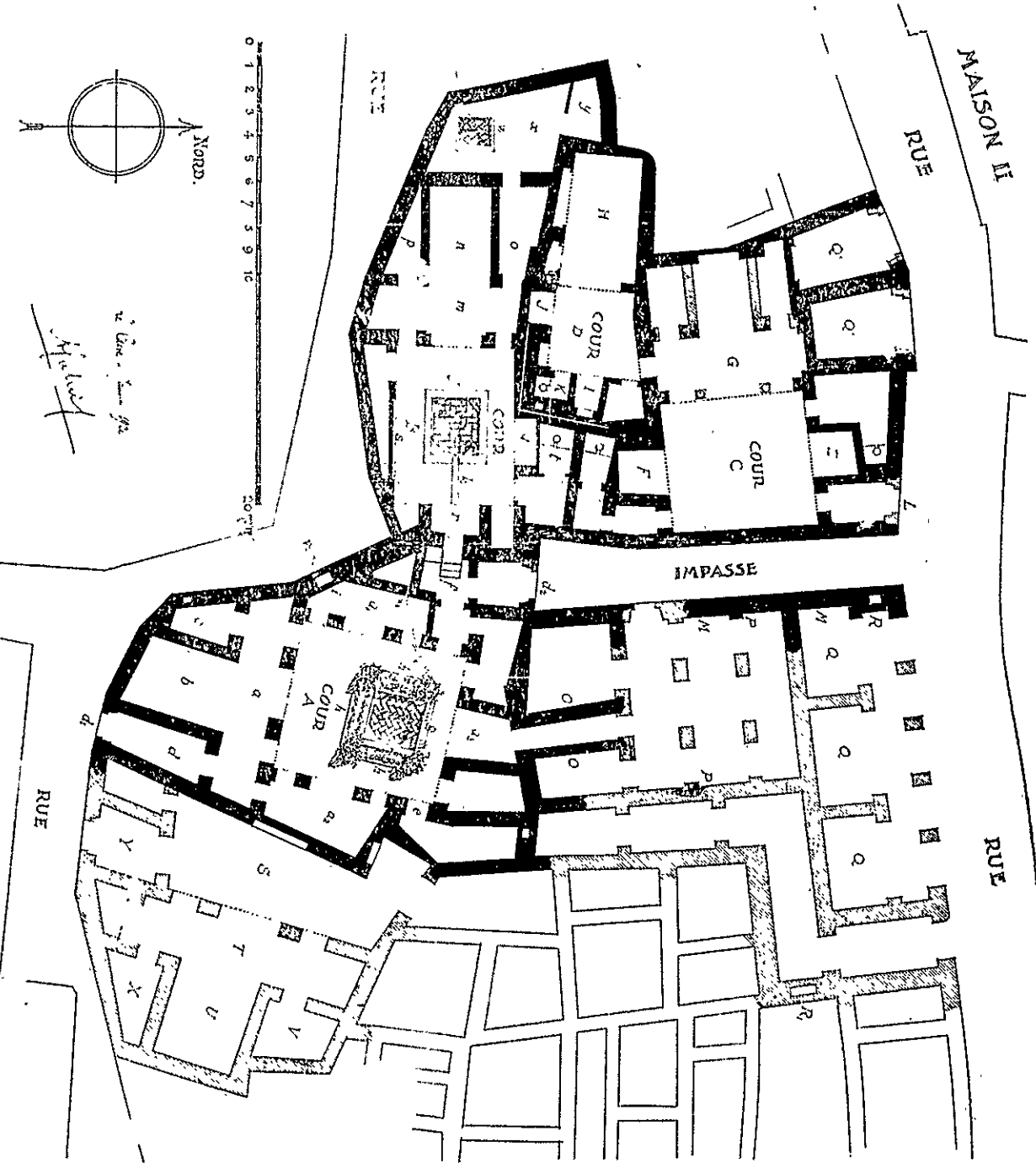
اجتمع في هذه الدور من الجدران ما زاد في الارتفاع على غيره، في المنطقة التي كشفناها حتى الآن . وبعض هذه الجدران ما زال محفوظا بارتفاع خمسة أمتار (راجع اللوحة ١٩ - ١) . ولكن ذلك في نقط متقطعة . وقد اندثر من المباني المجاورة أكثرها حتى الصخر . ومن الاطلاع على المسقط الأفقي للدار (شكل ٤) ، تدين هيئتها العامة .

وغنى عن البيان ، أنه ليس من السهل، في مثل هذه الأحوال، الاهتداء الى أوضاع الرسم الأفقي ، وتعيين عدد الدور المنفردة ، وحدودها . وما نحن بصدد منها، واقع على طريقتين : أحدهما في الشمال ، والآخر في الجنوب . ويظهر أن الطريق الشمالي ، كان من أهم طرق المدينة، يخرج منه زقاق غير نافذ، ويخلل الدور .

(١) سيرد في سياق كلامنا في هذا الكتاب، بجانب الدار ذات الموش المائة للدار الرومانية دوسس (domns) وسواها، دور أخرى ذات ملحقات عديدة من قبيل الدار التي يدعونها الرومانيون أنسولا (insula) ، أي جزيرة، لأنها تتكون من عدة دور مجتمعة تابعة لمالك واحد وتحيط بها الطرق من جميع الجهات فتكون في وسطها كالجزيرة . وسيوضح هذا الموضوع في محله بما فيه الكفاية . والآن نكتفي بأن نقول : أن ما يتبين لنا طرزه تحرييا في هذه الأبحاث الأولية، يتكون من طائفة مخصصة من دور القسطنطينية .



شكل ٤ - الجزيرة الأولى من الدور، والسفح الأدنى كما هو الآن



شكل ٥ - الجزيرة الأولى من الدور (السفح الأدنى بعد إعادة إلى أصله)

وفي الجنوب الشرقى الحوش الأول A ، تحيط بثلاثة من جوانبه الأروقة « 1 »، « 2 »، « 3 » (راجع شكل ٥) وربما كان هناك إيوان في « 4 » ، كما يستدل على ذلك من أثر الأساس^١ .

ومن الرواق « 5 » ، يتوصل الى قاعة كبيرة b ، تكتنفها من طرفها حجرتان « 6 » ، كما يتضح ذلك من الوضع العمومى الذى نجده فى عامة الدور .

وكان لزوال بعض الجدران، أثر عظيم فى الصعوبات التى تحول دون الوصول لمعرفة التخطيط الأصيل ، واعدته سيرته الأولى . ولذلك كانت تعييننا لموقع المدخل فى نقطة « d » ، على سبيل التخمين .

وإذا حاذينا جانب الرواق الشرقى فى سيرنا ، نجد بابا على حجرة صغيرة « e » ، يقابله فى الجهة الأخرى من الصحن، باب يؤدى الى سلم f ، بعض درجاته مازالت باقية فى مكانها .

وفى الصحن فسقية « g » من النوع المعروف ، مربعة الفتحة ، مئمة الجوف ، تحيط بها من الجهات الثلاث : القبلىة، والشرقية، والغربية، حفرة (أو حوض) « h » ، وجدت عند فحسها مملوءة بالطمي مما يدل على أنها كانت مزروعة بالزهور وغيرها . وسير علينا ذكر عدة فسقيات من هذا القبيل .

وأما مياه هذه الفسقية، فترد فى براجى من الفخار « i » . وهذه البراجى يمكن تتبع اتجاهها، فهى تتجاز j ، بعد أن تخرج من خزان مثلث الشكل، فى صلب الجدار الذى على الطريق الغربى . وهذا الخزان يكاد يكون على أصله ، إذ لا تزال نرى بعض قبوه ، وأرضه المبلطة بالحجر، وملاطه المصنوع من الجير والرماد . وفوق ذلك ، بقية من بلاط آخر، يستدل منها على أن الخزان الأول ، كان فوقه خزان آخر منفصل . وسنرى عند فحس الجهة القبلىة الغربية من هذه الدور ، ان ظننا هذا له مبرر . ويجاور الخزان بئر k ، يمكن ملء الخزانين منها . ومن

(١) يطلق الايرانى فى العبارة العربية على ما هو معروف بهذا الاسم وعلى الجزء الداخلى فى جوانب الجدران دل على الصفة وهو ما نرى من ما يلفظ ايوان . وقد أطلق فى بعض الوثائق على هذه الصنف اسم «نصبة» .

المحتمل ، ان الماء كان يرفع بالطريقة المعتادة أى بواسطة البكر والرشاء والدلو ، ويصب فى مجار موضوعة وضعاً مناسباً ، يساعد على جريان الماء بموازاة السطوح أو الطبقة الأولى .

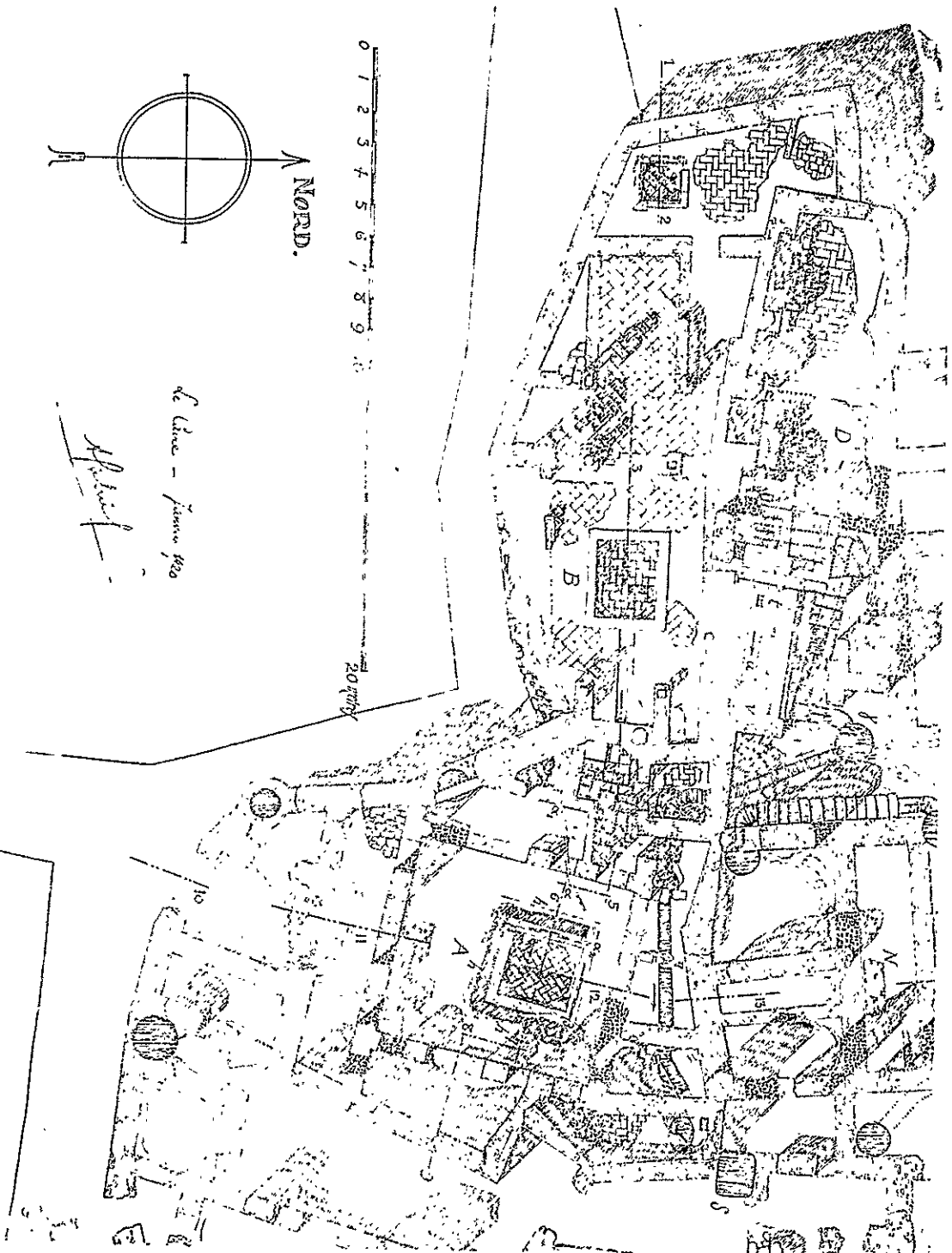
والسلم r ، لم يبق منه إلا درجتان سفليتان ، وبسطة . وهو ينعطف نحو الجنوب . على شكل زاوية قائمة . وتحت الدرجتين قبو مكسور فى مبدئه . وقد ذكرنا هذه التفاصيل عن السلم والحوض ، لنبرهن على تبعية الأبنية القائمة فى الجهة القبلىة الغربية للأبنية التى وصفناها .

وفى الواقع ، ان أول قبة من السلم ، تؤدى الى حوش ثالث نرزم له بحرف B ، بوسطه فسقية s ، وهذه الفسقية تأتىها المياه بواسطة القناة « t » ، من الخزان الأعلى الذى أشرنا اليه فيما سبق . ومن ثم تتحقق الصلة بين الحوشين A و B .

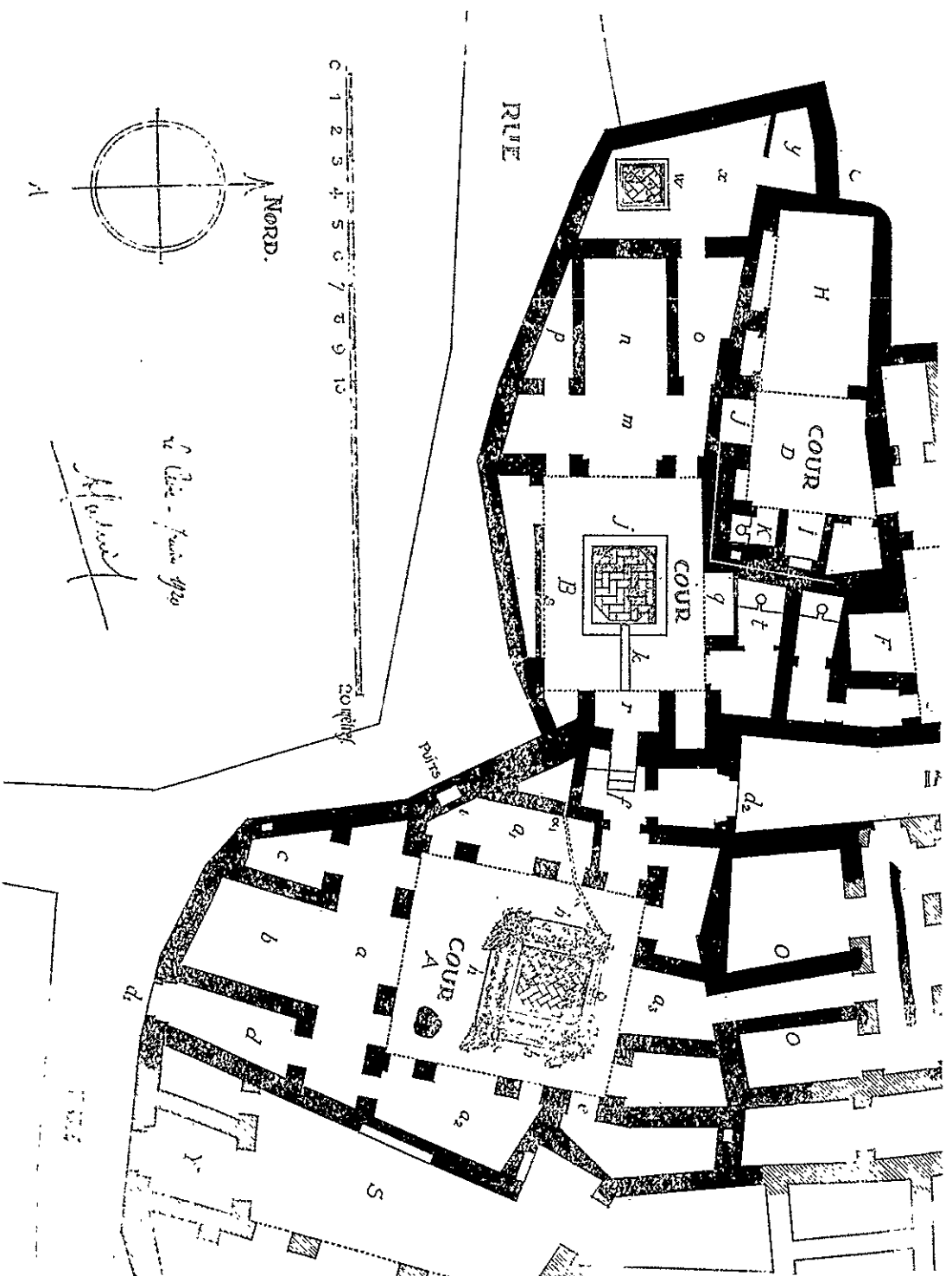
ومما ينبغى التنبيه عليه ، أنه لا يزال هناك بقية طيبة من البلاط ، فى الحوش المرموز له بحرف B ، وفى الأروقة والقاعتين المجاورتين لها ، مما يدل على أن مستوى أرض هذا الخناح كله ثابت على أصله تماما . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فان محور درج السلم r على سمت محور الحوش B وهناك بلاطة من الحجر مبيتة فى الجدار المبنى بالطوب (٤ من الشكل ٦) يستدل منها على أن هذا الجدار كان به باب بمستوى البسطة العليا . ومن ذلك يظهر أن الحوشين A و B كانا تابعين لبيت واحد .

وجول الحوش B ، الرواق « m » ، والقبعان « n »، « o » ، والايوانان « p »، « q » . ومحور الايوان « s » يقابل محور الايوان « q » . والمراحض « t » ، مركبة على المحور « u » ، المنتهى بالبيارة « v » (شكل ٦) . وفى الغرب من هذا الحوش، فسقية صغيرة « w » ، لا تصل اليها المياه من جهة ما ، فى أرض الحجرة (أو الحوش) « x » الملحقة بها حجرة صغيرة « y » .

والظاهر ، أن هذا المكان كان قاصرا على الحوشين A و B بمراقفهما ، فكان محتويا على جناحين متشابهين من البيوت . ويغلب على ظننا أن الحوش المنخفض « A » ، وهو أوسع الحوشين واليه يسلك من الخارج ، قد كان يتوسط قاعات الاستقبال .



شكل ٦ - الجزيرة الأولى (تفصيل عن القسم B-A في الآن)

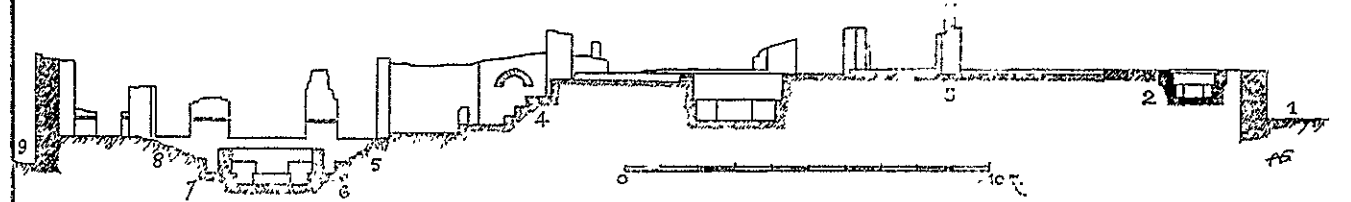


شكل ٧ - الجزيرة الأولى (تفصيل عن القسم A-B في الآن)

أما الحوش المرتفع، فكان مخصصاً للحريم . وربما، ان كلا من الجناحين كان له مدخل خاص . فكانت الرجال يدخلون من الجهة القبلية من Z ، وتدخّل الحريم من نهاية الزقاق الغير نافذ Z' . فهل يسوغ لنا مما توضح أن نعتبر جميع الأبنية بالحوشين شمالي الدار مستقلة عنها؟ وفي الواقع، ان وجود البيارة γ والبيارة δ يربطهما مجرور واحد (شكل ٦)، دليل على أن الجهات البعيدة كانت تابعة لدار واحدة، أو على الأقل في حيازة مالك واحد . ولكن القاعتين الكائنتين في الجهة البحرية الغربية حول الفضاء C ، كانتا على استواء أرض الحوش A ، وهي متحدة مع الشوارع في مستواها العمومي . ولم يكن لهذه الأرض اتصال بالحوش B المرتفعة أرضه . ولذلك تعتبر هذه المنطقة البحرية الغربية كدار مستقلة .

أما الحوش C ، فيتصل به إيوانان D و E (شكل ٤) . ولا بد من وجود رواق معهما في G وقد وجد في الحوش تاج كورنثي، يظهر أنه كان مستعملاً في الرواق . وكان بالدار عدة غرف ومراحيض وحوض للغسيل وغير ذلك .

وقد رسمنا في D حوشاً حوله قاعة H وإيوانين صغيرين J و I ومراحيض K وكلها صغيرة المقاس ومنظرها على غاية البساطة . ويظهر ذلك من أثر البلاط المركب بغير نظام .

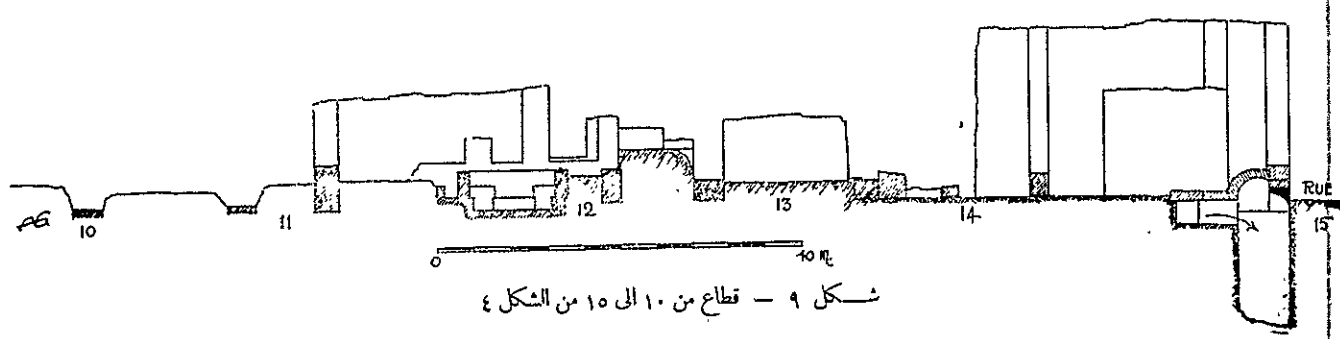


شكل ٨ - قطاع من ١ - ٩ من الشكل ٤

ويجوز أن يكون الحوش D ، واقعا أمام قاعات الاستقبال . أما الحوش C ، فإلى خاص بالحريم . وقد جعلنا في Z على الشارع العمومي، مدخل الدار .

(١) هذا القول لا يخرج في الحقيقة عن الفرض والتخمين، فقد جفرتنا عند قتلتي d_1 و d_2 حتى وصلنا إلى أرض الشارع، ولكننا لم نثر إلا على أساس جدران ليس فيها أبواب ولا أعتاب .

ولم يبق إلا أن نفحص الجزء الشمالي الشرقي من المباني، مع ملاحظة أن بعض الجدران المرموز لها بحرف A ، معدودة من أكثر الجدران ارتفاعاً بين ماتم كشفه . وما عداها مما يجاورها، زال أثره حتى الصخر كما سبق ذكره .



ويلاحظ من جهة أخرى، ان بقايا الأبنية الأكثر قدماً وهي المرموز لها بحرف N, N' ، يصعب تمييزها عن غيرها . وقد رسمناها بهذا الوضع على سبيل الظن والتخمين . ويدل وجود الكتفين المربعين P, P' على أنهما كانا مستعملين كدعائم متوسطة . أما الجدران O, O' ، فيدلان على أن هناك دهليزاً يؤدي إلى الحوش A . وكل ذلك يجعلنا على الظن بأن هذا الجزء من مرافق البيت B, A .

وما سبق بيانه جئنا به احتمالاً . وهناك مسألة لا تقبل الشك، وهي أن القاعات التي من قبيل Q, Q' كانت حوانيت مفتوحة على الشارع، فوقها مقعد معقود . ويستدل على ذلك بأثر الأكتاف المبنية بالطوب . ومنها جزء قد تحول عن أصله . ويجعلنا على التأكيد بوجود هذه الدكاكين المصفوفة على حافة الطريق، وضع مماثل لهذا لا تزال نتذكره في شوارع بومبي وديلوس . وقد أتيج لمسيو هرزفيلد رؤية شيء من هذا القبيل في سر من راي (سامرا) .

بقيت مسألة تعرض لنا كلها بحثنا في دار من الدور، وهي مسألة الطبقات، فانتنا لم نلاحظ بين المباني التي سبق لنا وصفها، وهي لا تحتوي على أقل من مسكنين مختلفين، غير

(١) سامرا طبع برلين سنة ١٩١٢ ص ١٤ وما يليها .

مبدأ سلم . وقد قلنا أنه ذو قلبتين بزواوية قائمة ، ولكن هذا الوضع لا يكفي لأن يتخذ دليلا على أن هذا السلم كان يوصل لدور عال ، اذ ربما كان الغرض منه الوصول الى الأحواض والمحل الذي تستخرج منه المياه من البئر .

وفي بعض الجدران ، قنوات مستطيلة القطاع شبيهة بالمداخن التي تستعمل الآن . وهي مدهونة من داخلها دهانا متقنا . وكانت واصلة الى الحجارير أو البيارات^(١) . ومن الصعب تحديد وظيفتها . ولا يسعنا التسليم بسهولة بأنها كانت مخصصة لتصريف المياه من السطح الى الحجارير، لأنها كبيرة القطاع . ولا يمكن أن يكون المراد منها مثل هذا فقط، لقلة نزول الأمطار في هذه البلاد . ولو كان القصد تهوية البيارات والحجارير، لكان مقاسها أقل مما هي عليه .

ويغلب على الظن ، أن هذه الأقنية مصارف مراحيض الطبقة العليا . وهذا دليل على أن جزءا من الطبقة السفلى، على الأقل، كان فوقه طبقة أخرى . وترى في الجدران العالية ، مواضع ركوب أطراف العروق . وهذه المواضع منحطة قليلا عن قمة الجدران . ومن وضعها هذا ، يعلم أنها كانت تحمل سقف الطبقة العليا ، أو على الأقل سقفا متوسطا بين الطبقتين السفلى والتي تليها . ولكن هذه المعالم لا تساعدنا على ترجيح أحد الرأيين على الآخر . ولما كان أسلوب البناء والمواد المستعملة فيه واحدا ، من الأساس الى القمة، فلا يسعنا، كما هي الحال في ديولوس مثلا ، أن نحكم أن كذا من الأوضاع لا يصح اتخاذه في غير الطبقة الأولى . وعلى كل حال ، ان ما تخيلناه في رسم الطبقة السفلى توجد به البيانات الكافية، لتكوين المرافق التي تكفل الراحة لسكنى الأسر .

ومما يلاحظ ، ان هذه الدور التي أتبنا على وصفها كانت تسكنها أسرة واحدة من متوسطى الناس . وليست من محال الاستغلال التي كانت تبنى على شكل مغائر لهذا .

أما البيت الملاصق للحوش A ، من الشرق ، فيمكننا تصور مشتغلاته كما يأتي : حوش S ، ورواق T ، وقيعان X, F, U ، ومدخل في Y .

(١) راجع الشكل الرابع R وفي اللوحة التاسعة عشر رقم ١ ربما القناة واتصالها بالحجور .

والمباني التي في الجهة البحرية من هذه الدور، إنما هي، من بقايا أساس ولا تكفي للوقوف على الوضع الأصلي ،

الدار الثانية

(اللوحة العاشرة ١ و ٢ والأشكال ١٠ و ١١ و ١٢)

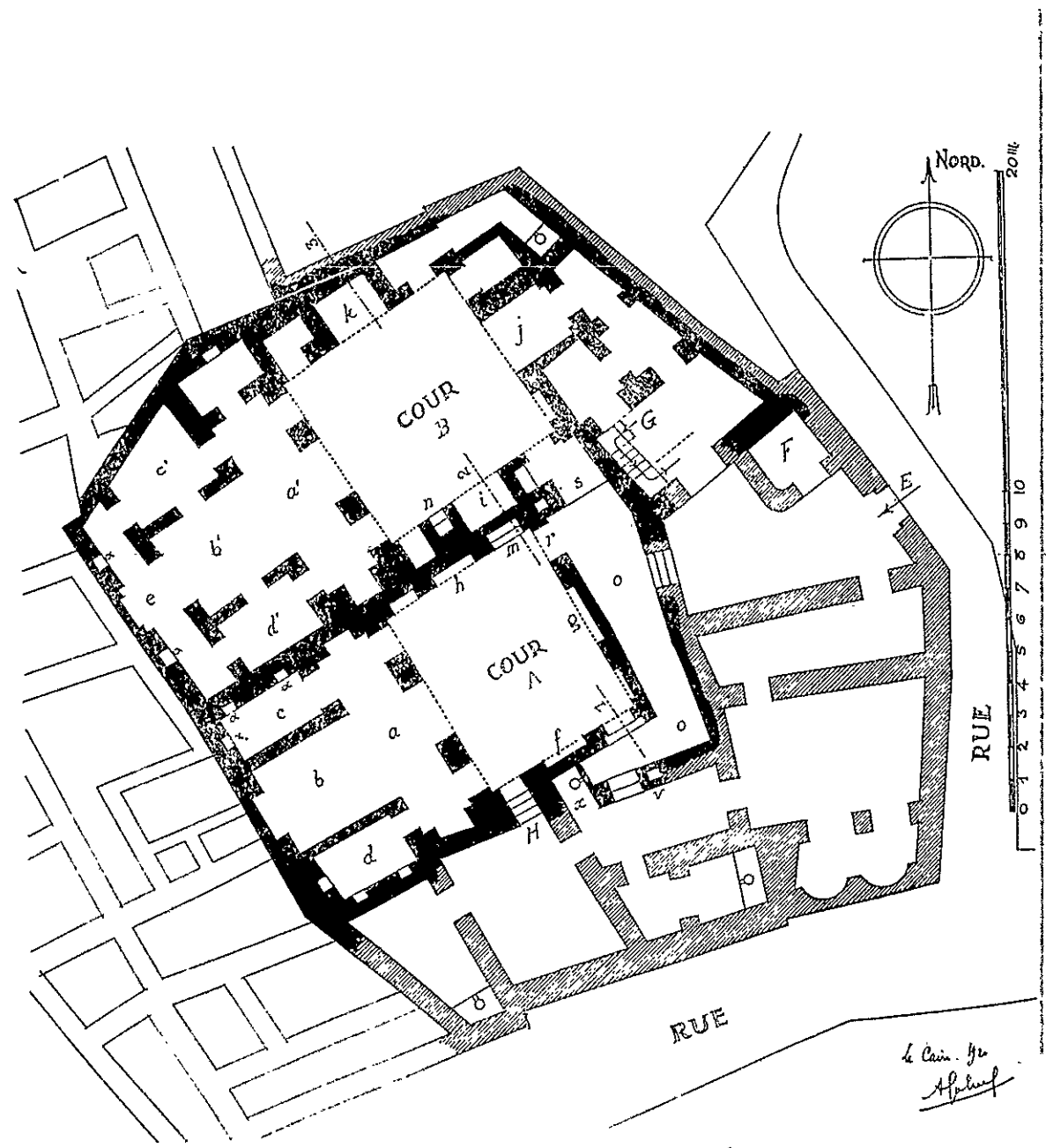
يتعذر تعيين حدود هذه الدار على وجه قطعي . والحدود التي أوردناها ، إنما أخذت من واقع معالم مختلفة ، فهي من الفروض غير مقطوع بصحتها ، ومن الصعب الاهتداء منها الى أدلة حاسمة .

ويلاحظ أن هذه الدار لها نظام غريب، انفردت به عن غيرها مما كشف حتى اليوم من الفسطاط (راجع الشكلين ١٠ و ١١) . فهي تحتوى على حوشين متجاورين B, A ، كل منهما يعزل عن الآخر ومساحتها تكاد تكون واحدة ، والفاصل بينهما جدار بسيط . وقد بنيت الأجزاء الداخلة في الحوش B غير مرتبطة بالجدار الفاصل . ولذلك ، يغلب على الظن ان المباني الغربية متأخرة عن المباني الشرقية .

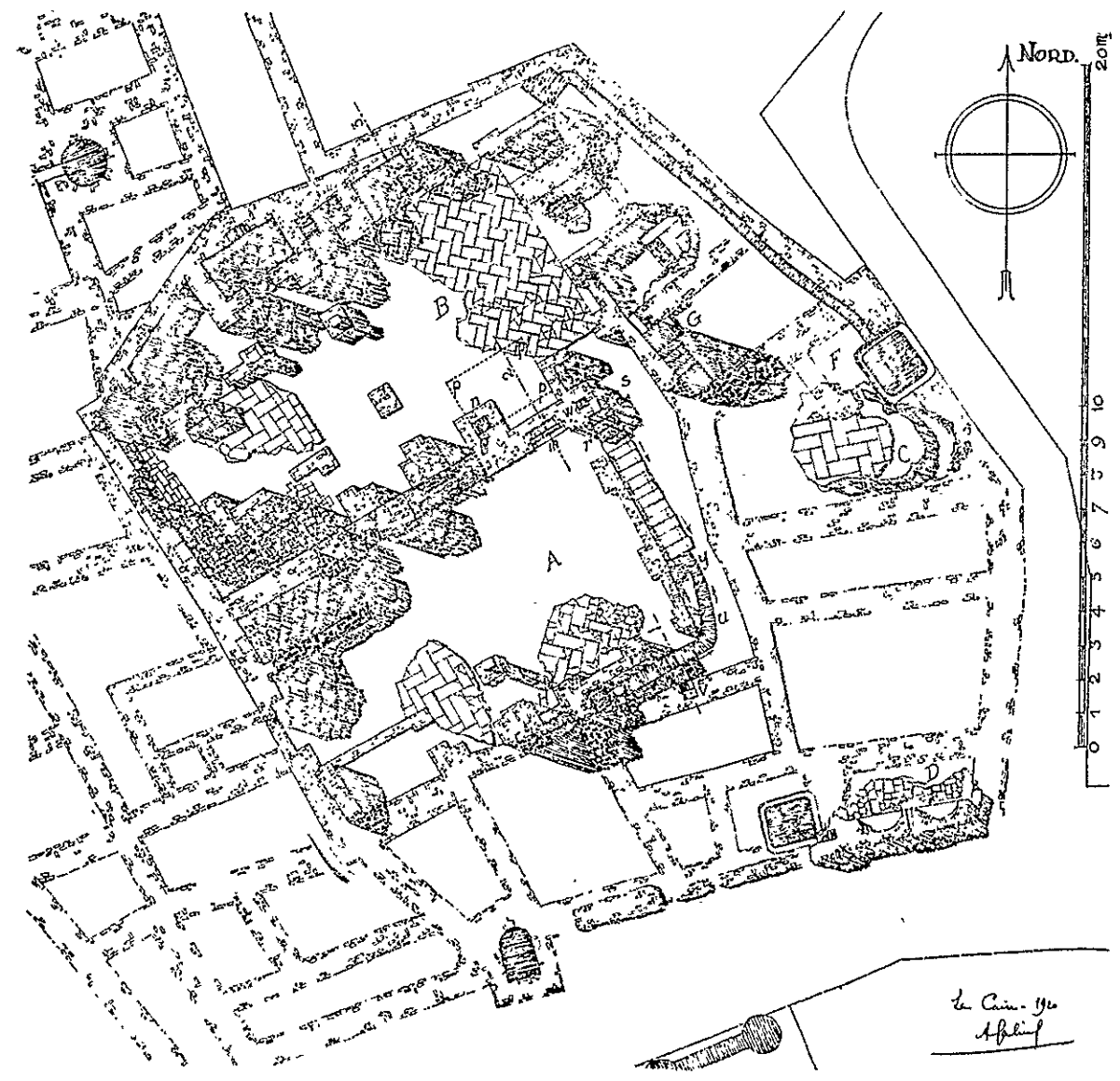
وليس هناك فسقية في كل من الحوشين . وإنما هناك بئر قطاعها مستطيل ، محفورة تحت الجدار الفاصل^(١) .

وهي نازلة الى استواء الماء تحت الأرض، وعليها قبو معقود عقدا دائريا . ولأخذ المياه منها، ينزل اليها الانسان من الحوش A ، بثلاث درجات منحوتة في الصخر . وفي قبو البئر من جهة الحوش B ، في نقطة « ، فتحة مربعة كانت عليها نحرزة . ولم تزل بهذا الحوش بقية من بلاطه . والأوضاع متماثلة في الجهة القبيلية من الحوشين ، حيث يشمل كل حوش على : رواقين بكل منهما ثلاث فتحات في « د » ، وقاعتين « د' » ، وحجر « د, د', د'' » ، وخلف القاعة « د » ما يشبه الدهليز . وفي الجدران عدة صفوف « ا, ا, ا » . (راجع اللوحة العاشرة ٢)

(١) راجع القطاع في الشكل ١٢ وعلى هذه البئر المستطيل P, P, P, P من الشكل ١٠



شكل ١١ - الدار الثانية (المسقط الأفقي بعد اعادته الى أصله)



شكل ١٠ - الدار الثانية (المسقط الأفقي كما هو الآن)

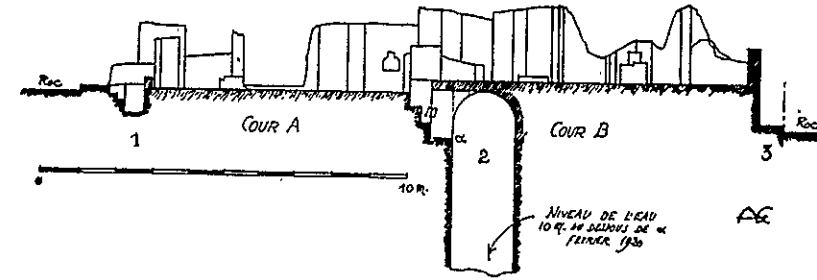
أما الجوانب الثلاثة الأخرى من الحوش B ، ففيها ثلاثة أواوين *ni:ni* وبعض حجر صغيرة . ولا يوجد في الحوش A ، أواوين ، وإنما بعض صفوف *ni:ni* في الجوانب متماثلة الوضع ، في كل جانبيين متقابلين .

ويحيط بالحوش A دهليز " يؤدي إلى حوشين من بايين " *ni* ونحته مجرى مبلط " ، تنصرف إليه في " مياه السطوح أو الطبقة العليا . وما زال في " ، حوض لغسل الأيدي بمكانه الأصلي وقناة صرف تصب في المجرى .

وكانت النبارة B ، لاستعمل إلا لصرف مياه المطر والغسيل لصعوبة نزحها .

على هذا الوجه ، تبين لنا نظام البيت فيما يلي الحوشين ، لأن الجدران في هذه المنطقة مازالت باقية بارتفاع كاف يصل في بعض المواضع إلى ٢.٥ م وبها عدة صفوف .

أما باقي أجزاء الدار فقد عفت معالمها ، إلا النذر . فلم تبق منها إلا قطع متفرقة من أساس مبنى بالآجر لا يدل على شيء . وكما نعتل أحيانا في رسم الجدران على ما نجده من أثر المونة اللاصقة بالصخر .



شكل ١٢ - الدار الثانية (قطاع ١ و ٢ و ٣ من الشكل رقم ١٠)

وقد اعترضتنا بقية من أبنية، رمزنا لها في الرسم بحرف *ni:ni* ، يحار العقل في تعليلها، لأن بينها أثر بلاط يدل على وجود سطح أعلى من الحوشين *ni:ni* وهما ليسا باستواء واحد، فضلا عن وجود بعض درجات، مرموز لها بحرف *ni* كانت معدة للصعود إلى مكان عال عن أرض الحوش .

لذلك اكتفينا بالبحث عن تخطيط الطرق ورسم الجدران الفاصلة، بالاعتماد على ما شاهدناه من أثر البقايا، فرسمنا المدخل في B ، حيث يوجد أثر بلاط متقن الصنع بمكانه الأصلي ، ورسمنا حجرة صغيرة في A . والظاهر أنها كانت تستعمل للبواب .

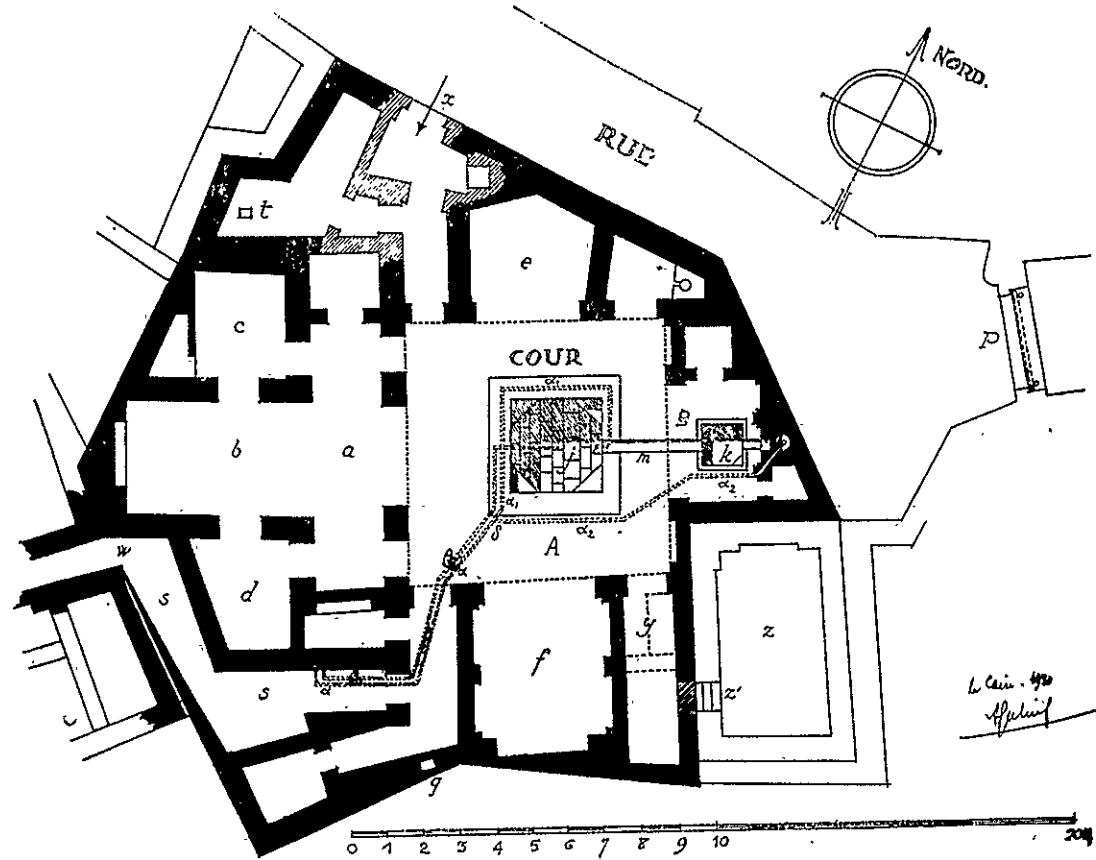
وقد بينا على الرسم بالهاشور، المحال التي عيناها بالظن والتخمين . أما الخطوط السوداء، فقد جعلناها للحوشين وما حولها .

وفي G ، ست درجات سفلى من سلم يصعد به إلى طبقة عليا . وهي لقلة عددها ، لا تكفي كما في الدور الأخرى ، لتتخذ برهانا على وجود الطبقة العليا لأن هذا السلم ربما كان معدا للصعود إلى السطح دون غيره . على أننا نعدّ هذه الدرجات أهم أثر وجدناه من هذا القبيل . ولا يبعد ، أن السلم كان ينعطف ، ويمتد ، في مكان متسع مستطيل . وفي هذه الحالة يكون جزء من الدار على الأقل فوقه طبقة عليا .

الدار الثالثة

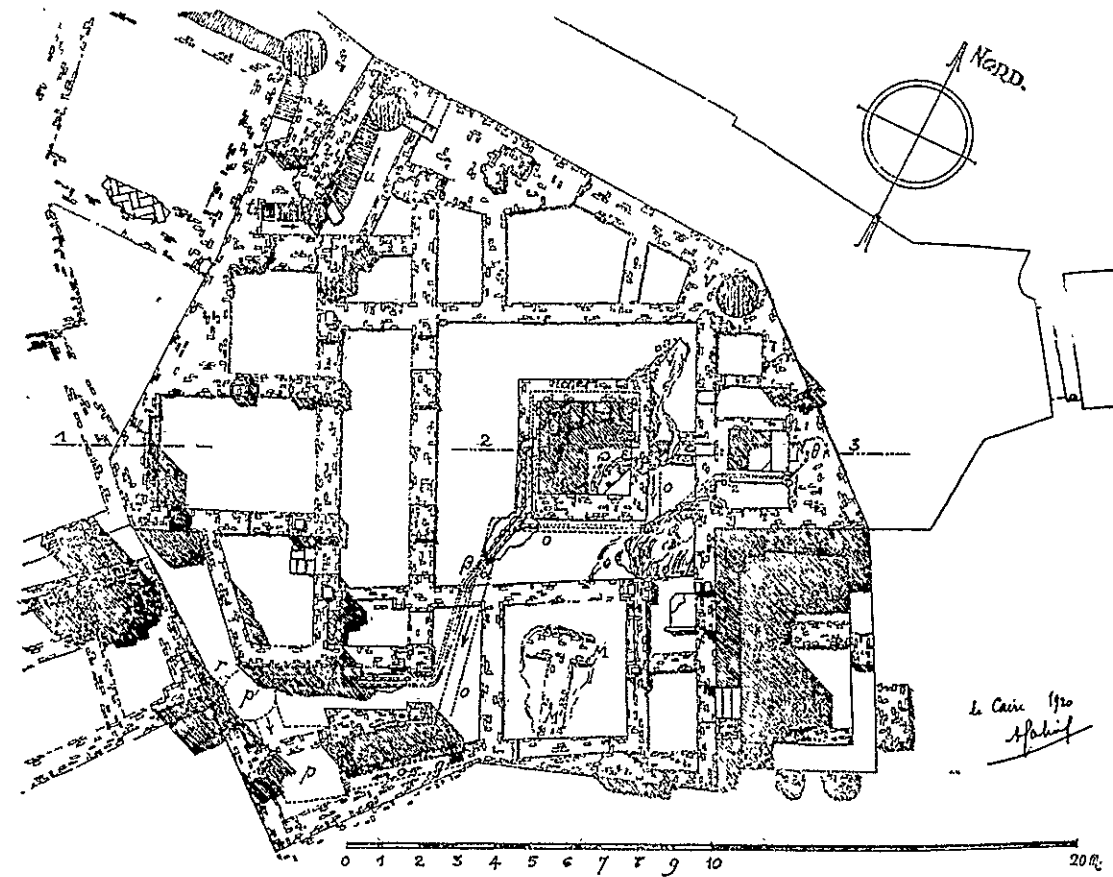
(لوحة ١١ والأشكال ١٣ و ١٤ و ١٥)

هذه الدار قائمة على رقعة من الأرض محدودة بخط كثير الأضلاع ، غير منتظم . وفي تركيبها الأفقي ما ينم عن محاولة تنظيم أوضاعها حول الحوش المتوسط تبعا لمحوريه المتعامدين . والظاهر ، ان الجزء المين بالأسود في المسقط الأفقي الذي رددناه إلى أصله (شكل ١٤) كان دارا قائمة بذاتها . وهي محل البحث في هذا الفصل . ويستدل من أثر التعديل ، والتغيير ، وانقطاع الارتباط بين الجدران وبعضها ، ان هذا المكان كانت به دار قديمة ، فسيحة الجنبات . ويظهر أنه حوّر فيها وحوّلت إلى عدة مساكن مستقلة عن بعضها . وهو أمر مازال غامضا . وعلى كل حال ، فهو قليل الأهمية . ولذلك تقتصر في التوضيحات الآتية على الكلام عن أوضاع الدار الأصلية من واقع الأسس المكتشفة فنقول :



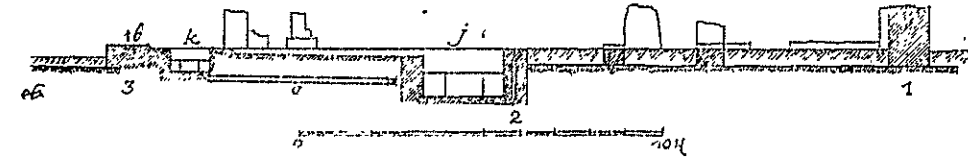
شكل ١٤ - الدار السالفة (المسقط الأفقي بعد إعادته إلى أصله)

وكانت التسقييات تأتيها المياه في مجار متخذة من براجح α و β متصلة بجار أخرى من نوعها ومقاسمها، نازلة من أعلى جدار الطرفة إلى أسفله، من خزان مركب في القسم الأعلى من البناء. ومن الصعب تبيين الطريقة التي كان يملأ بها هذا الخزان لانعدام الآبار في جواره. وكانت المياه تجميعه في مجار ممتدة على السطح من بئر من الآبار القريبة، مركب عليها بعض الآلات. ويخامرنا الشك في أن الخزان كان يملأ بالقرب.



شكل ١٣ - الدار السالفة (المسقط الأفقي كما هو الآن)

في الحوش A فسقية مربعة l من الطراز العادي. وبجوانبه الأربعة أماكن، نظامها متشابه وفي n رواق له ثلاث فتحات. وقاعة كبيرة b ، وغرفتان صغيرتان d ، وفي e إيوانان فسيحان ونجاة الرواق a ، إيوان g ، فيه فسقية صغيرة k .



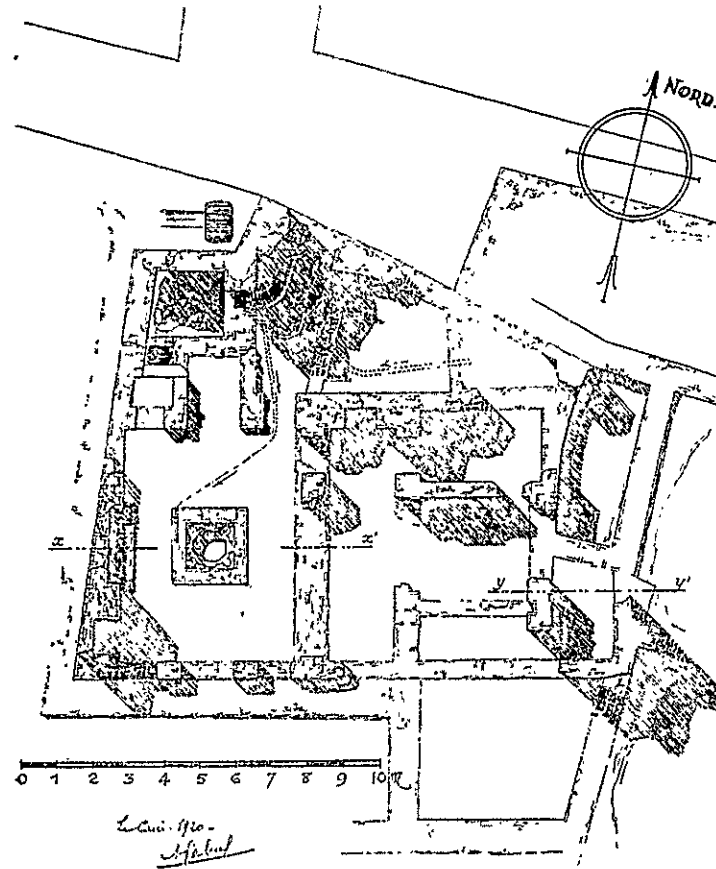
شكل ١٥ - الدار الثالثة (قطاع ١ و ٢ و ٣ من الشكل رقم ١٣)

وفي r ، لتفرع الحجرى a ، الى فرعين a_1 ، a_2 ، فيدور الفرع a_1 حول الفسقية z ، ويصب فيها المياه في نقطة e أما الفرع a_2 ، فانه ينتهى بماسورة رأسية o ، كانت متخذة للماء حوض صغير في صلب البناء . وهناك تتحدر في شاذروان، تجرى منه الى الفسقية k ، ومنها تمر في مجرى مكشوفة m ، الى الحوض المتوسط z ، والمجرى الثانية β ، تغوص في الأرض تحت المجرى الأولى وتفرغ مياهها في الحوض المذكور . وما يفيض من مياه الفساق ينصرف في المجرى o ، ومن البرنج q ، تنزل المياه من السطوح أو للطبقات في المجرى المذكورة التي تنتهى الى البيرة u ، المنصرفة فيها أيضا مياه البيرة v .

ويلاحظ في r ، برنج آخر . والمظنون، أنه لما قسمت الدار دعت الضرورة الى إيجاد الحجاز s وعند ذلك أبطلت المجرى المنتهية بهذا البرنج . وفي t ، برنج من هذا القبيل متصل بالمجرى u ، المغطاة بالبلاط ويمتد لغاية الشارع . وهناك بيرة مستديرة في v .

ولا نعلم كيف كان يتوصل من هذه الدار الى الطريق العمومى . والظاهر، أن المدخل كان في w ، في نهاية حارة صغيرة . ومن الممكن أن نقول بوجود باب على الطريق العمومى في w ، ولا توجد آثار سلم ظاهرة . ويجوز أن يكون الفضاء y ، بئر السلم وما بقى من البناء المشيد بالآجر في هذا المكان لا يكفي لاثبات ذلك .

أما الفضاء المستطيل = فالظاهر أنه كان مستقلا عن المنزل . ويغلب على الظن أن يكون شكله في آخر عهده . وكانت هناك حفرة واسعة، على هيئة كهف، محفورة في الصخر مثل مع y بواسطة بعض درجات وباب z . ثم أبطل الباب وغيرت معالم الكهف بجدران نت بالآجر فألحقته بالدار المجاورة .

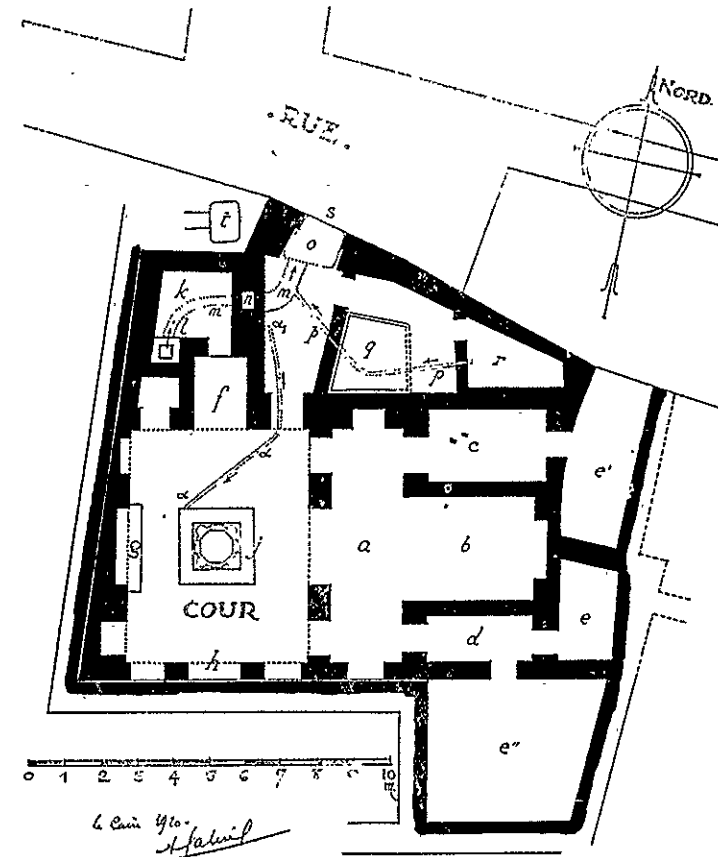


شكل ١٦ - الدار الرابعة (المسقط الأفقى كما هو الآن)

الدار الرابعة

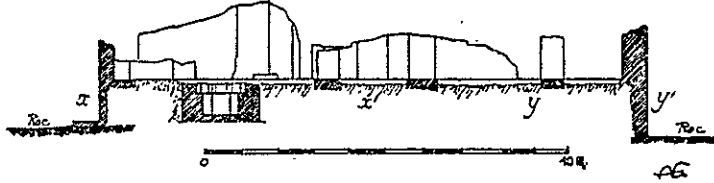
(اللوحة الثامنة عشر، ٥٠، والأشكال ١٦ و ١٧ و ١٨)

هذه الدار، حوشها مقاسه ٥×٤ أمتار، وتحدّه من الجهتين القبليّة والغربيّة جدران بسيطة تفصل بينه وبين المباني المجاورة. وبجانبه صفف واكثاف تماثل في النظام الجانبيين الآخرين حيث يشاهد الترتيب المعتاد: رواق a ، وقاعة b ، وغرف صغيرة c, d, e ، وإيوان f ، وفي g ، بناء بالأجر على هيئة مصطبة. ويظهر لنا أن القاعة e ، كانت تابعة لهذه الدار. ولكنا لا ندرى كيف كان النور والهواء يصلان إليها.



شكل ١٧ - الدار الرابعة (المسقط الأفقي بعد إعادته إلى أصله)

وفي الفسقية r ، تفاصيل كثيرة تخالف الرسم المعتاد، لأن جوفها مثنى. وفي جزئها العلوى صفف دائرية بالأركان الأربعة مرتبطة بالشطف. وكانت المياه ترد إليها من قناة من الفخار α ، ممتدة حتى α_1 . ولا يبعد أن المياه كانت تجميعها من خزان مرتفع لم يبق له أثر. ومما نلاحظه أنه لا توجد هناك آبار قريبة.



شكل ١٨ - الدار الرابعة (قطاع حسب 'yy' من الشكل ١٦)

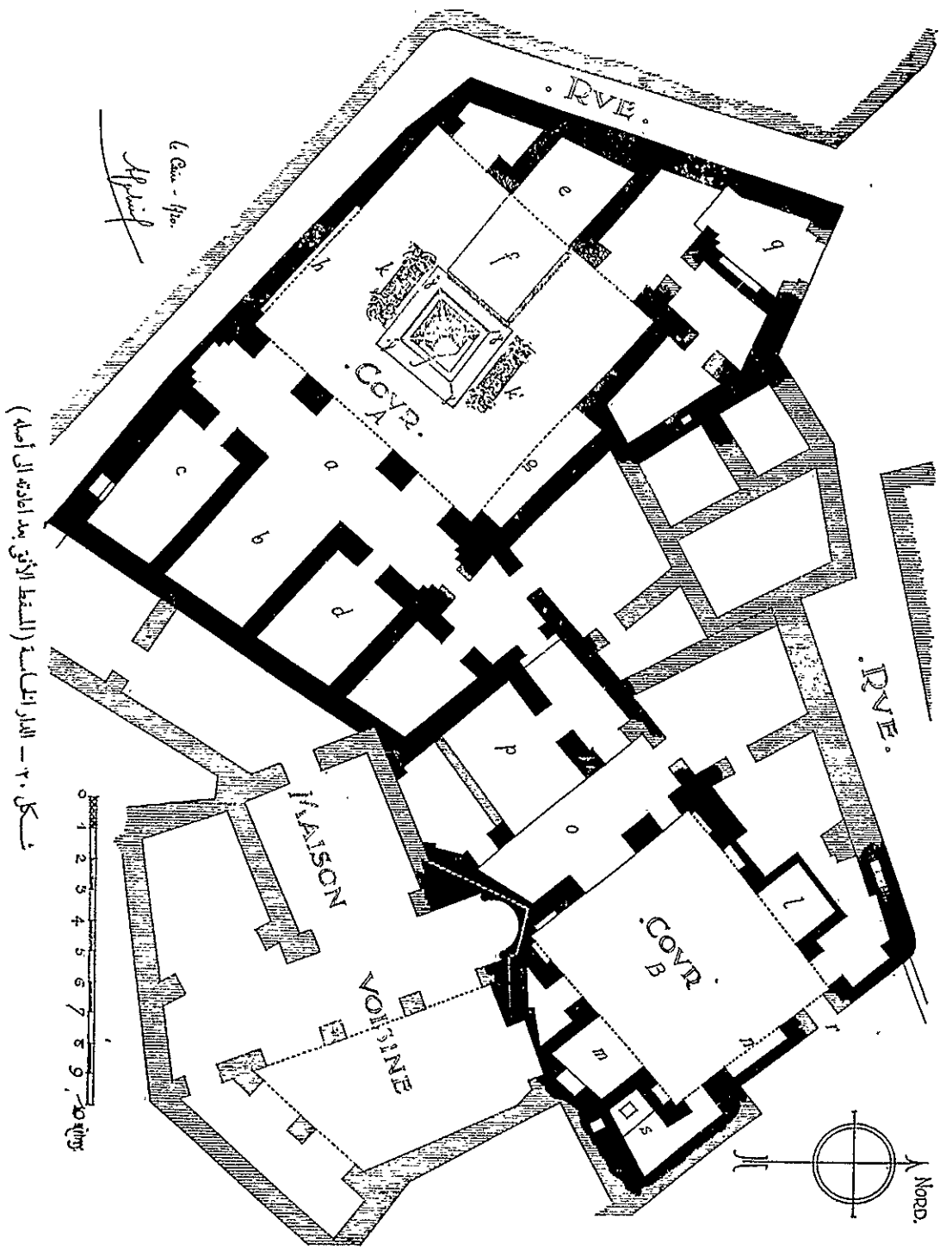
وكان المدخل في s ، ولكنا لا نحكم بصحة ذلك لأن تخطيط الطريق العام في هذه المنطقة غير واضح. والظاهر أن المراحيض، كانت في k . وفي l ، بالوعة متصلة بالمجروش m ، الذي يؤدي إلى البيارة o . كذلك المسورة n ، فانها نازلة في المجروش. وكانت هناك قناة أخرى من الفخار p ، متصلة بالبيارة وتنصرف إليها مياه الغرفة r . وهي غرفة لم نهتد إلى الغرض الموجودة من أجله. وفي q ، بقايا حوض مفروش بالحجر. أما البيارة t ، فانها تابعة للدار المجاورة. ولم نعث على أثر للسلم. ولذلك، يغلب على ظننا أن هذه الدار كانت مكونة من طبقة واحدة سفلى.

الدار الخامسة

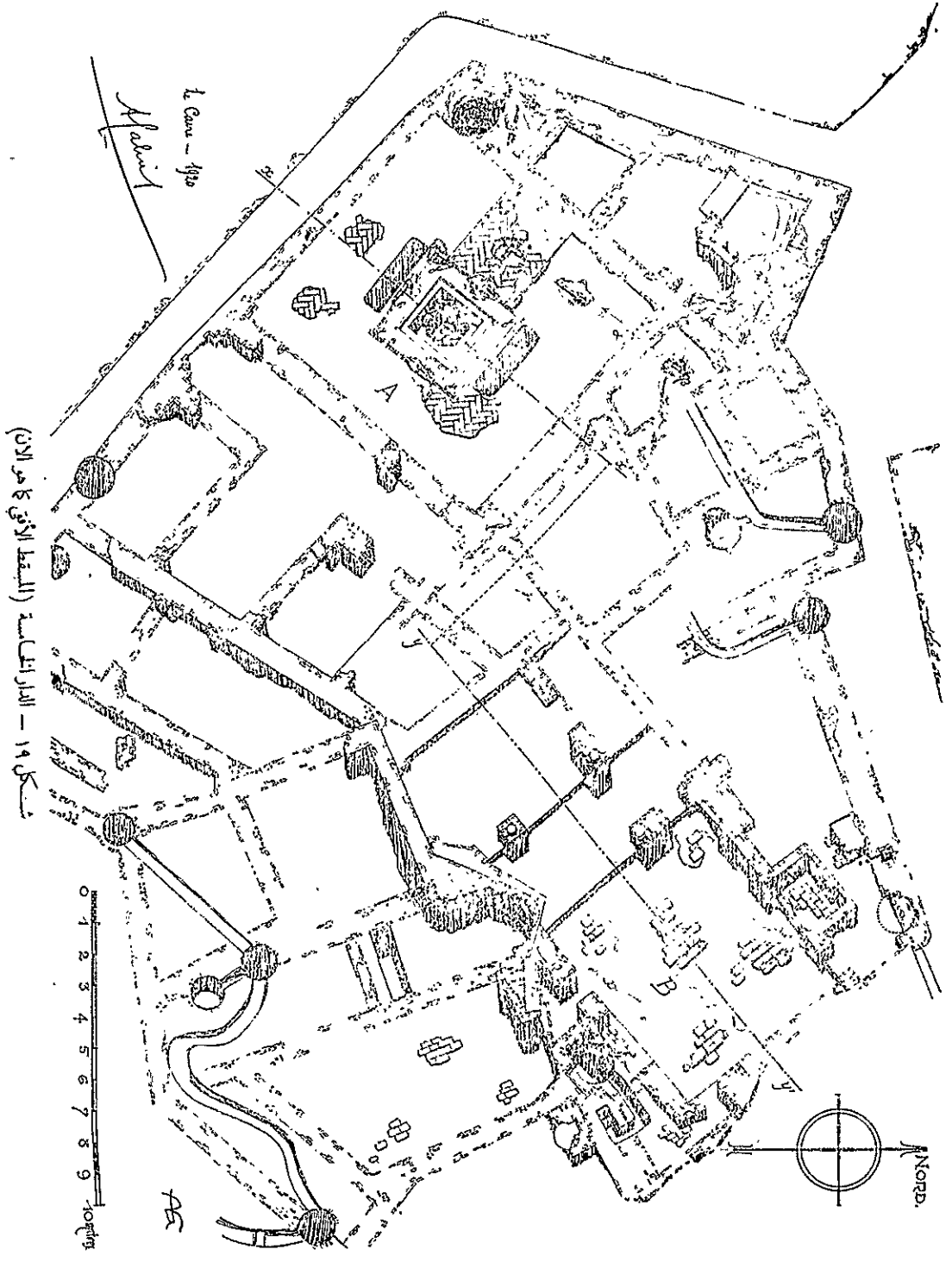
(اللوحة الثامنة عشر، ٩ والشكلان ١٩ و ٢٠)

في الموقع الذي عينا فيه حدود هذه الدار، نرى الحوشين A و B ظاهرين، غير أن معظم الجدران لم يبق منها إلا الأساس. وقد زال أثر البناء تماما في بعض المواضع. وكان اعتادنا في وضع الرسم (شكل ٢٠) على ما لاحظناه من التفاصيل الفنية للبناء ومن الطريقة المتبعة في ربط الجدران بعضها ببعض. ومن ذلك استنتجنا أن الحوشين كانا تابعين لدار واحدة.

(١) يلاحظ أيضا أنهم كانوا يصعدون من y إلى z (شكل ١٩) ببيض دمج حتى يصلوا إلى المستوى z بالحوش A . ويؤخذ من ذلك أن الاتصال بين الحوشين كان ممكنا إن لم يكن موجودا.



شكـ ٢٠ - المـ اناكسـ (اللقـ الاقـ بعد افسـ ال افسـ)



شكـ ١٩ - المـ اناكسـ (اللقـ الاقـ كـ الـ الان)

أما الحوش الغربي A ، فإنه واقع على زقاق \cdot وفي واجهته المقابلة للغرب، رواق، ذو ثلاث فتحات، مرموز له بحرف n . وهو بين يدي القاعة b ، والغرفتين d و e . وفي الواجهة المقابلة إيوان e موضوع وضعا غريبا لم يشاهد له مثيل ، فالت بلاطه يبرز في الحوش حتى يتصل بالفسقية، فيتكون منه مستطيل r يعلو نحو ١ سنتيمترات عن بلاط الأرض المجاورة له \cdot وفي كل من أرض الحوش وأرض الإيوان، بقايا كثيرة من البلاط (راجع شكل ١٩) الكلسي المتماثل . وهو مستطيل الشكل ، متوسط مقاسه $٠,٢٥ \times ٠,٦٠$ ، ملصق متواترا (دالات) \cdot ولسنا نعرف هل كان يعلو هذا الجزء المرتفع المسامت للإيوان شيء من الأبنية ، لأننا لم نجد لها أثرا مطلقا . ويجوز أنه كان معدا لأن تنصب فوقه خيمة ، أو مظلات على قوائم خشبية خفيفة . أما الجزآن المرتدان الجانبان d و e (شكل ٢٠) فان أولها يمكن اعتباره إيوانا أو صفة معدة لأن توضع بها دكة أو تنشأ بها مصطبة ، وتأتيها n ، لا يجاوز دخوله في الجدار العشرة سنتيمترات ، وإنما وجد لحفظ التناسب .

والفسقية z المربعة الفتحة المئمة الجوف ، وهي من الطرز المعتاد ، كانت المياه تأتيها من القناة a التي تنقطع عند β (شكل ١٩) ، ثم تعود فتصل بجزان موضوع بمكان عال من الدار بواسطة قناة رأسية . وكانت القناة تدور حول الفسقية . ونظامها معقد جدا ، حتى أنه ليعسر علينا التذليل على بعض التفاصيل . وقد وجدنا في كل زاوية من الفسقية ماسورة صغيرة من البرونز قطرها سنتيمتران ، مثبتة في قطع من رخام تختلف أوضاعها بين خمسة وستة سنتيمترات . والظاهر أنها كانت متصلة بالماسورة الفخار فتتكون منها قوارات، p, p, p, p لتساعد مياهها ثم تعود فتسقط في الفسقية . وعلى كل من جانبي الفسقية حوض مستطيل ، كان مملوءا بالطمي ، وجعل لزراع الزهور والشجيرات n, n, n (شكل ٢٠) .

ولا يوجد بالحوش الثاني B ، فسقية ، وإنما فيه نظام الإيوانين الجانبيين m, l ، ووصفته n ، لا تخرج عن كونها إيوانا صغيرا . والرواق الذي رسمناه في o ، أمام قاعة p ، غير مقطوع بوجوده ، لأن الجدران هناك زالت حتى الطبقة الصخرية، ولم يبق شيء من الغرف التي كانت متممة للدار في الجهة الشمالية

الشرقية . أما الغرف أو الدكاكين (؟) الواقعة على الطريق جهة الشمال، فلا يسعنا إلا أن نرسمها رسما إجماليا من واقع الأساس . وكذلك الحال في المدخل العام المرموز له بحرف q ، والباب الصغير المرموز له بحرف r ، المؤدى للحوش B ، والمراحيض s ، وأكثر الأبواب الموصلة بين الأماكن . كل ذلك ، وصفناه على سبيل الفرض والتخمين . أما ما أردنا بيانه هنا، فهو النص على أن هذه الدار من الدور ذوات الحوشين : حوش A ، نفخ وكان مخصصا لاستقبال الضيوف، والحوش الثاني المرموز له بحرف B ، كانت الغرفة المطلة عليه معدة لسكنى أهل الدار .

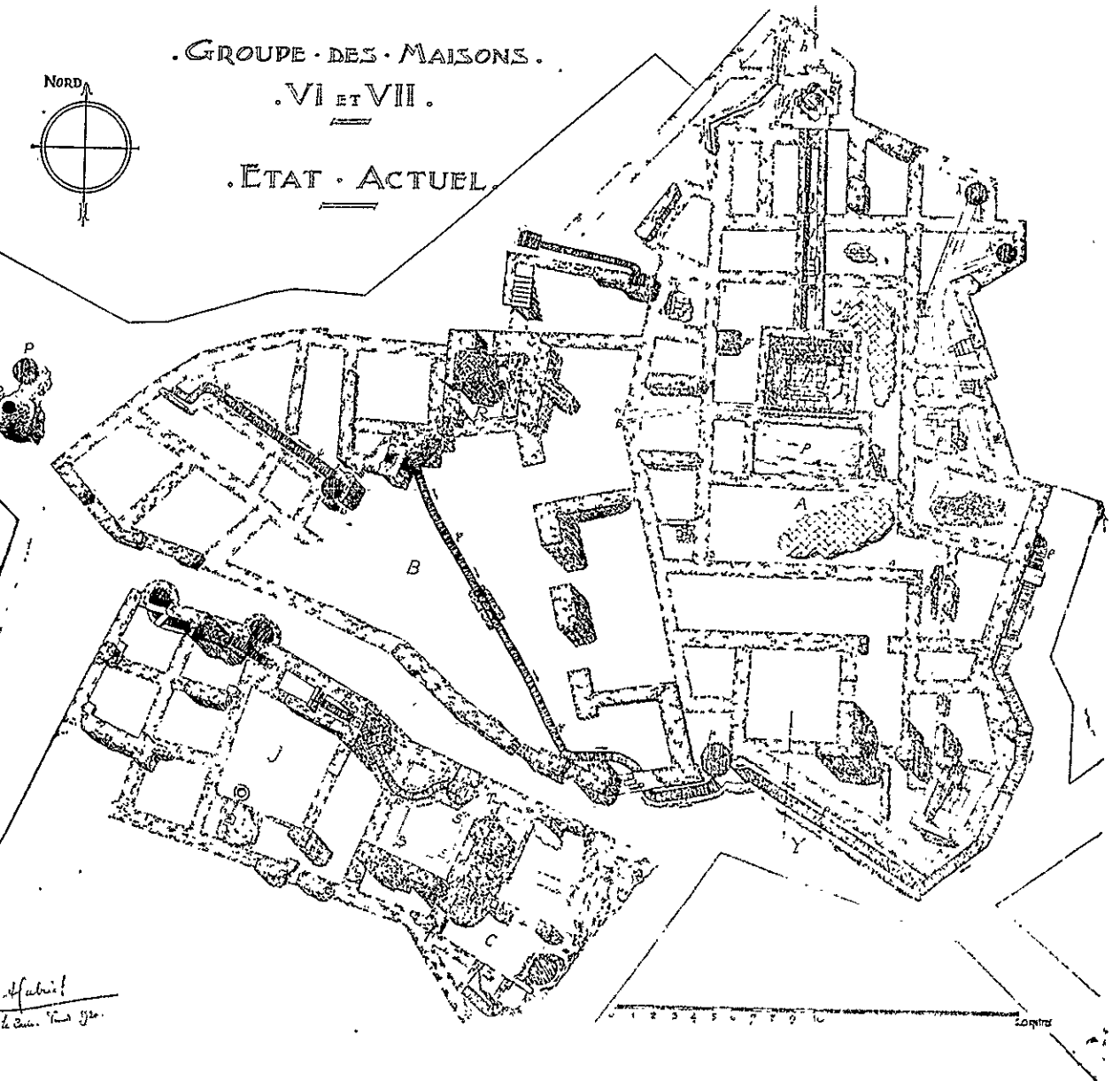
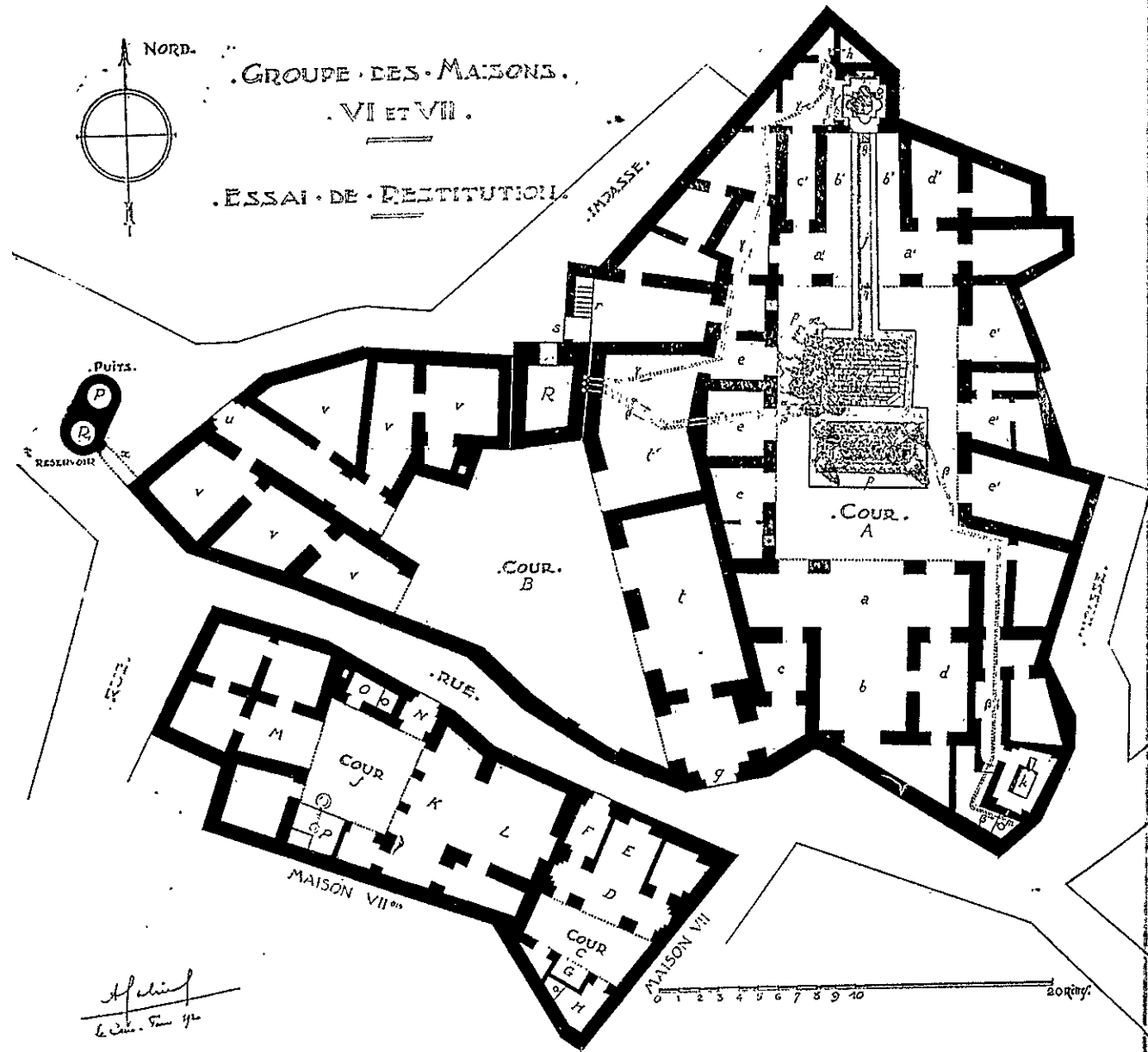
وليس في هذه الدار أثر لسلم مطلقا . ومن ثم يكون موقفنا هنا ، كما كان عند البحث في الطبقات العليا من الدور السابقة .

وقد رسمنا للنزل المجاور من الجهة القبليّة رسما تقريبا ، لأننا لم نعثر هناك إلا على بقية غير واضحة من أساس الجدران . ومن فحص المبنى التي نجمت من الحفر، في هذه الجهة، تبين، أنه من المتعذر الوصول الى معالم صالحة بسبب تداخل الأبنية بعضها في بعض من التجديدات والزيادات التي طرأت عليها .

مجموعة الدور السادسة والسابعة

(الشكلان ٢١ و ٢٢)

هذه الدور، واقعة في الجهة القبليّة الشرقية من المنطقة التي أزيلت عنها الأثرية (راجع الشكل ٣) . وبالنظر الى مساقطها الأفقية المبينة بشكلها الحالي والى القطع (ش ٢١ و ٢٥) والصورة الفوتوغرافية (لوحة ١٢) ، يتبين أنه لم يعثر في هذه المنطقة على غير أساس الجدران . وأول ما يظهر، استحالة تعيين عدد الدور التي تتكون منها الأبنية المختلطة بعضها ببعض ، إذ لا يوجد هناك غير فسقية كبيرة وبعض أجزاء البناية . ويزيد الأمر التباسا ، أثر تجديدات وأبنية سابقة . والرسم الذي وضعناه للكان بشكله الحالي يغنينا عن وصف هذه البقايا وصفا مفصلا . ومن مجزئ النظر اليه يفهم ، أن مجموع هذه الأبنية يتكون من قسمين ، كل منهما قائم بذاته . والفاصل بينهما زقاق . والى الجنوب من هذا الزقاق ، داران صغيرتان تذكرهما تحت رقمي ٧ و ٧ «مكرر» .



شكل ٢٢ - مجموعة الدور السادسة والسابعة (المسقط الأثني بعد إعادته إلى أصله)

شكل ٢١ - مجموعة الدور السادسة والسابعة (المسقط الأثني كما هو الآن)

الدار السادسة

(اللوحة الثانية عشر والأشكال ٢٣ و ٢٤ و ٢٥)

يظهر أن الباقي من الأسس في هذه الدار، كان في الأصل تابعا لدار واحدة : يدل على ذلك نظام توزيع الماء فيه .

توزيع المياه - يوجد ثلاث قنوات رأسية من الفضاير α, β, γ لا تزال بإمكانها من الجدار الشرقي من غرفة صغيرة مستطيلة الشكل R ، معقود عليها قبو من الآجر لم يبق منه إلا بعضه . ومن المحتمل ، أن هذا القبو كان فوقه خزان ، تأخذ منه القنوات الثلاث المياه . وكانت البئر القريبة P (٢٢٠-٢١٥) ، منعزلة في وسط الطريق العمومي . وإذا فرضنا أن هذه البئر كانت تؤخذ منها المياه لماء الخزان R ، يتعين أن الماء كان ينقل من هذه البئر إلى الخزان المجاور لها المرموز له بحرف R_1 ، على ارتفاع مناسب . ومنه ينقل الماء إلى قنطرة تحترق الطريق في R (٢٢) . وهي قنطرة تحاذي السور الخارجي للدار من الشمال ، إلى أن تصب في الخزان R .

نقول ذلك ، باعتبار أنه من الافتراضات المقبولة ، لأن الخزان R ، كان ممكنا ملؤه بطريقة أخرى . وكانت القنوات الثلاث α, β, γ الخارجة من هذا الخزان تصب قناتها الأولى α, β, γ في الفسقية الواقعة في وسط الدار . أما القناة الثانية δ, β, β الغير الكاملة من طرفها القبلي ، فكانت تؤدي المياه إلى الحوض المستطيل K ، الكائن بالزاوية القبليّة من الدار، ولا يزال جانب من بلاطه باقيا على أصله . والقناة الثالثة $\gamma, \gamma, \gamma, \dots$ ، متجهة إلى الشمال ، وتتفرع في θ ، إلى فرعين : الأول γ يملا منه الخزان H ، فتتحد مياحه في شاذروان ، ومنه إلى الفسقية . ويجوز أن المياه كانت تؤخذ للفسقية من الفرع الثاني γ ، من القناة . وبواسطة الحبس المتخذ في ϵ ، كان يمكن حبس المياه .

ويستدل من توزيع المياه على هذا النظام ، أن القنوات كلها تابعة لدار واحدة . وهو استنتاج يؤيده تخطيط الحجارير . وكانت المياه في هذه المنطقة تصرف ، بعد الاستعمال ، في البيرة الكبيرة μ ، فكان مسلطا عليها من الجهتين الشرقية والشمالية ، الحبروران μ ، المتخذان للبيارتين المساعدين λ, δ ،

والحبرور ϕ ، الذي كانت تنصرف إليه مياه الجانب الغربي . ويلاحظ هناك أيضا ، بيرة مستقلة ω ، ومجرور ψ في الجهة الغربية .

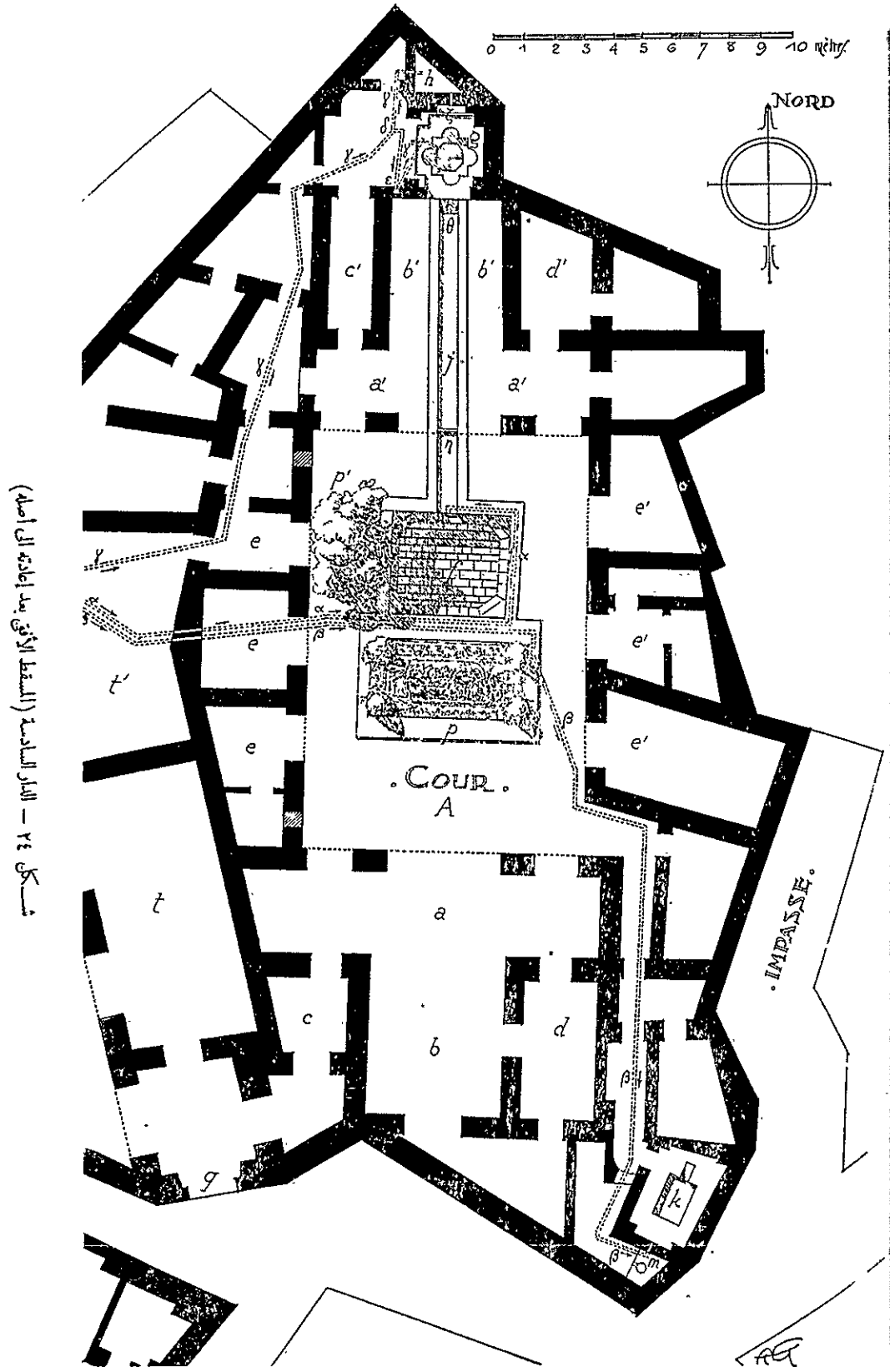
والآن ، نبحث عن توزيع الغرف في هذه الدار الكبيرة . أما الفسقية الوسطى r فكانت في حوش يمكن تطبيقه على الشكل المستطيل المرموز لرواياه بالأرقام ١ و ٢ و ٣ و ٤ (شكل ٢٤) . ونسبة العرض إلى الطول في هذا الشكل كنسبة ٢ إلى ٣ . ولا يبعد ، أن تكون الجدران التي في الجهة القبليّة من الفسقية مخلقة من أبنية سابقة ، لأنها منخفضة عن بقايا البلاط التي لا تزال بإمكانها . وتحيط الجدران المذكورة بحفرة r ، وجدت وقت الحفر مملوءة بالطين . وهذا ، يحمل على الظن أنها معدة لغرس بعض الشجيرات والأزهار ، كما يجوز أن الحفرة r المتقورة في الصخر ، كانت معدة لشجرة في الحوش .

وكانت مياه الفسقية q ، تتحد في الجهة القبليّة من شاذروان q ، إلى قناة مكشوفة i ، مطلة بالحرف ، تنتهي إلى الفسقية الوسطى r . ولا تزال هناك بلاطة رأسية j ، بها ثقب تتحد منه المياه إلى الفسقية الوسطى .

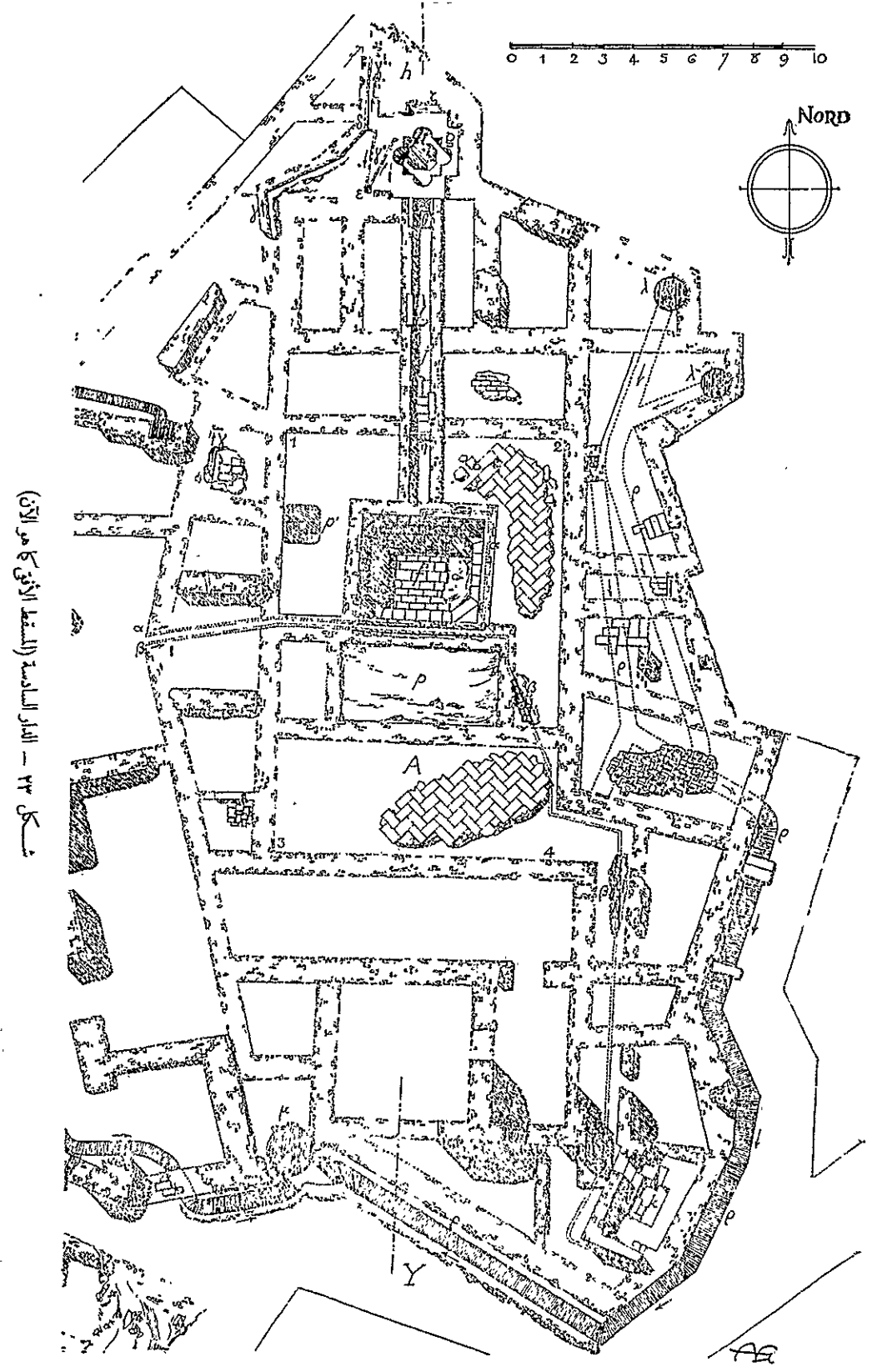
وبالجهة الغربية ، قطعة فضاء كبيرة خالية من أسس المباني . ولذلك رسمناها على شكل حوش غير منظم B ، يحده من الجنوب جدار يفصله عن الشارع ، ويتحدّه من الجهات الثلاث الأخرى أبنية مختلفة . والظاهر أن هذه الأبنية لم يراع في توزيعها نظام التماثل .

ولم يثبت في الرسم من التفاصيل إلا القليل الذي يساعد على فهمه ، على أن هذه التفاصيل في الغالب خيالية ، كما يتبين من مقابلة الرسم الذي تخيلناه لهذه الدار بالحالة التي وجدت عليها . ومن بين هذه التفاصيل التي تخيلناها ، المدخل المرموز له بحرف « ν » ، وفي ν, ν, ν ، أماكن مختلفة تخيلنا لها أبوابا .

وفي ν, ν مناطق مستطيلة ، محدودة بجدران لها فتحات كبيرة على الحوش . وربما كانت اصطبلات ومخازن ، ونحو ذلك ، إذا قلنا بوجود مرافق الدار في هذه الجهة . ولكن الظاهر



مسكن ٢٤ - الدار السادسة (السطح الأدنى) بعد إعادة الترميم



مسكن ٢٣ - الدار السادسة (السطح الأدنى) كحال الآن

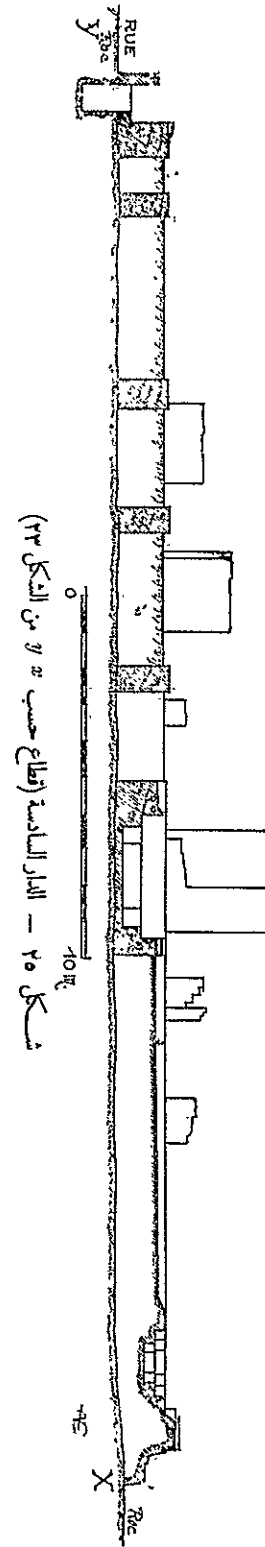
يخالف ذلك . ومن الجائز أن يكون بين هذه الأماكن القسم المخصص للحريم أيضا، يقابل غرف الاستقبال المحيطة بالصحن المستطيل *A* . ولا داعي لأن نقول، إننا لم نجد أثرا يدعم هذه الفروض . ومما ينبغي التنبيه إليه، أننا لما عينا في الدور السابقة محل الحريم ومحل الرجال (السلامك)، كان المحلان على اختلاف وظيفتهما، يحتويان على أبنية، ان لم تكن في أوضاعها تماثل بعضها بعضا، فعلى الأقل لتقارب في الشبه .

أما في هذه الدار، فان احاطة الحوش *B* ، بأبنية غير منتظمة ومتباينة الشكل، يجعل على الظن بأنه كان للرافق لا للسكن .

مما تقدم يؤخذ، أن الدار السادسة كانت مستعملة على قسمين مختلفين يقابلان الحوشين *A* ، *B* . ولترك الآن القسم الغربي، لأنه من الوجهة الفنية عديم الفائدة . ونجهد أن نبين كيف كان نظام الأبنية حول الحوش *A* ، من واقع بعض الأوضاع المتأثلة من أسس الجدران . ولست نحفي أننا عند تخطيط الرسم (شكل ٢٤)، كما نرجح في ذلك الى الاستقراء . وسيوضح أن هذا الرسم ينطبق على المعالم التي أظهرها الحفر (شكل ٢٣)، وأن استنتاجنا إن لم يكن أقرب الى الحقيقة في التفاصيل، فانه كذلك من جهة الأوضاع العامة، لأن تخطيطه من واقع الأسس جاء ببعض المميزات المعروفة في دور القسطاط .

ففي *A* ، الحوش المتوسط وفسقيته *r*، يحددها من الجنوب حوض للزهور والأشجار *P* ، وتظلها من جهة الغرب شجرة *P'* .

وفي الجنوب، رواق ذو ثلاث فتحات *n*، يسلك منه الى قاعة *b* ، تكتنفها من طرفها غرفتان صغيرتان *e* ، *d* . وفي الشمال ما يماثل



ذلك : رواق *a* ، وقاعة *b* ، وغرفتان *d* ، *e* . وكانت الفسقية *g* ، تزين داخل القاعة *b* ، التي تحترقها القناة *z* .

ومن ثم نلاحظ فرقا كبيرا بين هذه الدار وبين الدور التي سبق الكلام عليها، التي لا يوجد بها غير رواق واحد ذي ثلاث فتحات، في جانب واحد من الحوش . أما في هذه الدار، فالظاهر أنه كان بها رواقان متماثلان بالجانين البحري والقبلي، على عكس الجانين الطويلين الشرقي والغربي، فإنه لم تكن بهما أروقة، إذ لا يوجد ما يدل على ذلك، وإنما كانت فيهما غرف تختلف في المقاس *e* ، *e* ، ... *e* ، *e* ، ... *e* ، *e* ، ...

وليس في وسعنا أن نؤكد اذا كان الرسم فيما يتعلق بذلك يقرب من الحقيقة أم لا . على أن وضع الجدران الوسطى (القواطع) يفهم منه، أن التماثل وان لم يكن موجودا في الجهتين الشرقية والغربية، فان الفتحات على الأقل كانت موزعة فيهما توزيعا منتظما . وقد حاولنا توضيح ذلك في الرسم بكيفية معقولة .

على أن عنايتنا بالتفاصيل، كانت أقل من اهتمامنا بالشكل العام في هذه الدار . وهو شكل يغاير في نطق عديدة ماشاهدناه في الدور التي سبق وصفها . فليس الأمر قاصرا على أن مقياس الحوش ونسبته مخالفين للعتاد، بل أن واجهاته على خلاف القاعدة العامة، تقابل الجهات الأربع الأصلية .

واذا راعينا تعدد الأروقة والقيعان بجانب الحوش البحري والجنوبي وانعدام الأوابير الجانبية، ذكرتنا هذه الدار بنظائرها من الدور العراقية في سر من رأى (سامرا) والأخضر . ولكنا لا نميل للفروض في هذا الموضوع الآن، وسنعود اليه بعد الفراغ من الكلام على ما اكتشفناه من الدور .

وقد تعذر علينا التوسع في رسم البناء الأصلي، وتعيين نظام واجهات الحوش، ولو برسمها رسما اجماليا؛ كما أنه يتعذر علينا أن نقول، إذا كانت هذه الدار مكوّنة من طبقة واحدة «أرضية»، أو من

عدة طبقات . وليست الدرجات الموجودة من السلم الحجري في r ، من الأدلة على وجود دور علوى ، لأن السلم قد يكون لصعود السطح أو للوصول الى الخزان R ، المجاور له .

ولنذكر هنا بعض التفاصيل التي تخيلناها وهي : مدخلات q ، ومواقع أكثر الفتحات والأبواب . وربما كان هناك حمام محل الحوض k ، والواصلة اليه المياه من الحجري β . ونظن أن المكان المجاور للحمام المرموز له بحرف m ، كانت به المراحيض، وإن لم يبق أثر لذلك . وتدل المصارف العديدة المرتبطة بالحجارير المساعدة، على وجود مراحيض أخرى من هذا القبيل، كما هو مبين على الرسم الأفقي .

وقد عثر في هذه الدار، وهي السادسة، على قطع كبيرة من الخزاف لها شكل خاص، ومصنوعة على نمط واحد، على طريقة الخزاف التي عثر عليها في الدار الخامسة . وقد أجلنا وصفها والكلام عليها، الى الباب السابع .

وبين القطع المذكورة، قطعة من طراز مكتوب عليها بالكوفي "قصورا" تتكون حروفها من قطع من الطوب، مثبتة في كتلة من الجبس (اللوحة العشرون ٢٠-٢١) . والظاهر، أنها بقية من كتابة قرآنية، قد يكون قوله تعالى: (تبارك الذى إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا)^(١) .

وقد جرت العادة، أن يختار من الآيات القرآنية ما يكون مناسباً للكان المراد كتابتها عليه . ويستنتج من ذلك، أن هذه الدار كانت قصراً يمتاز بكثرة زخارفه واتساعه عن الدور التي كانت تنبئ في المدينة، ولكنه يعدّ وسط بينها وبين قصور الأمراء .

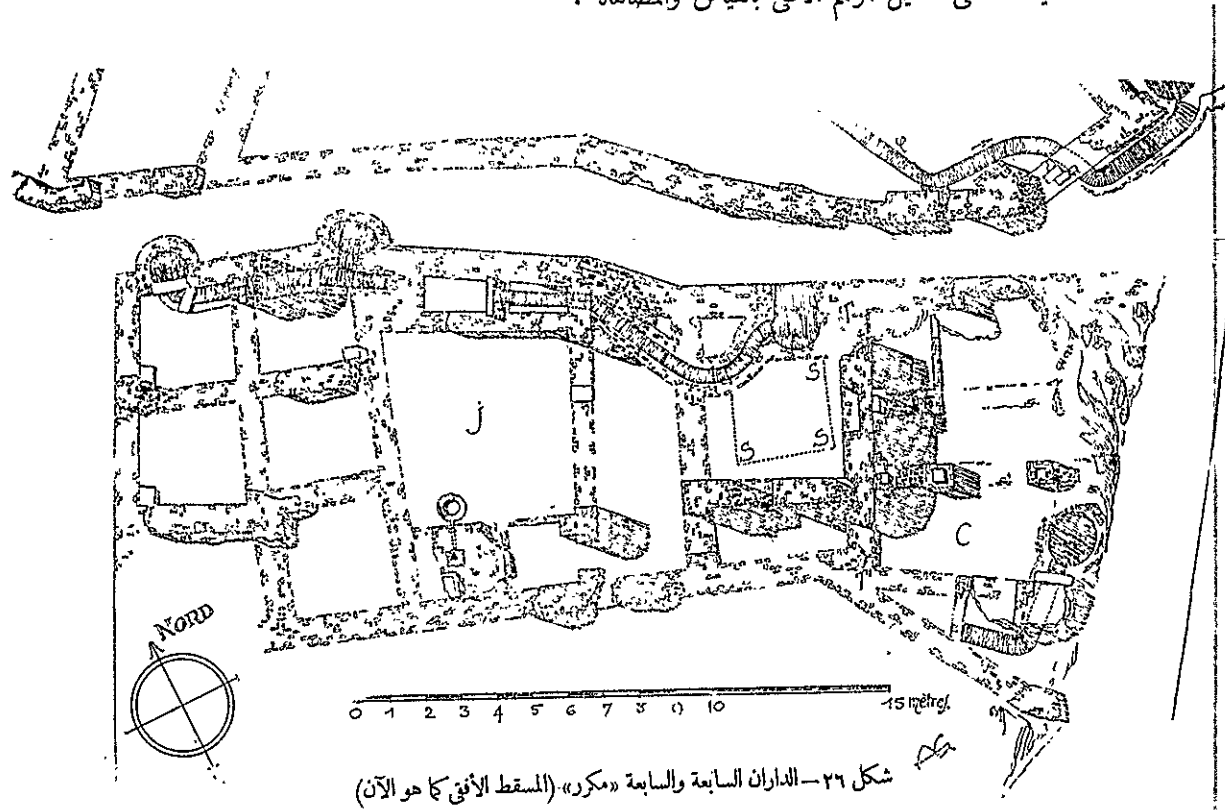
الداران السابعة والسابعة «مكرر»

(الشكلان ٢٦ و ٢٧)

هذه المباني التي درجناها باسم الدار السابعة، والسابعة «مكرر»، يفصلها عن الدار السابقة زقاق ضيق، متوسط عرضه متران . وهي باقية بحالة جيدة، خصوصا في الجهة الشرقية حيث يبدو للناظر انعدام الفتحات في الجدار TT . ويتبين من ذلك، أننا أمام دارين منفصلتين :

(١) القرآن الشريف، ص ٢٥ آية ١١ فى الآية ٧٢، من السورة السابعة لفظ «قصورا» .

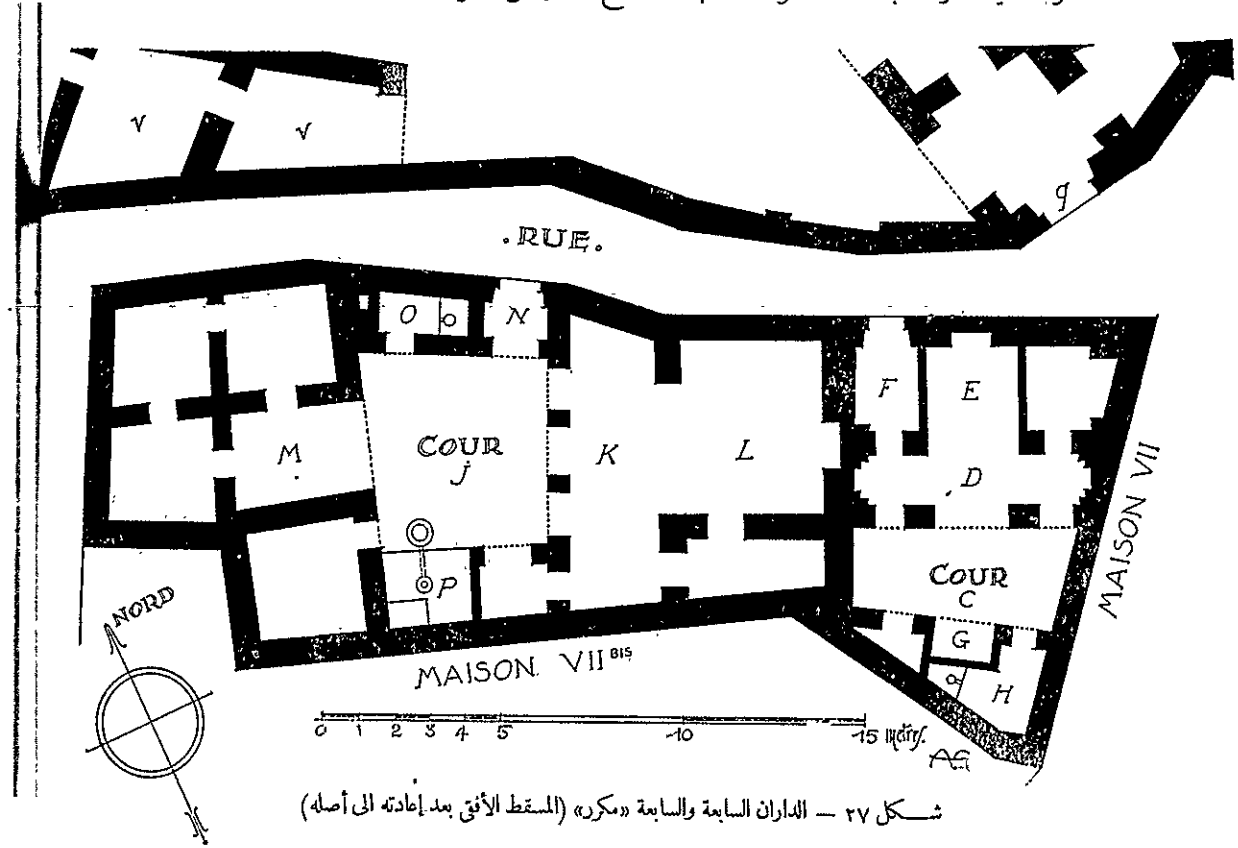
منهما الدار السابعة يسهل الاستدلال فيها على موقع الحوش الضيق U (شكل ٢٧) ، والرواق ذى الفتحات الثلاث D ، والقاعة B . ومن المحتمل، أن يكون المدخل عند F . وفى G ، بقايا إيوان . وفى H ، موضع المراحيض، كما تدل عليه القناة والبيارة المتصلتان بهذا المكان . وهذه التفاصيل يمكن التثبت منها، بمراجعة الرسم الممثل لهذه الدار، بالحالة التي هي عليها . ومع أن هذه الدار زالت حتى الصخرة في نهايتها الشرقية فإنه لا يزال باقيا من معالمها ما يساعد على تكميل الرسم الأفقي بالقياس والمضاهاة .



وليس الحال كذلك في الدار السابعة «مكرر»، فانها أوسع، ولكن بقاياها أقل وضوحا . ولذلك كان الرسم الذى وضعناه لها أكثره تخيلا . فتصورنا دارا تشتمل على حوش J ،

ورواق K ، وقاعة كبيرة L ، وقد يكون بالجهة المقابلة إيوان M ، وفي P ، بقايا حوض ماء وزلعة نفار تملأ بالمياه.

ولم تجر العادة بوجود خمسة محال كهذه، متساوية تحديق بالايوان M ، والظاهر أن الدارين ولا سيما الدار السابعة كانت الواحدة منهما لا تسع أكثر من أسرة واحدة.



شكل ٢٧ - الداران السابعة والسابعة «مكرر» (المسقط الأفقي بعد إعادته إلى أصله)

وقد خلت الدار من الفساق والآبار، وهو أمر لا يعد من الشواذ. ولكن يلاحظ أن المواد المستعملة في البناء هي من نوع ما في الدار السابقة. ولذلك يرجح أن الدارين المذكورتين من ملحقات الدار الكبيرة، وأنها كانتا متخذتين للضيافة. والعادة أن الأغنياء من

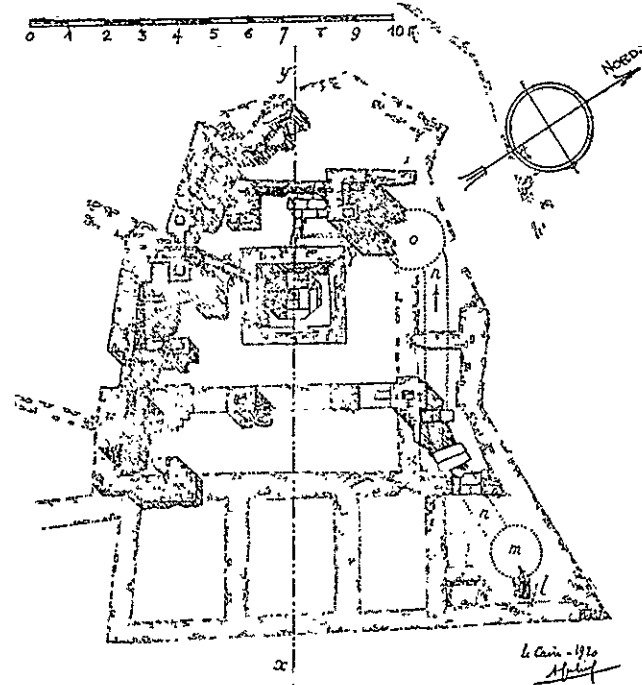
ذوي الأملاك يتخذون دورا يخصصونها لنزول الضيوف، ويجعلونها بمعزل عن البيوت التي يسكنونها. ومن قبيل ذلك، دار الضيافة التي بناها عبد العزيز بن مروان بالجشائين^(١).

ومهما كان الغرض من الدارين، فإن الصغرى منهما (نمرة ٧)، وهي التي تشغل من المساحة نحو ٧٠ مترا مربعا، كانت تحتوي على مشتملات ومميزات الدور الكبيرة الواسعة الأجزاء.

الدار الثامنة

(الأشكال ٢٨ و ٢٩ و ٣٠)

هذه الدار قائمة على أرض غير منتظمة كما في الدارين الثالثة والرابعة. ولكن بانيتها تمكن من أن يجمع كل ما يلزم للسكنى في جناحين مماثلين، فيشاهد في الرسم المثل لحالتها الحاضرة (شكل ٢٨)، محتويات الدور المعتادة كما بناه في الرسم (شكل ٢٩)، فهي تشتمل على الحوش M ،

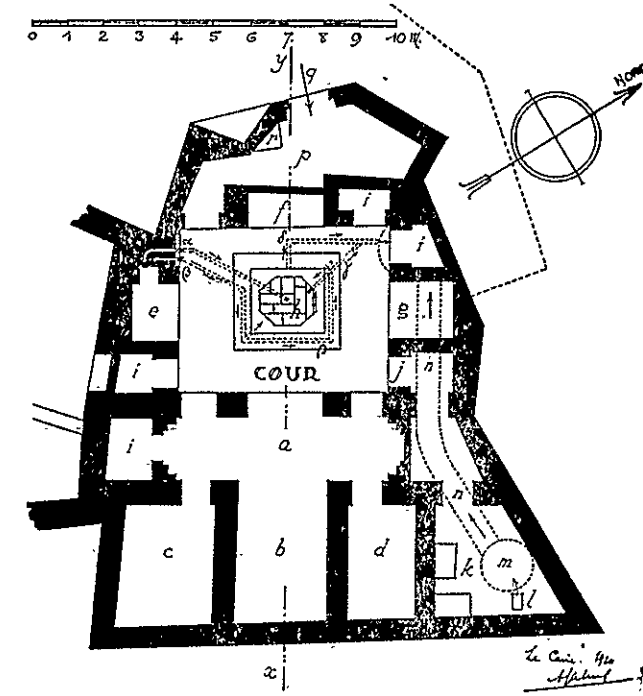


شكل ٢٨ - الدار الثامنة (المسقط الأفقي كما هو الآن)

(١) ابن دقاق، رابع ص ١١



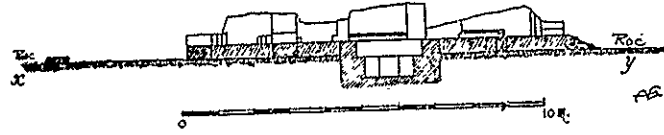
وفسقيته h ، والرواق ذي الفتحات الثلاث a ، والقاعة الكبرى b ، والغرفتين d, e ، والاولوين الثلاثة f, g, i .



شكل ٢٩ - الدار الثامنة (المسقط الأفقي بعد ارجاعه الى أصله)

وفي الزاوية القبليّة الشرقية، بالمكان المرموز له بحرف k ، بئارة مستديرة m ، بها بربخ l وقد يكون هذا المكان معداً لمراحيض. ويجوار ذلك بعض ككل مبنية بالآجر، ربما كانت أسس بعض الأحواض، لأنها متصلة بالمحور «بواسطة أقنية» فقط تمتد من البئارة m وتنتهي ببئارة أخرى n . وكان موجوداً بزوايا الحوش، الخلاوي الصغيرة $o, p, q, r, s, t, u, v, w, x, y, z$. وتتخصر الحجاري في قناتين من الفخار α, β صاعدتين رأسياً في صلب الجدار فكانت المياه تنزل من حوض مرتفع. وليس في وسعنا أن نقول كيف كان يملاً، لأن البئر القريبة منه واقعة على بعد خمسة عشر متراً، وهي بالمنزل الذي يليه في الجهة القبليّة الغربية.

وهناك قناة α ، غائرة في الأرض، تؤدى الى وسط الحوض، وفي نهايتها فوهة من نحاس وجدت بمكانها الأصلي.



شكل ٣٠ - الدار الثامنة (قطاع حسب y, z من الشكل ٢٨)

وتدور حول الفسقية، قناة رمزنا لها بحرف β في الزاويتين البحرية والقبليّة. ويلاحظ هنا، وجود قناتين اختصت بهما هذه الفسقية لصرف المياه. احدهما r يخرج من باطن الحوض، وهي تستعمل اذا أريد تصفيته من كل مياهه. والأخرى s ، فتحتها باستواء سطح الماء، وتستعمل مع القناة الأولى لصرف ما يفيض من مياه الفسقية الى البئارة t .

ولم نعثر على ما يدل على باب الدخول. وقد يكون في q ، بالقرب من البناء الذي على شكل مصطبة مثلثة المرموز له بحرف r ، ولا يزال على حاله الى الآن. واذا تحقق ذلك يكون المدخل في الدركاة u ، منعطفاً على شكل كوع، وهو من الأوضاع المألوفة في الآثار العربية. وليس هناك أثر لسلم يستدل منه على أن الدار كان بها دور أول.

الباب الخامس

مميزات الدار التي بوسطها حوش

إذا صرفنا النظر عن بعض الشواذ ، يستنتج من الأوصاف التي أتينا عليها في الكلام على الدور، أن الغرف كانت تحيط الحوش بنظام مماثل ، في كل دار . اللهم ، إلا في بعض الأحوال ، فإذا استثنينا الدار السادسة التي تمتاز من بعض الوجوه بشكلها الخاص^(١)، يمكن حصر الدور التي تكلمنا عليها في أشكال بسيطة متحدة في الشبه اتحادا تاما .

ويجلى ذلك من رسم هذه الأشكال بجانب بعضها ، وبمقياس واحد ، على لوحة واحدة (شكل ٣١) . فيرى في جميع هذه الدور، انها تتكون من نظام هندسي قائم على محورين متعامدين ، يلتقيان في وسط حوش تختلف الغرف المحيطة به في المقاس والنسب . وفي كل جنب من جوانب الحوش رواق ذو ثلاث فتحات ، تختلف في الضيق والسعة . منها الفتحة الوسطى أوسع من الفتحتين الجانبيتين ، ويفصلها عنهما ككتفان مبنيان بالآجر . وفي سمت الرواق ، القاعة . وهي قاعة كبيرة يزيد طولها عن عرضها . وتكتنفها من جانبيها حجرات صغيرة ، منعزلتان عنها .

وفي الجوانب الثلاثة الأخرى من الحوش في محور كل جانب ، أوارين تختلف في الامتداد الى الداخل ، فتتكون منها تارة قاعات (٦ من الشكل ٣١ الدار الثالثة) وطورا وهو الأغلب ، أوارين صغيرة أو صنف .

(١) يراجع في الفصل الرابع ، رسم هذه الدار مع الأشكال ٢١ الى ٢٥ رسنين في بعد ، الى أى درجة ، تختلف هذه الأبنية عن القواعد المعمول بها .

١ - النسب

لم نقف على الطريقة التي كانت متبعة في تخطيط الرسم الأفقي للدور . هل كانت بالطرق الهندسية أو الحسابية ؟ كما أننا لا نعلم ما هي الوسائل التي كان يستعملها البنائون في ذلك . ولقد جاء في الرواية المتواترة عن بناء الجامع الطولوني، أن مهندسه القبطي صوره على الجلد .

ولا يبعد ، أن البنائين كانوا قبل وضع أسس الدور يرسمون البناء رسماً مختصراً على الجلود، أو على ألواح من الخشب . وكانوا يخصصون للدار مساحة محدودة . ويضطرون في تقسيم البناء إلى الجرى على مقتضى الضرورة، مراعين في ذلك حالة الطرق والجوار وغيره . ويعالجون ذلك بالاستقراء والتصرف في ترتيب الرسم الأفقي، بالزيادة والتقصان . حتى يتوفقوا إلى تركيب منظم . وهذا سبب الاختلاف في عدم النسب الذي ما كان يتأتى لو طبقت القواعد الهندسية .

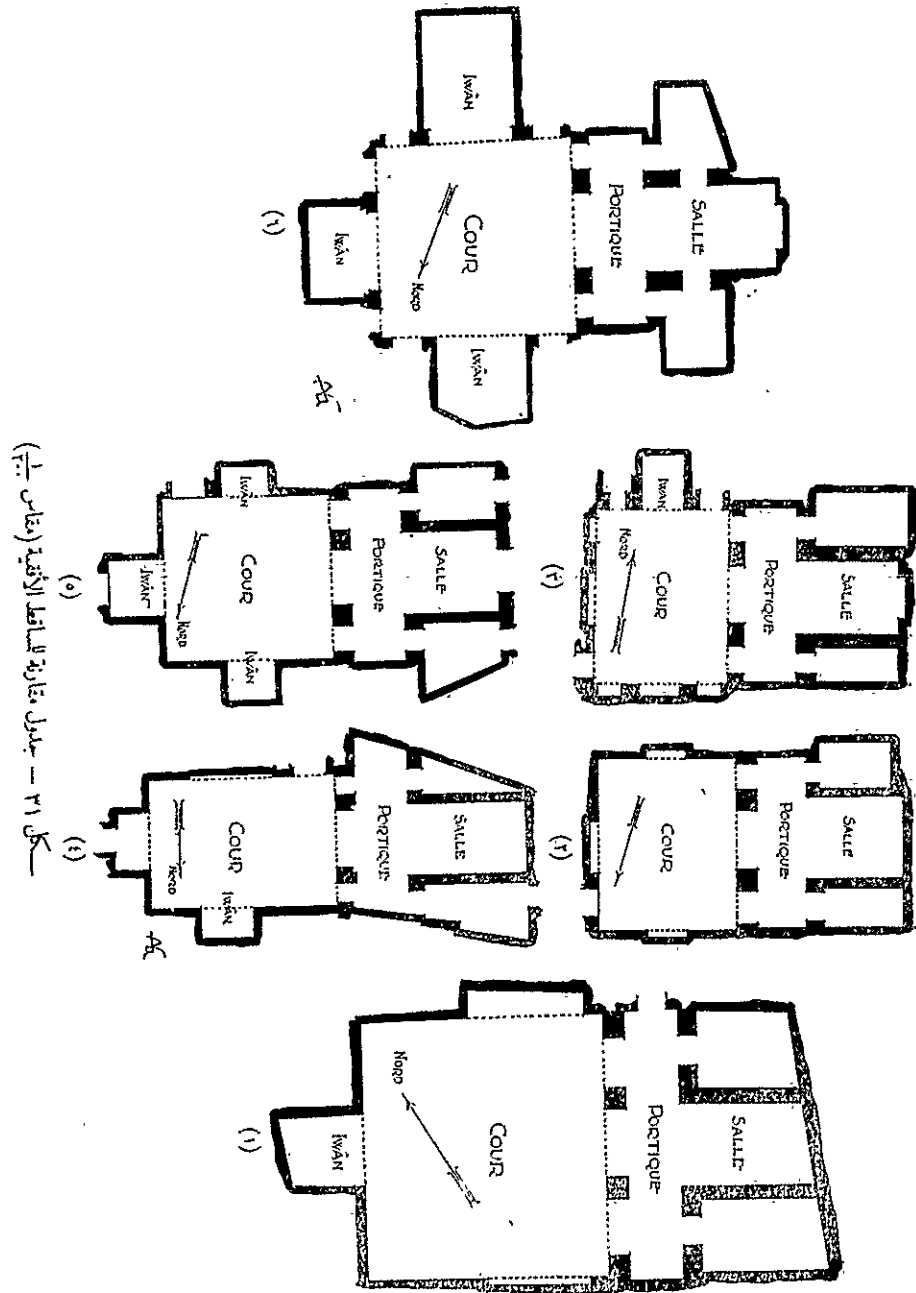
وكانت الأبعاد الأصلية للجوش والأروقة والقاعات تحسب في الغالب بواسطة المضاعف البسيط لوحدة الطول وكسورها . على أن البحث في ذلك بسبب عدم انتظام البناء لا يؤدي إلى نتائج حقيقية واضحة . ولا بأس ، أن تأتي هنا ببيان بعض الأبعاد التي استخرجناها من الدار الثامنة ، حيث يظهر لنا استعمال وحدة تقرب من ٦٤^(١) .

(١) أحضر أحمد بن طولون، الصرائف الذي تولى له بناء العين، واستشاره في بناء الجامع . فقال : "أنا أصوره للأبصار حتى يراه عياناً بلا عمد إلا عمودى الثبلة، فأمر بأن تحضر له الجلود، فاحضرت . وصوره له . فأجبه ، واستحسه ، وأطلقه ، وخلع عليه ..." القرزى ج ٢ ص ٢٦٥ ، وفي القرن الرابع الهجرى ، وعبد محمد بن طنج ، أن يبنى بناً راداً بجزيرة الروضة ، فطلب تخطيطها وتقدير النفقة عليها فصورهما ووضعوا التقدير . القرزى ج ٢ ص ١٨١ .

(٢) يلاحظ أن أبعاد بعض الخيشان بنسبة ٤ : ٥ . ويظهر من ذلك ، أنهم كانوا يستعملون في التخطيط المثلث المصري الذي يسارى مثلما زاريتى القائمة ٣ و٤ والوتر ٥ ، ولكن العمل بالطرق الهندسية غير متحقق تماماً ، لأنهم ولو تعبوا مثلاً خاصة في تعيين الأقسام الكبيرة من الدار فقد كانوا يوفقونه حسب الظروف . راجع عن التخطيطات الهندسية ما كتبه فيتروف Vitruve (طبع شواذى) ، وملاحظات سيوردى فوجويه في «سورة الوسطى» .

(٣) متى كانت الوحدات المستعملة منها ما لا يبلغ مقاسه غير بعض سنتبرات تمدد الوصول من المقاسات الموجودة إلى أى استنتاج ، لأن الأغلاط التي يقع فيها البناء ، تزيد في الواقع عن مقدار هذه الوحدات .

(٤) اختلف مقدار الذراع بمرور الزمن في كل جهة . وكانت تستعمل عدة أذرع متفاوتة في المقادير في الوقت الواحد مثاله ذراع الأدمى وهو ذراع إلا نمن من الذراع الحديد المستعمل بمصر وبكافة . وكان ذراع الحديد أصغر من ذراع العمل وهو ذراع وثلاث بالذراع المذكور أى ذراع الحديد المستعمل بمصر (راجع «نزهة الناظرين» للبرنجي ص ١٤) . وقد لاحظ مستر هرزفيلد في سامرا استعمال ذراع بمقاسه ١٨٠ سم . (راجع «نظرة بسيطة في ملكاوا» Erster vorläufiger Bericht. Balkuware) ، وقد حقق ذلك : بمقارنة عدة أقياس دقيقة في أبنية كثيرة من الدور النسيجية تدرك الفسفاط الوصول إلى مظهرها من حيث الضبط . وقد أوردنا هذه الملاحظة ، ولا نقصد بها إلا التذكير في عمل مباحث من هذا القبيل إذا سمحت الظروف .



شكل ٣١ - جدول مقارنة للسطح الأقيسة (مقاس ١:٣)

طول الحوش = ٦,٤٠ م	$10 \times 0,64$
عرض » = ٥,١٠ م	$8 \times 0,64 - 0,2$
» الرواق ذي الفتحات الثلاث = ١,٩٢ م	$3 \times 0,64$
امتداد الإيوان للداخل = ١,٩٥ م	$3 \times 0,64 + 0,03$
عرض القاعة الجانبية (البحرية) = ١,٩٥ م	$3 \times 0,64 + 0,03$
العرض الكلي لحوض الفسقية (السطح) = ١,٢٨ م	$2 \times 0,64$
عرض الأكاف بالحوش (الواجهتان الشرقية والغربية) = ٠,٩٨ م	$0,2 + \frac{2,4}{3} + 0,64$
» » » » (» البحرية والقبلىة) = ٠,٦٤ م	$1 \times 0,64$

٢ - الاتجاه

الرواق ذو الفتحات الثلاث الذى يمر منه الداخل الى الغرف المهمة من السكن يستقبل المشرق على وجه العموم ، وقد يستقبل المغرب . وكانوا ينجنبون الجنوب ، كما ينجنبون الشمال ، والظاهر ، أنهم كانوا يحاولون أن يكون الاتجاه قريبا من الشمال الشرقى ، كلما كان ذلك في الامكان^(١) . على أن هذا القصد (راجع الجدول شكل رقم ٣١) ، لم يكن من المتيسر تحقيقه في كل مرة ، لأن شكل الأرض ، وموقع المدخل ، كانا يضطران الباني الى الخروج عن هذه القاعدة التي كانت غالبية الاستعمال .

٣ - مشتملات الدار

(١) الحوش . ماورد في كلامنا عنه الى الآن، يقصد به الحوش الوسطاني ، أى الفضاء الساموي لا القاعة ذات الشخصيفة التي تشاهد في بيوت القاهرة ، وقد توجد حيثشان صغيرة المقاس (٤ - ٥ أمتار) يمكن تسقيفها بمربوعات من الخشب . ولكن اذا بلغت

(١) جاء في ابن دقاق ، ما يدل على الميل الى تليف حواء المنازل . وقوله في ذلك ، هو عن دور القاهرة في آخر القرن الرابع عشر الميلادي . ولا شك أن البانيين كانوا يهتمون بذلك في الفسطاط . وهذا نص ما قاله ابن دقاق : وترجع الحرارة على الرطوبة في هذه الأماكن (مصر) كان اعتناهم في المساكن التي يبنونها بالصيف وما يحف به من طرفه المشايين له ويده أضاف اعتناهم بالشتاء وما يحف طرفه من الرطوبتين المشايين له ، ج ٤ ص ١١٨ .
(٢) مال ذلك ، فيثروف ، فانه وضع قواعد الاتجاه . (فيثروف طبع في لندن ج ٤ لوصة ٥٦ و٥٧ ص ٩٦) ، ولكنها لا تنطبق في الحقيقة إلا على أحسن الأحوال في بعض المناطق المعبية ، ويشذرتحققها بالذمة الا اذا كانت الأرض واسعة . أما في عدا ذلك ، فقد كان يراعى تطبيق هذه القواعد على قدر الامكان .

في الطول ٧ أمتار الى ١٠ تحتاج الى دعائم متوسطة . وهو ما لم نعثر له على أثر في الحيشان التي تكلمنا عليها .

فضلا عن ذلك ، فان الرواق ذا الفتحات الثلاث لم يكن ممكنا فتحه إلا على فضاء طلق الهواء ، حتى يتوفر للقاعة الكبيرة الظل والطراوة . أما اذا كان الحوش مسقوفا ، فلا تكون لهذا الرواق فائدة . وكذلك أحواض الزهور التي حول الفسقية ، فانها لتطلب وصول النور اليها مباشرة . ويجوز أنهم كانوا ينجذون الخيم أو المظلات لتغطية جوانب الحوش ، فيصبح الحوش والفسقية في وسطه على هيئة الـ *Impluvium* في البيت الروماني^(١) .

ولأجل أن نوفي الكلام حقه من التفصيل في هذا الباب ، تنقصنا معالم من البناء لم نعثر على شيء منها بعد .

(ب) الرواق والقاعة . هما المحلان المهمان من البيت . وقد يلاحظ أنه لم يعثر في نقطة اتصال القاعة بالرواق على عماد ، ولا أكاف ، بمعنى أنه اذا قصر النظر على المسقط الأفقى ، رأى فضاء على شكل *L* تحده الجدران . وقد عثر مسيو هرزفيلد في سر من رأى على مثل هذا الوضع فسماه *L förmiger Saal*^(٢) .

والحقيقة أنه لم يبق ، في سر من رأى ولا في الفسطاط من الجدران إلا ارتفاع قليل ، لا يسمح بمحاولة وضع قطاعات واضحة للدار ، تبين ما كانت عليه في الأصل . والأصوب عندنا أن يقال عنها إنها مجموعة مكونة من رواق داخله قاعة ، جعل مدخلها في كامل عرضها . وليس فيما اصطلاح عليه ما ينقض أن الدار كانت تتألف من مجموعة تكون قطعة واحدة . ولكن رأينا يرحح بوجود الشبه بين الرواق والـ *proptás* (الصدر من قسم الحرم)

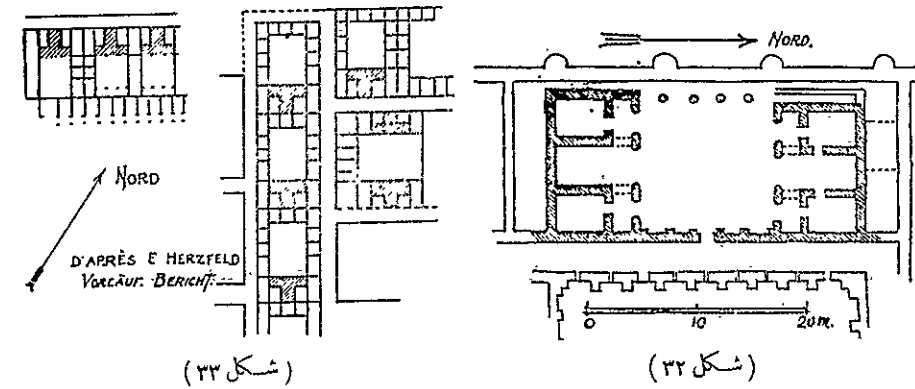
(١) في حالة ما يكون الـ *impluvium* ليس فيلنكه فقط ارتكاز متوسطة كما في الحوش المسقوف التوسكاني أو الذي تصرف مياه الأمطار خارجة ولا يندرج اليه *Cavaedium tuscanica*، أو *cavaedium displuviata*. (Vitruve éd. Choisy t. IV, Pl. 60 et texte, liv. VI, chap. III, 2, 11.)

والـ *impluvium* عند الرومان فدرجة مربعة في وسط حوش مسقوف تسقط فيه الأمطار من فتحة في وسط السقف كانت تسمى كوربليوم . (عكوش)

(٢) أى فاعة على شكل حرف تاء مقلوبة ، *L* . راجع E. Herzfeld, *Erster vorläufiger Bericht*, ص ١٧ ر ٤٧

في البيوت الهلنستية، من جهة . وبين القاعة والايكوس *oficos* (غرفة الاستقبال) من جهة أخرى .

وهذا الشبه متوفر أيضا في المجرتين فانهما شبيهتان بالثلثوث *thalamos* ، والانتيلثوث *amphithalamos* ، وهما حجرتان للنوم .



ويلاحظ ، أن هذا النظام المتخذ في الدور لا يزال الى الآن مستعملا في عدّة جهات من العالم الإسلامي . وقد وجد منذ بدأ الفن الإسلامي في الأخضر (شكل ٣٢) وفي سامرا ،

(١) وراجع ما كتبه فيتروف عن البروتاس والاريكوس طبع شواذى أيضا ك٦ باب ٩ ص ١٠١٠ ، وما كتبه فيتروف عن البروتاس وشرايدر Schrader و Wiegand ما كتبه فيتروف أيضا ك٦ باب ٩ ص ١٠١٠ ، وما كتبه فيتروف أيضا ك٦ باب ٩ ص ١٠١٠ ، وما كتبه فيتروف أيضا ك٦ باب ٩ ص ١٠١٠ . وليس من المستلزمات المحتمة في البيت الهلنستى وجود الأروقة الداخلية المتواصلة بجوانب الحوش الأربعة *péristyle* ففي بريين على الخصوص ، بعض بيوت يقتصر وجود الأروقة فيها على ثلاثة جوانب ، أوجانبين أو جانب واحد . (برين ص ٢٨٥ شكل ٢٩٨ وما يليه) وزيادته على ذلك في الأحوال التي تكون فيها الأروقة ماردة على هيئة مبنى ، ليس من الضروري قيام القائل في الجهات الأربع . وهناك نظام غريب أورده فيتروف في الطبعة الرابعة ك٦ باب ٩ وهو الزواقي الرومسي المسمى *peristylum rhodiacum* ، ومنه أمثلة في بريين Priène, p. 297, fig. 316 (راجع art. Couve B. C. II. 1895, p. 400-516 Pl. IV-V. وهو يتكون من رواق في أحد جوانب الحوش مرتفع عما في الجوانب الأخرى وله واجهة تقابل الجنب كما ذكره فيتروف ولكن الاتجاه يختلف تماما للواقع .

وأذا قيل إن بيت القسطنطينية اتخذ على مثال البيت الهلنستى ، أو إن البيتين يرجعان الى أصل واحد ، فانه من الممكن تشبيه رواق القسطنطينية ذي الفتحات الثلاث ، بالرواق السابق (راجع فيتروف الطبعة السابقة ، الكتاب السادس ، باب ٩ ص ١٠٨) وقد حلت في القسطنطينية الاروين محل الأروقة الصغيرة في البيت اليوناني . وفي تكرار الأكتاف المتعددة من الأبر والصفى المشابهة ، ما يشهد بوجود نظام مطرد .

(٢) وراجع فيتروف ، طبع شواذى ، الكتاب الحادى عشر الباب التاسع ص ١٢

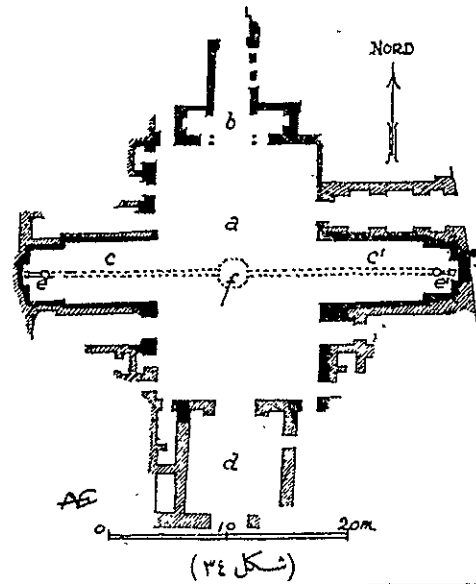
(٣) وراجع القصر والجامع بالأخضر لـ ج . ل . بل (الرسم الأيمن لوحة ١) .

(شكل ٣٣) وفي القاهرة في قصر ست الملك ، لما كان على أصله ، قبل أن يضم الى مارستان قلاون . وقد تمكن هرتس بمباحثته من رسمه على حسب أوضاعه الأصلية (شكل ٣٤) .

ويوجد أيضا بتونس في بعض الدور المختلفة من القرن الثامن عشر . وفي بعض الدور الحديثة العهد بالعراق .

على أن هذه البيانات لا تفتح الطريق أمامنا اذا أردنا الاستدلال على المصادر البعيدة العهد التي أخذ منها هذا النظام الغريب . ونرى من العبث ، محاولة البحث عن الأصل الذي اقتبست منه الأمثلة القليلة التي ذكرناها بين المدن القديمة في الشرق .

وهلا يكون الأصل الذي بنيت على مثاله الدور في العراق وإيران واليونان ورومة مأخوذا عن انجليانيين والحيتيين ؟ ولكن كيف كان التطور



(١) يبنى هذا الشكل على قسم من تخطيط لكوأوا كارتو مسيوهرزفيلد في (*Erster vorläufiger Bericht*) .

ويشاهد هذا الوضع نفسه ، في البيوت التي كشفت في سامرا وقد نشر مسيوهرزفيلد رسمه بمقاس صغير جدا لا يمكن استنتاج شيء منه . وراجع «البيعة الثانية بسامرا» *B. Herzfeld, Mitteilung über die Arbeiten der zweiten Kampagne von Samarra* ، في مجلة «الاسلام» *Der Islam* سنة ١٩١٤ ص ١٩٦ — ٢٠٤ ، الشكل ، ص ٢٠٣ وقد جاء في الوصف المربى الذي أورده مسيوهرزفيلد ، أن الأجزاء التي رسمها بنيت على تصميم ثابت (مؤلف من حوش في الوسط بصورة ثابتة على شكل *U* بكل من جانبيها جبهة متقوية ، (*B. Herzfeld, Erst. vorläuf. Bericht, p. 14 et suiv.*) ص ١٤ وما بعدها .

(٢) هرتس باشا في «مباني السلطان قلاون بالقاهرة» *Die Baugruppe des Sultans Qalāun in Kairo* لوحة ٣٢ وشكل ٤٣ في (*Abhandlungen des Hamburgischen Kolonialinstituts, t. XLII, Hambourg, 1919*)

(٣) وراجع «بحث في العمارة العربية والمغربية بالأندلس» تأليف جيرولت دي برنجي ، (*Girault de Prangoy, Essai sur l'architecture des arabes et des Maures en Espagne*) لوحة ٢٥ — ٢

(٤) نقل مسيوهرزفيلد عن بغداد وضواحيها رسم كثير من البيوت الحديثة العهد ، فيها المباني تحيط بحوش مربع ، والطبقة الأرضية مسقوفة بمقد ، وفوقها الطبقة الرئيسية من البيت بها فتحات وافية الاتساع مشرفة على الحوش . والمكان المسروق بطاونه ليوات يقابل عندنا الايوان والقاعة (راجع الدار ببغداد وغيرها من مدن العراق . *O. Reuther, Das Wohnhaus in Bagdad und anderen Städten des Irak* ، يعلى الخدموس (راجع شكل ٥٩ ص ٢٧)

في هذه البلدان؟ والباقي من مبانيهم نادر . ولا يوجد بمصر شيء من البيوت المائلينستية والقبطية . ولا نعرف عن بيوت فارس الساسانية^(٢٢) ، إلا بعض بيانات تافهة . ومن ثم نعدل الآن بحكم الضرورة، عن البحث في الأصول التي استمدت منها أبنية الفسطاط، من مدنيات الشرق القديم .

(ج) الأواوين . هي من المرافق التي تلازم الحوش وتعد في طليعة الغرف، حيث يسهل التنقل فيها من محل إلى آخر، على حسب الفصول وساعات النهار . وهي في الحقيقة توافق الطقس مهما كانت متقلبا . ولا تخلو من علاقة بالأليسه *alav* ، محل الانتظار في الإيمبوليوم الروماني ، والتريكلينيا *triclina* ، قاعة الأكل ، والأكزيده *exhedra* قاعة الجلوس في البيت اليوناني، الأندرونيتس *andronitis* الذي وصفه فيثوف^(٢٣) .

ومن رأينا، أنه لا يوجد ما يثبت وجود الشبه، بين هذه الأماكن التي تحيط بالحوش المكشوف، وبين الوضع الأفقي الصليبي، المشاهد في الكائس اليونانية والسورية، ذات القباب الدائرية^(٢٤) . ولا يفوتنا، أن شكل الأفقي في الكائس، التي على شكل الصليب اليوناني، والأبنية المماثلة لها، كان الباعث على اتخاذها، ضرورات التوازن . لأن البناء بهذا الشكل أوجد حلا لطيفا لاحدى النظريات الميكانيكية، إذ به تلاشى تأثير ضغط القبة المتوسطة بلا حاجة إلى إقامة دعائم . أما في دور الفسطاط فان الأمر يختلف عن ذلك اختلافا جوهريا . لأننا إذا تركنا جانبا النسب والقياس، نرى أن الأواوين

(١) لمس بل عن "الأغنيش" بحث عن أصول التصور الأولى في العهد الاسلامي . وقد اعتبرت المجال المعروفة بلوان اللامعة ، من نظريات التيلادى . ولكنها حلت من قيمة هذا الرأي قوطا : ان البيت المائلينستى صدرت عنه الفكرة التي أدت لان تزايد اللطامة على البيوت . (راجع القصر والجامع بالأغنيش، لمس بل ص ٨٧) و يلاحظ ، أن الرواق الحثي ذى الفتحات الثلاث ، يتصدرا قاعة تكون غالبا على نفس اتجاهه يسلك اليها من باب . وإذا يكون النظام الذي على شكل *J* ، زيدت فيه زيادة لم يسلم مصدرها بعد (راجع عن هذا الموضوع مباحث كولدوي *Koldewey* عن مباني التيلادين في سوريا وبلاد آشور وفارس وراجع «حفریات زندجرى» *Ausgrabungen in Sindschirli* ، تأليف C. Humann et R. Koldewey، طبع برلين سنة ١٨٩٨ ج ٢ ص ١٨٣ وما يليها شكل ٨٢ و ٨٤ لوحة ٢٢ و ٢٦ و ٢٧) .

(٢) لا يمكن أن نعتبر من التخليطات الأصلية المائل الذي نشره مسبودى مودجان في «بنة علية فارس» *Mission scientifique en Perse* وراجع ٢٤٦ و ٢٤٧ ، لأنه لا يتم عن مبدأ عام سابق على تنظيم مجال السكن، ورفاية ما يستتج منه أن المنازل التي من هذا القبيل ، كانت تستعمل على طيعة «أرضية» ، مفقود فيها دور أول مبنى بناء خفيفا .

(٣) فيثوف طبع شواذى الكتاب السادس الباب التاسع ٢١ — ٢٤

(٤) وعن قال بوجود هذه المشابهة، مسبودى فان برنم في كلامه عن أوواوين المدرسة . وراجع مقالة مكس فان برنم عن «التأديج الأصلية لباني المدينة الشهيرة في العارة الاسلامية في سورية ومصر» في دائرة المعارف الاسلامية لفرنسا، طبع ليدوباريس سنة ١٩٠٨ ص ٤٢٨ — ٤٣١

ليست بعيدة في الشبه عن الصنف الكبيرة بقصر عمان^(١)، وأيوان كبرى بالمدائن . وفي قصر ست الملك، أوواوين واسعة عن أوواوين الفسطاط^(٢) . ولكنها موضوعة مثلها في اتجاه المحاور . وهذا يسمح لنا بالاشتراك مع هرثس بك في قوله : إن هذا الأفقي يعين دورا من أدوار التطور لطرز مخصوص، تمحول في القرن الثالث عشر الى الشكل المنبني عليه جامع السلطان حسن^(٣) .

باب الدار — في الدور التي وصفناها لم تكن الابواب موجودة . وقد رسمناها على أصلها ولا نشك في أكثر المواقع التي عينها لها . والمفهوم من رسم الدور التي لم تزل بها بقية كافية من معالمها، أن الدخول من الطريق الى الحوش، لم يكن على اتجاه محور من المحاور، بل من احدى الفتحات، بجوانب الأواوين . ويظهر أن الدركاة أو الدهليز الذي يؤدي الى الباب، كانت على شكل كوع . ولم نعتز على هذا الشكل واضحا في الحفر . وإنما هو من القواعد العامة التي كانت متبعة في المباني الاسلامية في كل العصور . والغرض منه، حجب ما يجري في الحوش أو القاعة عن نظر من بالخارج .

٤ - الطبقات

ذكر ناصر خسرو، أن بعض دور الفسطاط كان مكونا من أربع عشرة طبقة . فلو فرضنا أن هذه الطبقات كانت على أقل ما يمكن من الارتفاع، لوصل علو البيت الى خمسة وثلاثين مترا

(١) أوردت Th. Wiegand في بعض المؤلفات الحديثة «منشورات الادارة التركية والألمانية لحماية الآثار» *Wissenschaftliche Veröffentlichungen des Deutsch-Türkischen Denkmalschutz-Kommandos* طبع برلين وليمينج سنة ١٩٢١ (I. Hofst 1) أقيمت بعض منازل سينا تكميلا لما دونه A. Musil في «الجزيرة» (Arabia Petraea) ويرتبط هذه المنازل ببعض يتكون من غرفة حول حوش في الوسط (شكل ٦٠ ص ٦٩) . وأحيانا توجد فيها كما في الفسطاط، الأواوين مفتوحة على الحوش في كامل عرضها، غير أن هذا النظام، لا يرجع الى وضع مرعى .

وهي مع ذلك بيوت مبنية كلها بالجر وكانت سفوفها مرفوعة على عقود (شكل ٦٥ و ٦٦) بالطريقة المعروفة في البيوت السورية التي ترجع الى القرون الأولى من التاريخ المسيحي («راجع سورية الواسعة» *Syrie Centrale* تأليف د . فوجوييه) .

(٢) راجع *Dier Baugruppe des Sultans Qalān in Kairo* تأليف هرثس باشا (لوحة ٣٣ وشكل ٤٣) .

(٣) عما يوسف له أن عمارات الأيوبيين لم تختلف بينها أمثلة من بيوتهم . ولا يحتوي كتاب وصف مصر، إلا على جزء من واجهة القصر الذي أنامه نجم الدين في جزيرة الروضة، وكان بعضه لا يزال موجودا في القرن الماضي . (كتاب «وصف مصر» *Description de l'Égypte*، ج أول لوحة ٥٣، رنان، القسم الثاني ص ١٥٩ وما يليها) .

(٤) ناصر خسرو، «سفرنامه» (طبع شيفر، ص ٤١٦) .

على أقل تقدير . ولذلك نقابل هذه الرواية بشيء من التحفظ . على أنها قد تكون دليلاً على أن بيوت المدينة كانت طبقات . وقد وصل إلينا أن بعض المنازل كانت لها سطوح واطئة جداً . ومن البديهي أن المدينة لا تكون أبنيها كلها على طراز واحد ، فتكون فيها القنادق والرباع . وكانوا يبنونها في الجهات المزدحمة بالمناجر على ضفاف النيل ، وبجانبا الدور ، ومن بينها ما يكون مخصصاً لأسرة واحدة . ولا شك ، أن ما وصفناه من الدور هو من هذا القبيل^(١) .

أما تعدد الطبقات لدرجة كبيرة فتعترضه ثخانة الجدران ، ونظام الرسم . على أننا لا نجزم بوجود طبقة عليا فوق الدور الأرضي . وهي مسألة بحثنا فيها لما تكلمنا على الدار الأولى ، ولا يزال حلها أمراً مستعصياً .

وقد عرضت هذه المسألة نفسها للبيوت المبنية على الطراز الهلينيستي، في ديولوس مثلاً . ولكن كان هناك بين الانقراض بعض أجزاء من أكتاف وتيجان، مما لا يوجد عادة إلا في الأروقة القائمة في الطبقة الأولى، بخلاف القسطنط ، فإننا لم نجد فيه شيئاً من هذا القبيل . ولا تكفي الشنايش الظاهرة في محل المربوعات بقمة بعض الجدران ، لاثبات وجود الطبقة الأولى ، على أن الشنايش التي وجدت من هذا القبيل قليلة العدد . ومن وجود الأقبية المستطيلة الرأسية (قصبات المراحيض) في الجدران ، يستدل على أن مراحيض الدار كانت بجمل عال . ولا يمكن

(١) وكان بمصر طوائف من أهل القنادق سكنوا بيوتاً صغيرة السقف ، تربية من يسى في الطرقات ويظف ، وقد أخذوا سلباً وخطاطيف فاذا مر بهم أحد شالوه في أقرب وقت ثم ضربوه بالأخشاب وشرحوا لجه وأكلوه (القرزي ج ١ ص ٣٢٧) .

(٢) قال ابن خلدون... كان الدين أول الأمر مانعاً من المبالاة في البناء والاسراف فيه في غير القصد ، كما عهد لم عمرحين استأذنه في بناء الكوفة بالجماعة ، وقد وقع الحريق في القصب الذي كانوا يترا به من قبل ، فقال : انقلوا ولا يزيدن أحد على ثلاث أليات ، ولا تطاولوا في البناء ، والزوا السنة تازم الدرلة . (مقدمة ص ١٧٥) .

وفي القسطنط ، لم تكن منازل العرب ، في الأول ، تحتوي إلا على طبقة واحدة أرضية . "وكان خارجة أول من ابني غرفة بالقسطنط ، فكتب بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمران : أدخل غرفة خارجية ، وأضرب فيها سريراً ، وأقم عليه رجلاً ، ليس بالفلو بل ولا بالقصير ، فان اطلع من كواها ، فاهدما فعمل ذلك عمرو ، فلم يبلغ الكوى فأقروها" (ابن دقاق ج ٤ ص ٦) .

والظاهر من ذلك ، أن القاعدة العامة كانت : أن تبني البيوت من طبقة واحدة أرضية . وما يصح ذكره في سياق ذلك ، قول القرزي : وكانت الغرس لا تبيع شريف البنيان ، كما لا تبيع شريف الأسماء ، إلا لأهل البيوتات ... (القرزي ج ٣ ص ٥١) . وفي سامرا ، لا تحتوي البيوت إلا على طبقة أرضية . (E. Herzfeld, Vorläufiger Bericht, 14)

أن يستنتج شيء من وجود بقايا السلام ، ومواضع الدرج . وليس السبب في ذلك صغر مقاساتها . لأن السلام في العمارة العربية حتى في الأبنية الفخمة كانت صغيرة الحجم . ولا يمكننا الجزم بأن السلام التي وجدنا درجاتها الأولى كانت معدة لغير السطوح والخرانات أو ما يسمى بالصندرة .

وربما كانت هناك طبقة عليا كالتي في بومبي وديولوس ، فوق جزء من الطبقة الأرضية . ويجوز أنها غرف مرتفعة مصفوفة إلى جانب غرف أصغر منها على مستويين . ولم يكن من الضروري إذا أن تكون السطوح على استواء واحد ، بل كان في الامكان جعل ارتفاع الغرف تحت السقف مناسباً لاتساعها . وهذه الافتراضات لم يثبتها شيء من المشاهدات الناتجة من الحفر . وكذلك الحال في الواجهات والقطاعات الأصلية . وهنا نتساءل هل كانت سطوح الدار أو السقوف المتوسطة مرفوعة على مربوعات (جوائز) أو أقبية ؟ أما الظاهر من الأكتاف والجدران ، فإنه ضعيف جداً عن حمل الأقبية ، ومنع تأثير دفعها . ومع ذلك فإن العقود المهموزة والحيزومية كانت شائعة ، ولا يبعد أن تكون خليطاً من العقود المنقولة عن جامع عمرو وجامع ابن طولون . وكانوا يبنون بدل العمود دعائم من الآجر ، كما في جامع ابن طولون ، ويرفعون عليها الأقواس بالآجر أيضاً ، حول الحيشان ، على نظام مطرد ، ثم توضع عليها المربوعات . وكانوا يجعلون السقف مستويا . وهو من التقاليد التي لم تزل متبعة إلى اليوم . ولم نجد أثراً للقرميد بين الانقراض .

٥ - الغرف واستعمالها وتقاسيم الدار

من بين الدور المرسومة في الفصل السابق ، ثلاث ، لكل منها حوشان منفصلان ، بحيث يمكن اعتبار كل حوش وسط دار قائمة بذاتها . وهو وضع نجد فيه انقسام الدار اليونانية إلى

(١) هذه الأقواس المنخذة من الآجر ، كانت تقام الجوائز من الخشب النخيل ، وفاندها عظيمة في البلاد التي يقل الخشب فيها . وفي جامع سامرا ، أكتاف من الآجر رطبها قلع من الخشب ، موضوعة فوقها الجوائز مباشرة دون التسود الحاملة . (E. Herzfeld, Vorläufiger Bericht, 14) ويشاهد مثل هذا النظام في جامع المنصور بالرة . وفي الجامع الأموي بدمشق . أما في مصر فقد عم استعمال العقود ، والظاهر أنه من الطرق التي جرت بها من سورية . ومن المقبول أن البيوت كانت تبني بالطرق التي تبني بها المساجد .

أندرونيثس *andronitis* (السلامك أو القسم المخصص للاستقبال) و *gynaikeionitis* (محل الحريم^(١)) أو الدار اليونانية الرومانية إلى اتريوم و *peristylum* (atrium et peristylum) وهما القسمان الخارجى والداخلى . وفى برين دور من هذا القبيل، حوشها فى الوسط على هذا النظام^(٢) . ومن المحتمل ، أن يكون فى دور القسطنط أحد الحوشين مخصص للرجال والآخر للحريم .

والغالب فى دور القسطنط ، و *perien* ، و *diolos* ، أن لا يكون فى الدار غير حوش واحد . ولو ثبت وجود الطبقة الأولى فى القسطنط، لقلنا أن محل الحريم كان موجودا فيها، ولكننا لم نثبت مما يدل على ذلك . كما أننا لم نختصق على أى حال كان يعيش النساء فى أوائل الفتح الاسلامى ، وفى العهدين العباسى والطورونى^(٣) . والمعروف، هو أن الغرف لم تكن معدة لغرض مخصوص، كما هو الحال عندنا فى بيوتنا الآن^(٤)، فان القاعة الكبيرة ، والرواق ، والأواوين، بل والصحن ، كل ذلك كان يستعمل لاستقبال الزائرين، تبعا لأوقات النهار والفيصول . وكانوا يجهزون الطعام على كوابن من الطين يوقدون بها فى الحوش أو فى حجرة صغيرة . ولكن لم تقف على شئ من هذا القبيل .

وإذا نظرنا الى تقاسيم الدار الأصلية وإبعادها وكيفية ترتيبها، نرى الدار فى القسطنط كالدار الهلنستية أو الرومانية . إلا أن بعض الأوضاع الخصوصية، تحملنا على محاولة البحث عن أصولها

(١) فيروز ، الطبعة السابق ذكرها ، الكتاب السادس ، الباب التاسع ، ص ١٤ و ٢٦ و ٣٤

(٢) الفرق الذى قال شواذى بوجوده ، بين الدار الخاصة *privata aedificia* وبين الدار العامة *communia aedificia* فى طبة « فيروز » ج ١ ص ٢١٨ و ٢١٩ ، غير موجود فى المتن اللاتينى .

ولما تكلم فيروز ، عن تفاصيل المسقط الأثني للبيت اليونانى ، ذكر بعض البيوت الصغيرة *domuncula* . وقال انها كانت مخصصة للضيوف ومنفصلة عن المسكن بداليز *mesaula* ، وهو تركيب جديد ينطبق على مجموعة الدار السادة والسابعة والسابعة «مكرر» (راجع الملحق ، الباب الرابع) .

(٣) برين ، تأليف ويجاند وشريدنر ص ٢٨٩ وشكل ٣١٣ و ٣١٤

(٤) تترضا فيما يتعلق بسكنى النساء ، هذه المسألة فى البيت الهلنستى (*Priene* ، ٢٩١) . والمحتل ، هو أن وجود الحريم والسلامك ، وتخصيص مكان لكل منهما ، اتفردت به فى جميع العصور ، المساكن النسيحة المشيدة فى الأراضى المنتمية . وهذا التخصيص ، ظاهر جدا فى بيوت الأمراء والأكابر . ومن هذا القبيل ، اتخذ أحمد بن طولون دارا خاصة بحريمه ، بجزيرة الروضة (المقررى ج ٢ ص ١٧٨) . وكان بجوار السوق الكبيرة ، زقاق سده تراثوش الأفرى ، وأضانه الى داره من شرقيه ، ويجعل له دربا حازه به الى حريم داره (ابن دقاق ج ٤ ص ١٤) .

(٥) وذكر ابن دقاق ، فى وصفه در مصر ، أسماء عدة من الغرف والحمام التى يشتمل عليها المسكن ، فأورد المجلس والبازنج والمستشرق والمودج والطارمة (ابن دقاق ج ٤ ص ١١٨) . ولكن كلامه ، لا يبين على تطبيق هذه الأماكن على أجزاء الدور ومنازلها ، لأن مدلولها ينطبق على مجال منسمة نغمة ، عما فى القسطنط .

فى العراق . ويظهر التأثير العراقى جليا فى الدار السادسة . وهى ، كما سبق لنا بيانه ، مبنية بنظام خاص ، يظهر أنه منقول عن أصل عراقى^(١) . وسنرى فى الفصول الآتية ، عند الكلام على صناعة البناء والزخرفة ، من الظواهر ، ما يدل على هذا التأثير الشرقى^(٢) بوضوح .

(١) المسقط الأثني فى الجزء الرئيسى من هذا البيت ، يشبه شيئا تاما نظيره ، من مساكن الأخيضر (راجع الملحق ، شكل ٣٢) ، وسامرا (راجع الملحق شكل ٢٣) ويمكن تشبيهه أيضا بالمسقط الأثني للاندرون ، أو قسم الحريم ، الخاص بالحاكم فى تم من ريم ديولاوى راجع «فارس والأهواز وكادة» *La Perse, la J. Dioulafoy* ، تأليف . *Susiane et la Chaldée*

(٢) كانت العلاقات متبادلة كثيرا فى عهد بنى أمية وبنى العباس بين البلاد التى بسطت الاسلام عليها طه . وكان تبادل المهتمات والمعال ، فى كل شئ . من العوامل على تسهيل انتشار الطرق الصناعية ، الخاصة بكل اقليم ، (راجع « مصادر الفنون الاسلامية » *Die Genesis der Islamischen Kunst* لهرزفيلد ، فى مجلة "الاسلام" سنة ١٩١٠ ص ٦٠ و ٦١

ولما ولد معاوية بن أبى سفيان زيدا أخاه البصرة ، غرّب جماعة من الأزد الى مصر ، وبها مسلمة بن نخلد ، فى سنة ثلاث وخمسين هجرية (٦٧٣ م) ، فنزل بها منهم نحو من مائة وثلاثين . فقليل موضعهم من خطة الظاهر ، سويقة العراقيين . (خطوط المقررى ج ١ ص ٢٩٨) .

وفى أيام العباسيين كان الولاية من العراق . وعلى عهد ابن طولون بلغ أحد العراقيين الى مصر « فلما دخلها رأى فيها كثيرا من أهل بغداد ، فخاف أن يعرف ، فخرج الى أرباعها » (المكافاة لأحمد بن يوسف الكاتب ، ص ٣٦) .

استندراك — وقع خطأ مطبعى فى السطر الثالث من الهامش رقم (١) وصوابه ما يأتى :

La Perse, la Susiane et la Chaldée تأليف J. Dioulafoy

الباب الثاني

صناعة البناء

١ - الأسس

كانوا ينزلون بالأسس ، في كل مكان ، الى الصخر . أما البناء ، فلم يكونوا يتخذونه على وتيرة واحدة ، ولا يمكن أن تتوصل منه الى أى استدلال تاريخي . لأن الأساس الواحد ، كان يبنى بعدة طرق في وقت واحد .

(١) الأسس المبنية باللبش — فيها يكون الحفير محتويا على بناء باللبش المنحوت نحتا بسيطا . وكان يؤتى به مما يتخلف من تمهيد الصخور المجاورة ، وأحيانا ، يلقي في الحفائر على غير نظام ، ويربط بعضه ببعض ، بمونة من الطين أو الطين والجير ، وأحيانا يرص على هيئة مداميك تختلف درجة انتظامها^(١) (لوحة ١٥-١) .

(ب) الأسس المبنية بالآجر (لوحة ١٦ ، ٤ ، ٦) — يغلب كثيرا ، وعلى الخصوص ، اذا كانت الحفائر قليلة العمق ، أن تكون الأسس والواجهات من آجر يرص مداميك منظمة ، ويسقى بمونة الجير والرمل . وقد يضاف اليه القصرمل أو الحمرة . وكان يبنى كذلك بمداميك من الآجر القائم على سيفه ، بالتبادل مع مداميك من الآجر الموضوع على سطحه (لوحة ١٦ - ٦)^(٢) .

(١) سنذكر فيما يأتي من كلامنا ، في هذا الباب ، مذلا بكلمة الحسبة ، بعض فقرات نقلناها من كتاب بخط اليد ، عنوانه "الرتبة في الحسبة" محفوظة بكتبة الجامعة الفرنسية ببروت . وهو يحتوي على ١١٤ فصلا ، تبحث عن الأسواق والقواعد المفروضة على كل طائفة من أرباب الحرف . وقد ورد اسم ابن بسام في عنوانه ، مع اسم آخر في مقدمته ، والمريخ عندما أن مؤلفه غير معروف ، ولا يمكن تعيين الوقت الذي ألف فيه هذا الكتاب على وجه قاطن . وربما يكون قد كتب على عهد الحاكم أو بعض خلفائه ، لورود اسم الخليفة الحاكم فيه مصحوبا بإشارات التبجيل والاحترام ، كما في العبارة الآتية : "مولانا الحاكم أمر بمنع كتابه من كل من..." .

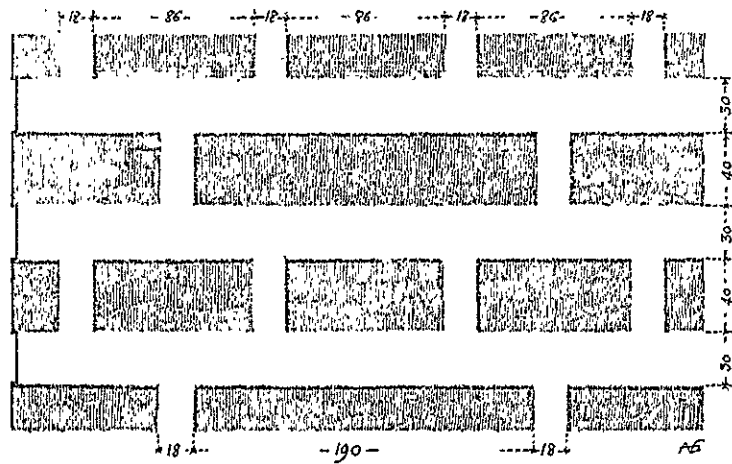
ولما كان الحاكم ، قد فقد ذكره كل اعتبار بعد سقوط الدولة الفاطمية ، فيكون تأليف الكتاب لم يتعد أواخر عهد الفاطميين . وعلى كل حال ، فإن بعض التفاصيل الواردة فيه تبين أن طرق البناء ، لم تكن معمولا بها زينا طويلا ، وأنه من جهة أخرى ، كانت توجد تعليقات شديدة تفيد صنع المهمات واستعمالها .

(٢) هذه الطريقة تشاهد في البناء البيزنطي ، إذ يكون اللبش أحيانا ملقن بدران نظام في المونة ، وأحيانا يكون موضعا على هيئة سفاية السك ، وهو أسلوب غير موجود في القسطنطينية (راجع «فن البناء عند البيزنطيين» *L'Art de bâtir chez les Byzantins* تأليف Chouhry دراذي ص ٨) .

(٣) البناء بمداميك من الطوب مائة ٥٠ ، بالطريقة الشائعة عند البيزنطيين ، ذكر في أيقونة القسطنطينية .

ومن المؤكد أن الأمثلة الموجودة لا تجميع كل هذه الأقيسة، لأن الفروق الظاهرة فيها ناشئة عن ظروف خاصة منشؤها كيفية صنعها . والغالب في الآجر أن يكون مقاسه : $٠,٢١٥ \times ٠,٠٩٥ \times ٠,٠٥٥$. ويلاحظ أن $٠,٢١٣$ هو ثلث $٠,٦٤$. أعني طول الذراع الذي كان يستعمله البنائون في الفسطاط على ما تقدم بيانه^(١) .

(ب) نظام البناء - جرت العادة بأن يوضع الآجر مداميك أفقية متبادلة : مدامك بالطول و مدامك بالعرض . وبهذه الكيفية تتقاطع الخمامات على شكل منتظم (شكل ٣٥) . وكذلك الحال في صفحتي الجدار، فكان الجدار يتكون من كل متجانسة شديدة القوة بالرغم من قلة ثخانتها^(٢) .



(شكل ٣٥)

- (١) على أن ملحوظا - وركز ذلك - لا يمكن مطلقا لأن تؤكد هذه البيانات .
 (٢) يمكن التعرف، من واقع القياس، على أن كل خمس طريات، لو أضيف إليها خمسة خمامات، تسأري في المتوسط ٣٥ سنتيمترا، لأن الخمامات الأتقية قياسها ٣ سنتيمترات، والخمامات الرأسية ١٨ مليمترا . والطوب ثخانتها ٥ سنتيمترات . وفي الجامع العلوي، كل خمس طريات، إذا ضمت إلى خمسة خمامات، تسأري ٣٦ سنتيمترا، من الطوب الذي ثخانتها في المتوسط ٤ مليمترا . وطريقة البناء في الحلاتين متشابهة . وهي على عكس الطريقة البيزنطية، لأن الخمام فيها أكثر ثخانة من الطوب .
 (٣) وقد أشار الفيلسوف إلى العناية بأبنية الفسطاط، فقال : « وكان أكثر بنيانه بالآجر المحكوك والجبس، من أرنق بناء وأمكنه، وآثاره الباقية تشهد له بذلك . (الفيلسوف ج ٣ ص ٣٣٨) .

(ج) البناء بالمدر (كل الطين) واللبن - وجدنا في محلين فقط (بالدارين الأولى والسادسة)، بعض أجزاء من الأسس، تدخل في بنائها كل الطين أو خليط من الرمل والجبس . وإذا حاول الانسان إخراجها من محلها، تفتتت واستحالت إلى تراب . وربما كانت مختلفة من أبنية قديمة العهد . وهي على كل حال من شواذ الأبنية . وكذلك اللبن، فإنا لم نعث على شيء منه في منطقة الحفر، وإنما وجدنا بعض قطع من جدران مبنية به فوق جبل يشكر^(١) .

٢ - البناء بالآجر

(١) الآجر - الآجر المستعمل في الفسطاط، أحمر داكن، متجانس، مستوف الحريق شديد الصلابة، شكله العادي مستطيل . ويختلف في القياس، وهذا بيان ما عثرنا عليه من أقيسته :

طول	عرض	ثخانة	طول	عرض	ثخانة
٠,١٥	٠,٠٦	٠,٠٦	٠,٢١	٠,١٠	٠,٠٥
٠,١٨	٠,٠٨	٠,٠٤	٠,٢١	٠,٠٩	٠,٠٤
٠,١٨	٠,٠٨	٠,٠٤	٠,٢٢	٠,١٠	٠,٠٦
٠,٢٠	٠,٠٩	٠,٠٤	٠,٢٢	٠,١١	٠,٠٥
٠,٢٠	٠,٠٩	٠,٠٤	٠,٢٢	٠,١١	٠,٠٦
٠,٢٠	٠,٠٩	٠,٠٤	٠,٢٣	٠,١٠	٠,٠٥
٠,٢٠	٠,٠٩	٠,٠٥	٠,٢٣	٠,١٠	٠,٠٥
٠,٢١	٠,٠٩	٠,٠٥	٠,٢٤	٠,١٠	٠,٠٤
٠,٢١	٠,٠٩	٠,٠٥	٠,٢٦	٠,١٢	٠,٠٦
٠,٢١	٠,٠٩	٠,٠٦	٠,٢٦	٠,١٣	٠,٠٨

- (١) إذا جاز لنا أن نقرض أن العرب في مبانيهم الأولى لم يتخذوا غير اللبن، فإن وجوده في بعض الجهات، لا يؤدي إلى أي استدلال تاريخي، ولا يجعلنا نقول عن البناء المشيد به أنه من عهد الفتح . ومن المحقق أن مصر ما زالت إلى الآن تشيد فيها أبنية الفراعنة بالطوب الخفيف في الشمس .
 (٢) لم يكن المصريون في عهدهم القديم يحرقون الطين، إلا في أحوال مخصوصة، في مثل بناء قناطر مدينة أبو جهيل موت بالكرك، وسفل الجدار المحاور لبركة ... (راجع - فن البناء عند المصريين - لشوازي ص ١١) 11. *Choisy. L'Art de bâtir chez les Egyptiens*, p. 11. (راجع أيضا « نينوى وأشور ») من ذلك، كانت الأبنية تشيد في العراق على توالي الأزمان، بالآجر من صنع جيد جدا (راجع *Ninive et l'Assyrie I*, 226 « نينوى وأشور ») بلطف Place بلاس .

وكان الآجر يستعمل في العراق مريما . أما في مصر القديمة فإنه كان مستطيلا . ومن أقيستها الشائعة ما هو $٠,٢٢ \times ٠,١١ \times ٠,١٤$ (راجع الأركيولوجيا المصرية، *Archéologie égyptienne* تأليف ماسيرو، ص ١٠٠) . وهو يذاته القياس المتشاهد في الفسطاط مع تقارب في الثخانة . وعلى ذلك، يكون الآجر من حيث شكله الحال والطريقة التي يبنى بها (راجع فابند ب)، من الفقايد المحلية الباقية للآن، وبين المنظر العام لا ملامح الفسطاط وأبنية العراق شبه واضح (راجع على الخصوص « هيئة إلى بلاد دجلة والفرات » 1. XXXI. *Reise im Euphrat und Tigris-Gebiet III & Pl. XVI, XXXI*. Surre-Herzfeld, XXXII, XXXIV, etc.) تأليف

(ج) المون - يوجد شيء من التنوع في تركيب المون، والنماذج التي استخرجناها من الحفرة،
تختصر في التراكيب الآتية^(١) :

١ - مونة الطين، ومونة الطين والجير : وتستخدمان في المباني الحقبية .

٢ - مونة الجير والرمل بنسبة جزأين من الجير وجزء من الرمل، أو جزأين متساويين من
الجير والرمل . وفي الرمل (رمل صوان وحصى رفيع) كمية من جبس بلاوري الشكل .

٣ - مونة الجير والقصرمل، تؤلف من الجير، والقصرمل، والفحم الناعم، بنسبة جزأين
من الجير وجزء من القصرمل والفحم^(٢) .

٤ - الحمرة . وهي تتركب من جزأين متساويين من الجير والآجر المسحوق (الاسطل)^(٣) .
وتشاهد في تركيبها قطع من الجير لم تطفأ . وهي دليل، على أنها لم تغربل . وليس الأسطل
من نوع واحد، بل أن بعضه مسحوق خشن جيد الحريق، والبعض الآخر مسحوق ناعم محروق
حرقا خفيفا .

٥ - وهناك مون، خلط فيها الجبس بالجير على نسب مختلفة، ومون من الجبس الخالص
والجير الخالص .

وهذه المون على اختلاف أنواعها، لم تستعمل لغرض خاص . أما الجبس فما كان يستعمل
في الأسس، ولا في المحال المعدة لجران المياه التي كانوا يستعملون فيها الحمرة ومونة الجير والقصرمل .

(د) اللحاتم والبياض - نرى في الشكل ٣٥ واللوحة ١٠٦ - ٧ قطعة من إحدى
الواجهات، لحاماتها الأفقية أعرض من اللحاتم الرأسية . والظاهر أنه عند الانتهاء من البناء

(١) نحن مدينون بكتاب مسيرا . لوкас مدير المصل الكياوي بخليل هذه النماذج المختلفة، ففكر وشكرنا بلناه .

(٢) والمتوسط أربعة رماذ من رماذ الاناثين وما يشاكله رماذ واثنين جير مطنى ودونه خمسة رماذ واثنين جير (نهاية الرتبة في طلب الحسبة لابن بياض) .

(٣) انطاك الجيد الذي محمد ناقته خمس عبارات جير مطنى بالماء، الذب وعاير واحدتها اسطال مسحوق من اللوب التيق . (الكتاب السابق - باب ٦٣) .
وقد كان تركيب هذه المونة المائية معروفا مستملا في كل العصور، وقد رآه مسيو مورجان مستملا كثيرا في البنايات الساسانية بالعراق (راجع «بنة علمية -

بلاد فارس» . Mission scientifique en Perse, 117, 340) .

كلت مواضع اللحاتم، أفقية ورأسية، بمونة من الجبس . أدخلت فيها كمية كبيرة من الجير . وهذا
اللحاتم بارز مليمترا أو اثنين عن سطح الآجر، بهيئة خطوط بيضاء على أرض حمراء داكنة .

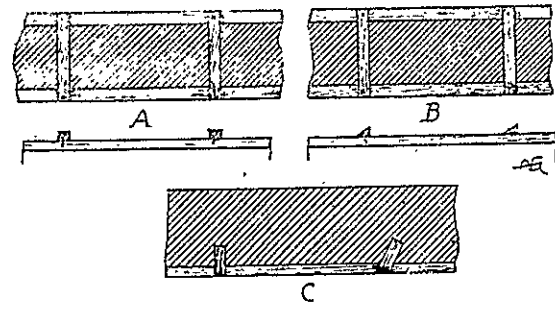
ويؤخذ من اتقان العمل في هذه القطعة، أنها نالت عناية خاصة، لأن البقايا التي وجدت
منها قليلة . ومن الجائز، أن تكون المونة سقطت من مواضع اللحاتم في باقي الواجهة . ويحتمل
أنهم كانوا يكتفون في الأبنية العادية بكحلة الجدار أول بأول بلحاتم لم يخدم كلما علت المباني .

وكانوا دائما يتكون الآجر على الطريق ظاهرا دون أن يكسوه بالبياض .

أما في داخل الدور، فانهم كانوا يبيضون الجدران بالجير الخالص، والجير المخلوط بالرمل،
والجير المخلوط بالجبس . وقد يضيفون اليه التبن . وأما الطين المخلوط بالتبن، فما كان يستعمل
إلا في بيوت الفقراء .

(هـ) القوائم الحجرية - لاحظنا أنهم في بعض الاحيان كانوا يدخلون في بناء الأساس
مداميك من الآجر القائم على سيفه، لتزيد قوة مقاومته للضغط الواقع عليه . ولمثل هذا الغرض

أيضا، كانوا يجعلون داخل البناء
الذي يشيدونه بالآجر قوائم من
الحجر، وهي تشاهد بصفة خصوصية
في بناء الأكتاف لما يكون قطاعها
صغيرا ويحتاج لمثل هذه التقوية،
فكانوا يضعون القائم وضعا رأسيا
في وسط الكتف وينون عليه بالآجر



(شكل ٣٦)

(١) استمر العمل بمثل هذه الطريقة في العراق، في الأبنية الحديثة ببغداد وضواحيها راجع «بنة في العراق» Mission en Mésopotamie تأليف
ماسينيون ج ٢ لوصة ٧ وما بعدها و«فن البناء ببغداد» Die Baukunst in Bagdad تأليف O. Reuther شكل ١١٦ و ١١٨ و ١٢٢ الخ
واللحاتم في بيوت رشيد التي ترجع الى القرن الثامن عشر، ناصمة اللياض، وبارزة بردزا خفيفا (راجع تقرير حرس عن مأموريته في رشيد، في مجموعة لجنة
حفظ الآثار العربية، الكراسة الثالثة عشر، سنة ١٨٩٦ ص ٥١ وما بعدها) .

(٢) الظاهر أن القاعدة المعمول بها في الأصل كانت ترك الآجر عاريا . ودوى أنت أول تربة وضع عليها اللياض تربة ابراهيم بن صالح المنصفي
في سنة ١٦٥ هجرية (٧٨١ ميلادية) .

من جهاته الأربع (راجع ، على الخصوص ، اللوحة ٩) . وقد اتخذوه في بناء الأكتاف بفتحات الأواوين ، وفي الجدران الممتدة لتقويتها ، فكانوا يضعون بين الآجر عدّة قوائم من الحجارة ، متباعدة عن بعضها البعض (راجع اللوحة ١٥-٢ و ١٦-١ و ٢ و ٣) .

ولم يصادفنا غير مثال واحد من هذه القوائم الحجرية ، موضوحا وضعا أفقيا ، كما هو شائع في جهات أخرى (لوحة ١٦ رقم ٥) .

(و) الأربطة - مما اصطلاح عليه منذ القدم ولا زال شائعا في بلاد الشرق ، ربط الجدران التي تشيد بالآجر بأخشاب توضع وضعا أفقيا كما يرى في الكرويكات (شكل ٣٦) .

والمعتاد في الحالة البسيطة (١) ، أن تكون الأخشاب ذات قطاع مربع وتدبج في البناء بعلو طوبية واحدة ثم تربط بمسامير من حديد تدق في خواوير قائمة أو منحرفة تدخل في جنب الجدار . وقد وجدنا من هذا القبيل أمثلة عديدة أحكم صنعها ، إذ جعلت من مدادتين أفقيتين توضعان متقابلتين على صفحتي البناء بارتفاع واحد . ثم يوصل بينهما بعوارض متحدة معهما في القطاع (A) أو تكون من قطاع مثلث (B) يتخذ من مربعة من الخشب مشقوقة على اتجاه وتر قطاعها . ولم يبق الآن من أثر هذه الأربطة سوى الموضع الذي كانت تشغله في بعض الأبنية المشيدة بالآجر . وربما تكون نزع من محلها أو استحالت الى تراب . وفي بعض التجاويف ، وجدت قطع من الأخشاب عرف أنها من خشب الصنط (sacnia) . على أن كثرة وجود هذه الأربطة لا تؤخذ دليلا على تعميمها ، إذ وجدنا جدراننا كثيرة خالية منها .

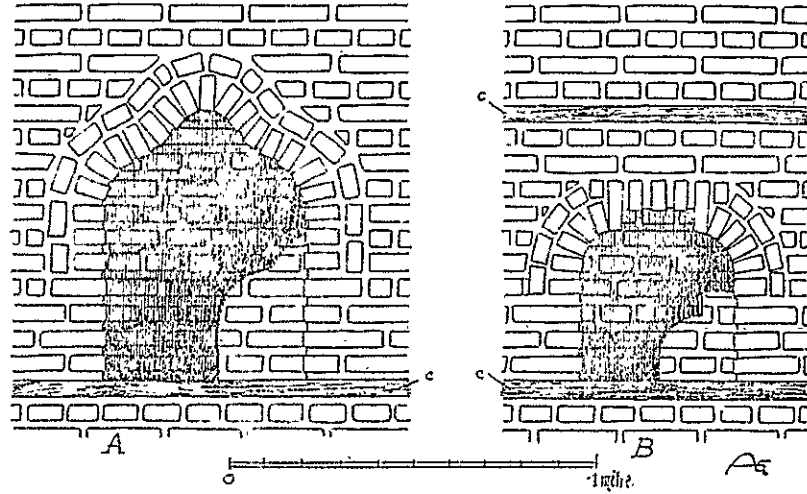
(١) هذه الطريقة التي جمع فيها بين الحجر والآجر ، يظهر أنها رردت على البلاد من الشام (من المشرق مثلا) ، وربما كان دعولها في مصر سابقا على فتح العرب . راجع (البا ، بالدهش أفتيا وبالجزر راسيا) . « استكشافات في سفارة » *Explorations at Saggara* ، تأليف Quibell لوحة ٣٠ ومع ذلك ما نشأ لم نتف على تماذج من الحجر الموضوح وضعا وأسيا ، بقواعد الجدران المبنية بالطوب .

(٢) وشاهد الأربطة الخشبية أيضا في أبنية ترواده وبسين وفي البيوت الصغيرة أو المشوش في بلاد اليونان ومصر . وفي المبانى الفظيعة السامانية بالمرق ، ترى الأربطة مصنوعة بدة زائدة والأخشاب مجرعة ببعضها جحا حكا (الداين) . وكانت الأبنية الخشبية تتخذ حتى في الأبنية المشيدة بالحجر . راجع « بعثة المراقب لمسافرون الجزء الأول لرحلة ١٨ » (Massignou, Mission en Mésopotamie) .

(٣) كانت النابات ، في آخر عهد الفاطميين بصعيد مصر . يكثر فيها الصنط ، وكانت تخرج نمرا يسمنه الفرط (راجع رسالة المرادم على بك بهجت ، باللغة الفرنسية ، عن النابات في مصر وأدائها في القرن المتوسطة ، التي قدمها للجمع المصري في سنة ١٩٠٠) .

(٤) لم يعثر في جامع ابن طولون على أثر أربطة من خشب .

(هـ) العقود والأقبية والصفف - العقود والأقبية التي نقلنا صورها في الأشكال وجدناها في الحجارير ، والبيارات . وسنتكلم عليها عند ذكر هذه المرافق . ولا بد أن عقود الدور وأقبيتها كانت تبنى على هذا النمط . أما الصفف فانها كانت تتخذ بكثرة في الجدران . وقد رسمنا منها



(شكل ٣٧)

(شكل ٣٨)

نموذجين نقلناهما من الدار الثانية (الشكلان ٣٧ و ٣٨) . وفي (الشكل ٣٧) نرى العقد الثلاثي الفصوص بالقسم العلوي واضحا جدا . وكانوا يحدثون مثل هذا الشكل بالجبس للأبنية كما هو مبين في (الشكل ٣٨) .

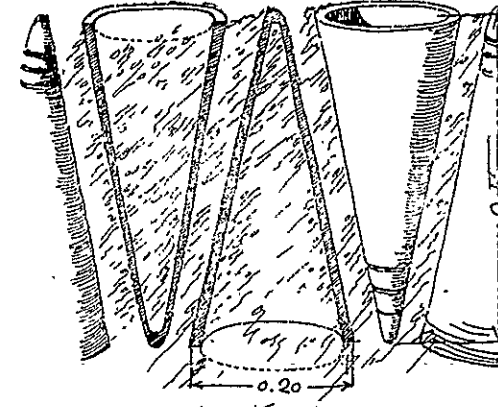
٣ - التبليط

في المباني المتينة كانوا يفرشون الحيطان ، وبواطن الحيطان ، وأرض الغرف ، ببلاط من الحجر المستطيل بعرض ٢٠ الى ٣٠ سنتيمترا ، وطول ٥٠ الى ٨٠ سنتيمترا ، ومتوسط ضخامة من ٥ الى ٦ سنتيمترات . وقد تختلف هذه الأقيسة في الأرضية الواحدة بشكل واضح .

(١) هذه الصفف تشابه الصفف التي اكتشفها مسيو هرزفد في دور سامرا . راجع (B. Horzfohl, Fortünfuher Bericht) لوحة ١١ و ١٢

استبدراك - في آخر السطر الخامس من هذه الصفحة وقع خطأ مطبعي في كلمة « والأقبية » وصوابه : « في الأبنية » .

والمعتاد أن يكون التبليط بطريقة وضع البلاط متواترا (دالات) . وهي ثلاثم البلاط الغير المنتظم^(١) . وكانوا يبلطون أيضا بترايبع مختلفا الشكل والقياس، مرصوفة على غير نظام، أو على شكل فسيفساء مؤلفة من قطع صغيرة من الحجر الأبيض . والبلاط كله يلصق بمونة الجير والقصرمل أو الحمرة، فيوضع على



(شكل ٣٩)

لياسة من هذه المونة سمكها أربعة أو خمسة سنتيمترات . ولما تكون أرض الدار بها ردم، كانوا يحتاطون لمنع هبوطها من كبس الأتربة، بأن يضعوا في الردم قواديس من الفخار الغليظ، تملأ بالتراب فتتكون منها تحت سطح الأرض عدة مناطق ثابتة على قدر عدد القواديس، لا يمكن أن يطرأ عليها أى تغيير . وقد رسمنا في الشكل ٣٩ (الدار السادسة)، نوعا من القواديس المخروطية الشكل، رصت بالتناوب، مرة قائمة على رأسها، ومرة على قاعدتها . وفي بعض المواضع، استبدلت هذه القواديس بمواسير اسطوانية، مترابطة، الواحدة فوق الأخرى .

٤ - المعدات الصحية

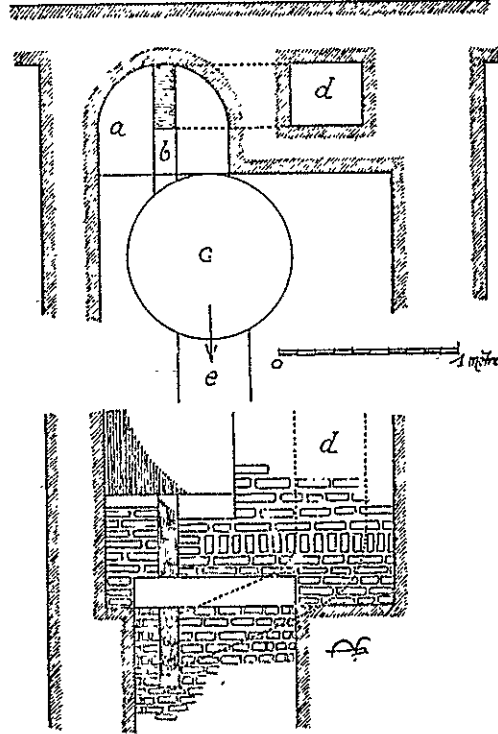
يستدل من كثرة المعدات الصحية وانتشارها على زيادة العناية بأمر الصحة العمومية^(٢) . لأننا لم نر دارا خلت من وجود مجارير للراحيض، متسلطة على بياارة، تنصرف إليها أيضا مياه الدار .

(١) المراحيض - (لوحة ١٧ رقم ١ و ٢) كانت تتخذ في محال صغيرة مستطيلة . ويبنى الكرسى بترايبع حجرية، وتجعل له فتحة متصلة بفرع مسلط على المجرور . وفي الشكل ٤٠

(١) وجد في جامع ابن طولون بلاط مركب بهذه الطريقة، وفيه عدم الانتظام المشاهد في تبليط القسطاط . والبلاط الموجود الآن من الرسم نفسه ولكنه أكثر انتظاما ويرجع عهده إلى الإصلاحات الأخيرة .

(٢) لا يجوز لأحد إخراج جدار داره إلى المزمهرود . وكذلك كلما فيه أذية وإضرار على الساكنين كإسراع الأوساخ الخارجة من الدار في زمن الصيف إلى وسط الطريق فإنه يكلف بسده في الصيف ويجعله في داره حفرة يجمع فيها (الحسبة، الباب الثاني) وقد رأينا هذه القواعد متبعة في دور القسطاط .

(لوحة ١٧ رقم ٢)، يرى كرسى المراحيض في طاقة غير نافذة (دخلة) مرموز لها بحرف « . وينصرف مجروره في البياارة المساعدة، ومنها تمر المواد من المجرور، إلى البياارة العمومية . وفي «، قناة رأسية (قصبه) نازلة من الطبقة العلوية من الدار .



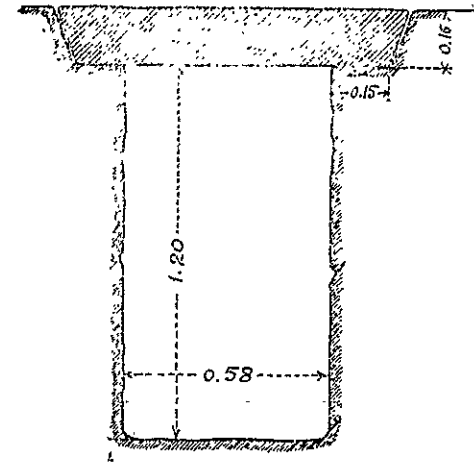
(شكل ٤٠)

(١) قلنا فيما سبق، أن هذه القنوات قلعاها أكبر، يلزم لتصريف مياه الأمطار وحدها من السطوح . على أنه مهما كان الغرض منها، فإن ذلك لا يبنى إلا بتصريف المياه التي تتجمع من الأمطار في المجرور . ويظهر أنهم كانوا يتسألون في ترك مياه الأمطار تتحد إلى الشارع، كما كان يحصل عندنا في المدن في العصور المتوسطة . قال صاحب الحسبة: أنه «قد يجعل أبواب المقارنات، يازيب بقلون فيها ما يستعملونه من الماء، في طول الزمان ويحفرن تحتها حفرا تجمع تلك المياه فيه وليس لهم أن يهدلوا ذلك في طرقات المسلمين إلا في وقت المطر فإن الله تعالى قال "فإن كان بكم أذى من مطر، فاذا لم يكن مطر فليس لهم أذية للناس في طريقهم"، فإن هذه ربما يسقط فيها الضرر والنائل والمرض والتفريغ، إذا عبر في الليل . وفي ذلك إثم كبير ومشرة وربما وقع من هذه المياه على ثياب الناس شيء، فينجسها حتى لا يكون منه سبب" نهاية الزينة في طلب الحسبة، لابن بديع الباب ٨٥

ويؤخذ من ذلك، أن مياه الأمطار دون غيرها هي التي كان يباح صرفها في الشارع . والتفريغ، أنهم يستندون في ذلك على قوله تعالى "وإذا الذين كفروا ليرفضون عن أساحتهم وأمنتهم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسحتهم وعذرا حلركم" . «سورة النساء» .

وهذا التصرف جائز في التأويل، اعتمد فيه على تبرين من الآية الشريفة . وإذا قورن هذا المثال بغيره من تأويلات الفاطميين عرف الزمن الذي وضع فيه كتاب الحسبة.

(ب) الجارير - وجدنا بعضها منقورا في الصخر بارتفاعات مختلفة، ويمكن حصرها في نوعين : جارير منطاة بالمجاديل، وجرارير معقودة بالآجر .

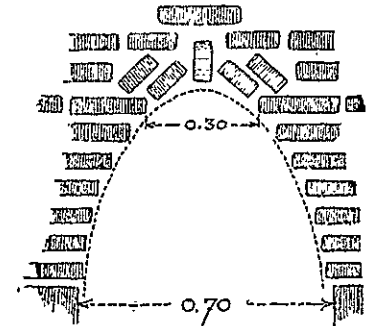


(شكل ٤١)

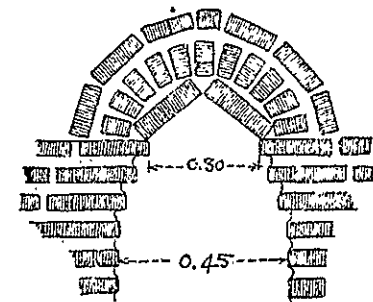
١ - الجارير المغطاة بالمجاديل -
في (الشكل ٤١) غطاء المجرور مركب على
افرير منقور في الصخر، وقد لا يكون
هناك افرير .

٢ - الجارير المعقودة - (راجع
اللوحة ١٨ رقم ١ و ٢ و ٣) لم يوجد
قطاع القبو كامل الانتظام أبداً ، ولكنه
يقرب على العموم من هيئة العقد ذي الطيات
(عقد جنازير) . ومن الأشكال ٤٢ و ٤٣

و ٤٤ تعلم الطرق المتنوعة التي كان يبنى بها . والغرض من ذلك تجنب استعمال العبوات الخشبية .
وإذا بنيت مداميك منبعثة من المركز فإنهم كانوا يتمكنون بالنظر لصغر حجم القبو من وضعه على



(شكل ٤٢)

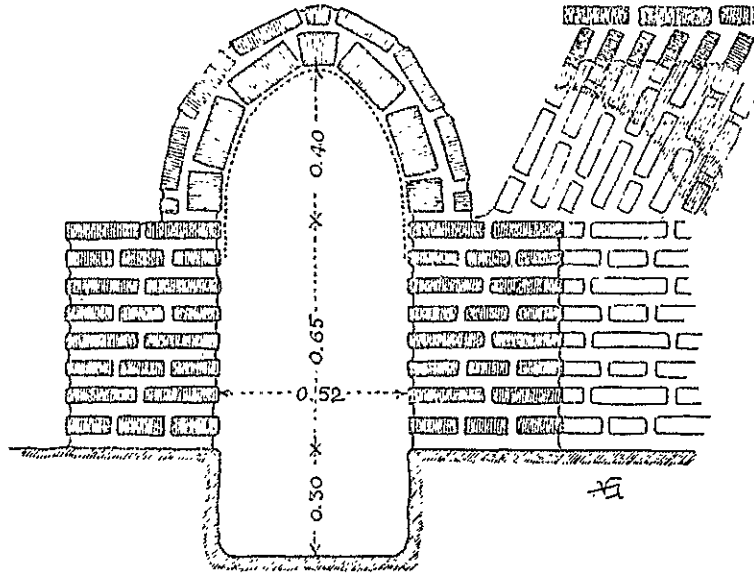


(شكل ٤٣)

عبوة من الطين، زال عنه بعد ما يتم بناؤه . وفي (الشكل ٤٢) بنوا جانبي العقد بمداميك
أفقية حتى كاد الجنبان يلتقيان عند القمة حيث أبقوا نحو ثلاثين سنتيمتراً خالياً . وهو محل

غلق (مفتاح) العقد . وتوصلوا الى ذلك بوضع الآجر مائلا بالموازنة بينه من الجهتين فوق
آخر مدمك أفقي .

وقد أحكم العمل بهذه الطريقة في الشكل رقم ٤٣ ، وفي الشكل ٤٤ ، ظهرت الطريقة
الشائعة وهي بناء العقد بصنح مستقلة مائلة . وكانوا إذا أتوا تركيب مدمك وجه العقد ،

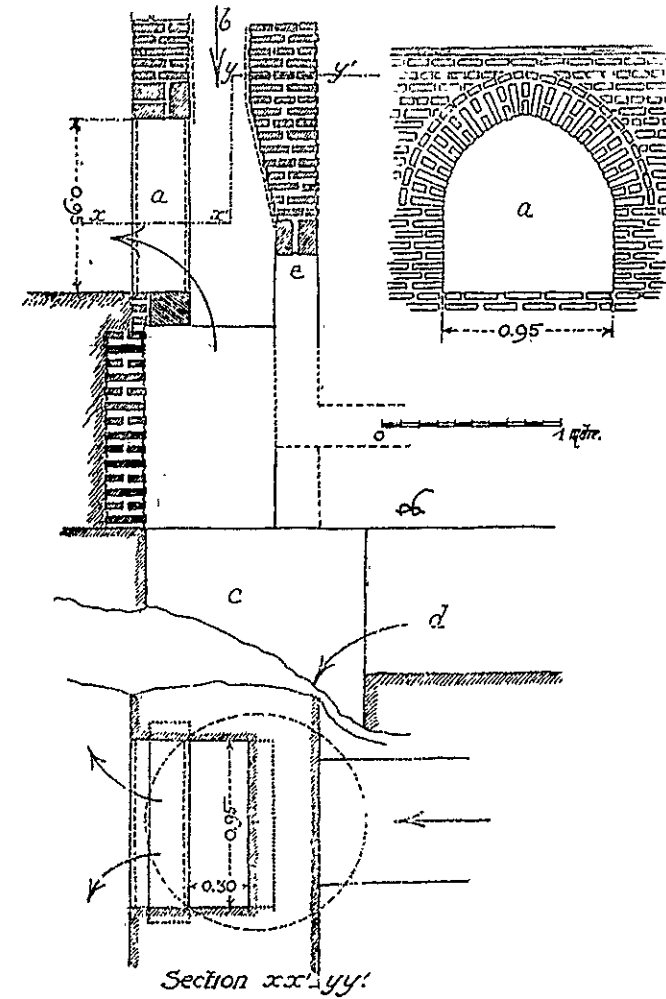


(شكل ٤٤)

وضعوا المداميك الأخرى، ولم يحتاجوا الى ما تركز عليه . وكان الآجر يوضع على سطحه ويثبت
في محله باللصق بالمونة . وهذا اللصق كان كافياً لتركيب القبو بوضع الآجر صنحاً رأسية^(١) .

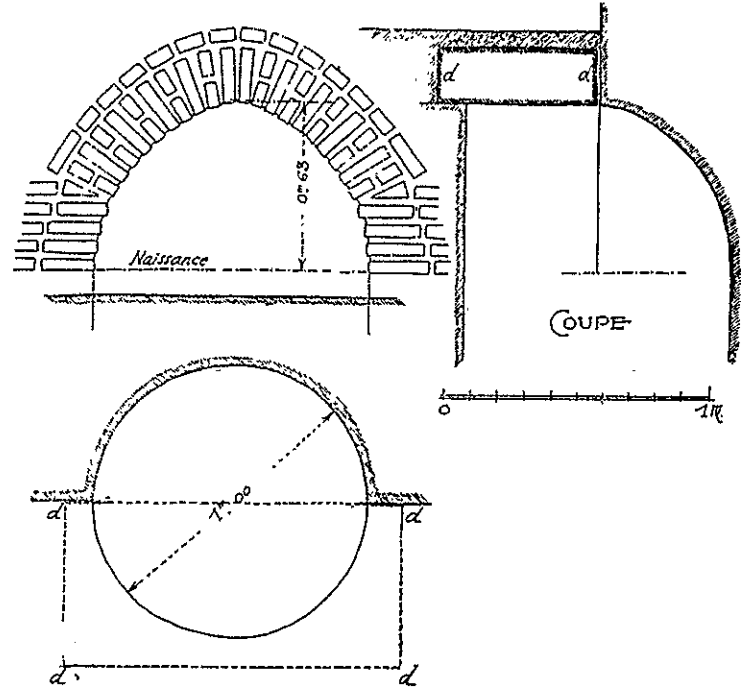
(١) هذه الطرق كانت معروفة في مصر في العهد القديم ، ففي كرم أهرينا حيث اعادوا البناء بالجر، وجد الحجر مستعملاً أيضاً في بناء قبور، راجع
«مدينة برنا» تأليف كوفان (M. Kaufmann, Die Menstadt 3, 7, 46) وعن بنا. الألفية بصنح مائلة في الأديرة القبطية راجع «الآثار المسيحية
بوادي النيل» ص ٢ وما بعدها لسومرس كلارك (Sommers Clarke, Christian Antiquities in the Nile Valley) . أما الأصل الذي
نامت عليه هذه الطرق الصناعية فانه بالعراق (خرزباد) حيث كانت راجحة في العارة الساسانية . ويلاحظ بجانب الأبية ذات الصنح المتوازية (المداين) الأبية
البيئة بمداميك أفقية حتى غلق العقد، راجع «بنية في العراق» تأليف ماسينيون (Massignou, Mission en Mésopotamie I, Pl. XIII) .
وراجع أيضاً «قصر الأخضر ومسجده» تأليف مس بل (Miss Bell, Palace and Mosque Ukhairi, Pl. XIV.)

(ج) البيارات - بيارات الدور عموما مستديرة . وقطرها في المتوسط ١,٥٠ م وتنتهي إليها عدة قنوات ومجارير . وكذلك القنوات الرأسية (القصبات) المتداخلة في الجدران (شكل ٤٥) . وهذه البيارات تكون دائما على حافة الشارع يمر عليها جدار الواجهة . وكانوا يجعلون فيها لتسهيل



(شكل ٤٥)

تحتها فتحة بمستوى أرض الطريق أو منخفضة عنها قليلاً . وهي فتحة يبلغ عرضها نحو متر تقريبا بنهايتها عقد مبنى بناء محكم، ويجعل عليها لتغطيتها مجدال من الحجر أو بناء بالأجر غير مرتبط بباقي البناء، بحيث يمكن هدمه عند الكسح . وقد نقلنا (الشكل ٤٦) من بيارة مبنية

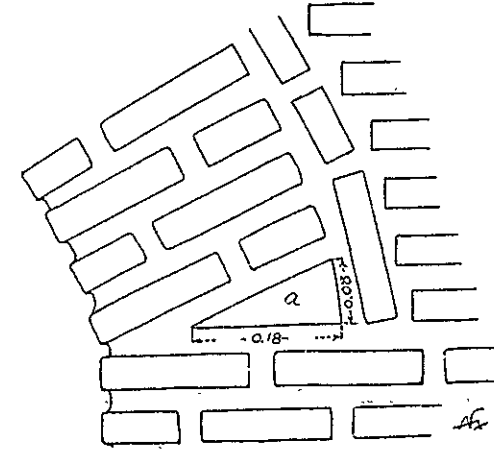


(شكل ٤٦)

بطريقة شاذة، تنتهي بتجويف مسدود بالبلاط . ولم يبق من هذا النوع إلا بعض عقود مبنية بالأجر بفتحات البيارات . وقد بينا في الأشكال التي أوردناها هنا، بعض تفاصيل بنائها . وقطاعها، اما أن يكون مهموزا (مدببا) أو حيزوميا وسرى أنهم كانوا في بعض الأحوال (شكل ٤٦

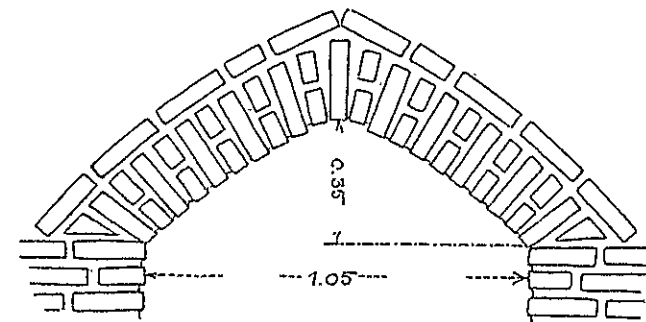
(١) ينبغي «عل كساح الساد وحالته» أن يعرف عليهم عربيا، ويا مرهم بأنهم اذا نقلوا الساد الى ظاهر البلد أن يحفروا له سقايا، فاذا قل إليها يعلم عليه حتى تنقطع رائحة فلا يأذى منه أحد، ويمنون من تقل ذلك الى الماء، وطرحه فيها أو حوله، ويمنون أيضا مرقعة الطوب والشقاف في نغف الرماد اذا جابره، ويرمونه في البئر ويدفونه، ويقولون لصاحب البيت: هذه الأرض الجلدة قد بلغنا إليها وهم كاذبون، وفي البئر سجاد كثير تدفن، فيوقف العريف على نفاثة ذلك، وعلى حقيقته بالبحث والحفر، ويكون له نصيب من أجرتهم يستعين به على مراعاتهم والطوف عليهم، ويمنعهم أيضا من فتح آبار الناس قبل الشرط على الأبرية، لأنهم ربما فتحوا البئر ونقلوا في الأبرية فان ارتضى صاحب البيت بما يفتنونه، وإلا تركوه مفتوحا وانصرفوا عنه فتؤذى الضرورة صاحبه لدخوله تحت ما يحبون، فيمتعون من ذلك ومن فعل أدب (الحسبة الباب ٧٨) .

و ٤٧ و ٤٨) يضعون بمبدأ العقد، قطعة من الآجر مثلثة القطع على هيئة وسادة، الغرض منها أن يحولوا الآجر من اتجاهه العمودي الى منحنى بطن العقد، وأن يظهر التوازي بين خطوط



(شكل ٤٧)

الطمامات . وهي من الوسائل التي يكثر استعمالها في البناء بالآجر، كلما لزم الحصول على الحامات منتظمة . وهذا وحده يفسر لنا السبب في اتخاذ العقد الحيزوي الذي استبدل فيه المنحنى



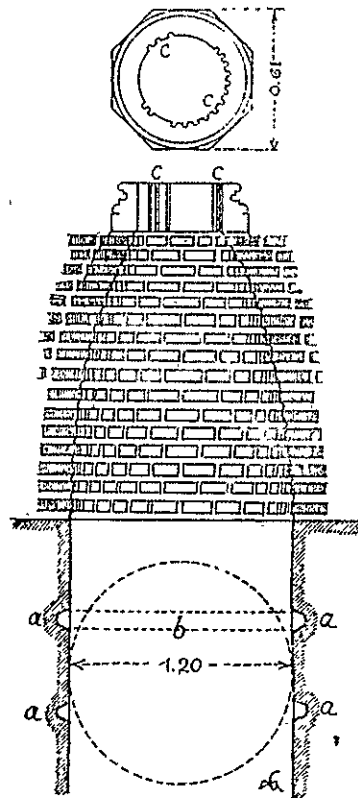
(شكل ٤٨)

يخطط يكاد يكون مستقيماً، وقد رسمنا في (الشكل ٤٨)، قطاع قبة وجدناه تحت فسقية نرى فيه انحناء خفيفاً بباطن العقد .

٥ - نظام توزيع الماء

لما وصفنا الدور في الباب الرابع بينا الحشد الذي وصل اليه توزيع المياه من التعقيد، فلا نعود هنا الى تفصيل ذلك . وانما نلقى نظرة على مايتألف منه هذا النظام .

(١) الآبار - الآبار منقورة في الصخر الى الطبقة المائية . ولما كانت هذه الطبقة مأوها أجاج، ويكثر فيها الملح كلما بعدت عن مجرى النيل، كانت مياه الشرب يأتي بها السقاؤون من النهر بالقرب وتحفظ في الآبار .



(شكل ٤٩)

وكانوا اذا حضروا بزوا يجعلون في جوانبه نقرات كما في (شكل ٤٩)، يدخلون فيها عروفاً من الخشب ، ليسهل النزول في البناء أثناء حفرها أو عند ما يريدون تطهيرها .

والبئر التي رسمناها مستديرة . وهي من الشكل الأكثر استعمالاً، مغطاة بقبة قطعه ناقص الشكل مني بمداмик أفقية من الآجر الموضوع فوق بعضه البعض، بارزا بالتدرج . والفتحة العليا عليها خرزة مقطوعة من قاعدة قديمة من الرخام، وفيه تشاهد آثار غائرة أحدثها احتكاك الحبل بجوانب الخرزة من الداخل .

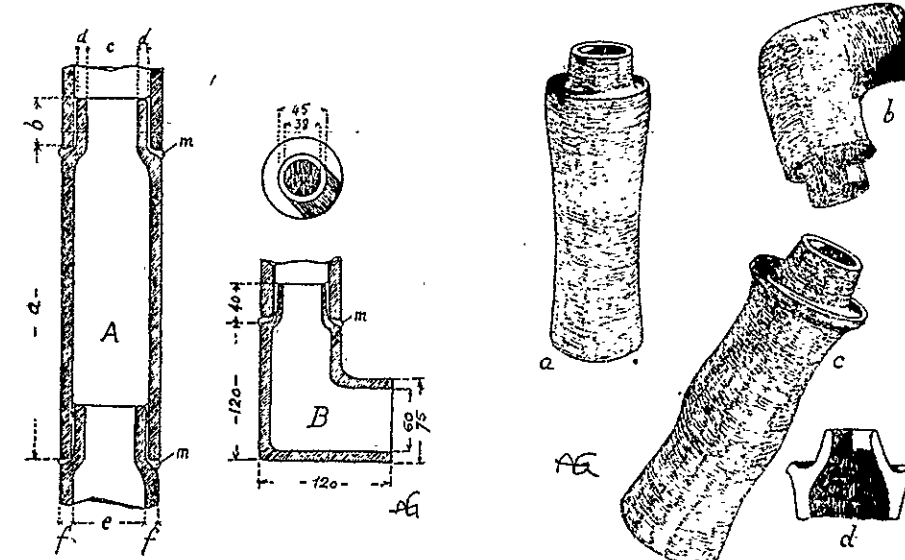
(ب) القنوات - القنوات الفخار تتكون من أنابيب أسطوانية موصولة بعضها ببعض بالكيفية المرسومة في (الشكل ٥٠) . وهي تختلف في المقاس، وقد وجدنا منها ما يأتي :

(١) ناصر عسدر، سفرة نام طبع شيفر، ص ١٥٢

تنبيهه - بقر في السطر ٩ "جوانبها" عرضاً عن "جوانب" . وفي السطر ١١ "في البئر" عرضاً عن "في البئر" .

و	د	ج	ب	ا
٠,٠٠٤	٠,٠٠٨	٠,٠٠٦	٠,٠٠٤	٠,٠٢٠
٠,٠٠١	٠,٠٠١	٠,٠٤٥	٠,٠٠٥	٠,٠٢٤
٠,٠٠٤	٠,٠٠٨	٠,٠٥٥	٠,٠٠٦	٠,٠٢٥
٠,٠٠٧	٠,٠٠٥	٠,٠٢٨	٠,٠٠٥	٠,٠٢٦
٠,٠٠١	٠,٠٠١	٠,٠٥٥	٠,٠٠٦	٠,٠٢٨

وكانت الأنابيب، يربط بعضها ببعض بمونة من الجير والقصرمل أو الحجر (m من الشكل ٥٠).



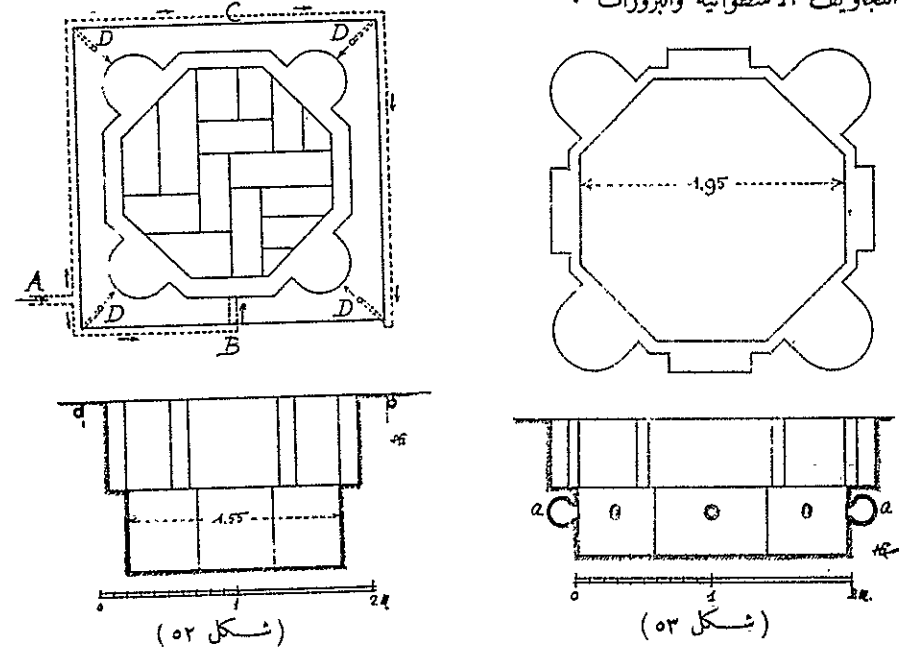
(شكل ٥٠)

(شكل ٥١)

ووجدنا بجانب القطع المستقيمة قطعاً من الفخار، على شكل كوع أو حرف T، كانت تستعمل للتفريع والتحويل. (شكل ٥٠ و ٥١).

(ج) الفساق - في الحوض، بكل دار مهمة، فسقية مربعة، مبنية بالآجر فوق الصخر. وقد يختلف شكل الفسقية. وهي على وجه العموم مربعة الفتحة، وقاعها منشوري الشكل،

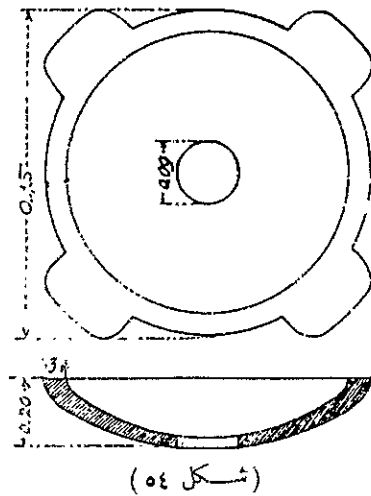
ممن الزوايا. وهذا الشكل يتغير أحيانا كما في (الشكلين ٥٢ و ٥٣) بما يضاف اليه من التجايف الاسطوانية والبروزات.



(شكل ٥٢)

(شكل ٥٣)

وتجيء المياه على وجه العموم الى الحوض من قنوات من الفخار في الزوايا أو في الوسط بأحد الجوانب. وتُشاهد في (الشكل ٥٢)، أنابيب صغيرة من النحاس في الزوايا الأربع، وكانت متخذة بصفة ميازيب، بعدد الزوايا تنحدر منها المياه الى حوض.



(شكل ٥٤)

وكانوا يفرشون بطن الفسقية وحافاتها الأفقية ببلاط بكلسي أو ملاط مائي من الجير والقصرمل أو الحجر.

ووجد في بعض الفساق، وكذلك في جوانب جوفها المثلث، قواديس من فخار مثبتة (شكل ٥٣)، ربما كانت متخذة كبيوت للأسمك الصغيرة.

(د) أحواض غسيل الأيدي - عثر على عدد من الأحواض من النوع الذى رسمناه فى (الشكل ٥٤) . وهو فى الغالب متخذ من قطع من الرخام قديمة . وأحيانا من تيجان دورية ولا يزال البعض منها فى مواضعه الى الآن، مما لا يجعل شكاً فى الغرض الذى اتخذت له (راجع على الخصوص، الدار السابعة مكرر، P من الشكل ٢٧) .

الباب السابع

قطع من الزخارف

جمعت من مواقع الفسطاط، قطع مختلفة من الزخارف المتخذة من الجص التى تكسى بها الجدران أكثرها محلى بنقوش بارزة . وهذه الزخارف ببعضها أثر تلوين .

وقد وجدت بين الأتربة بمعزل عن المباني القائمة . وهى على وجه العموم صغيرة الحجم ، ترجع الى أزمنة مختلفة . ولذلك يغلب على الظن أنها من أبنية هدمت ونقلت فى أزمنة مجهولة الى الكيمان^(١)، إلا النزر اليسير .

وسنتكلم فى هذا الفصل على الزخارف المختلفة من الدور التى اكتشفت . وهى بحكم قياسها، ووزنها، وتشابه بعض القطع التى جمعت من محل واحد بعيدة عن فكرة أنها متقولة من جهات أخرى .

ومع أننا لم نعثر بينها على قطعة واحدة قائمة بمكانها الأصيل من الجدران، إلا أنه أمكننا الاستدلال على الدور المأخوذة منها . ولا بأس من قسمتها الى نوعين :

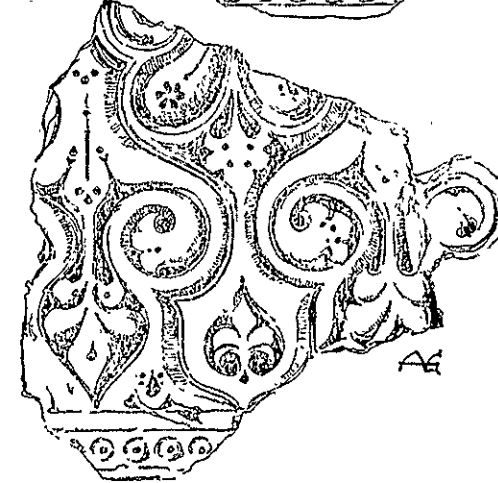
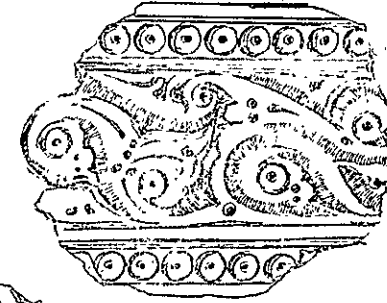
. زخارف لم يدخلها غير الجص، وزخارف يتخذ فيها الجص بالآجر .

١ - الكسوة بالجص

رسمنا فى (الشكل ٥٥) واللوحة (٢١، ٢١، ٢١). أهم الأمثلة التى تساعد على الفهم من القطع التى اكتشفت الى الآن . وهذه الكسوة مكونة من ألواح، نُحَاتها أربعة أو خمسة سنتيمترات من

(١) هذه القطع كلها معروضة بدار الآثار العربية بالقاهرة .

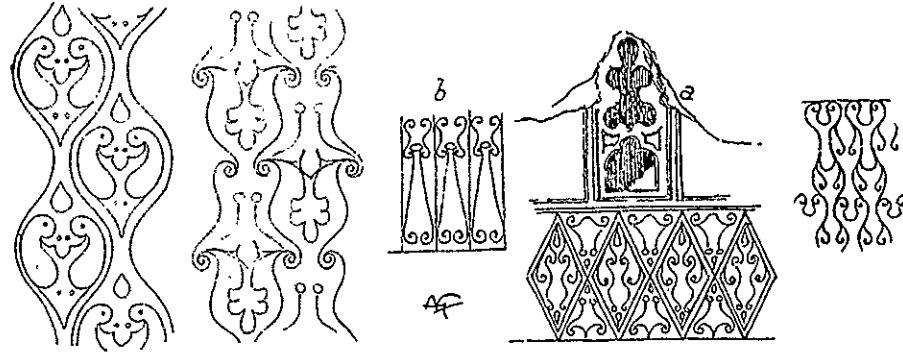
جص مصنوع في قوالب من خشب . وبهذه الطريقة كانوا يصنعون حشوات مستطيلة ، مختلفة المقاس ، يكسون بها الجدران المنيبة بالآجر . والظاهر أن هذه الزخارف كانت حلية داخل البيوت ، وإن لم تعرف كيفية وضعها الأصلي ، وهل كانت جوانب القيعان كلها مكسوة بها ، أو كانوا يقتصرون فقط على اتخاذها بقواعد العمد والطرز وغيره^(١) ؟



(شكل ٥٥)

(١) لم يساعدنا الحظ على العثور على مجموعات رائعة من قبيل ما عثر عليه مسيو مرزفد في سامرا (راجع *Erster Vorläuf. Bericht*, Pl. XI) . ولما كانت القطع التي وجدناها من هذا النوع قليلة ، فالمثلون أن هذه الزخرفة كانت نادرة . ولا حظ في بعض المواقع على جدران القيعان ، ملاء مصقول خال من الزخرفة . ولا يبعد أن يكون هذا هو النوع الذي كان عاما بالفساط .

وعلى كل حال ، فإن النموذج الذي عثر عليه يشابه أول طرز وجد من هذا القبيل بمدينة سامرا ، (شكل ٥٦ وشكل ٥٧) لأن الزخرفة وطريقة الصناعة ، في مصر والعراق ، قائمة على أصول واحدة .



(شكل ٥٧)

(شكل ٥٦)

وهذه الروح توجد في زخارف الجامع الطولوني ، وإن كان مسيو مرزفد يؤكد بأن صناعتها مصرية بحتة (*bodenständig*) . وهي فكرة تناقضها مكتشفات مسيو فيوليه ومرزفد نفسه ، لأنها تنفي أن أصل هذه الزخارف شرقي . ومع ذلك فإن زخارف الفساط تنطبق عليها استنتاجات مسيو فلوري في بحثه عن زخارف جامع ابن طولون ، أعني بذلك أن الزخرفتين جميعا من مظاهر الفن العباسي في القرن التاسع ، وليست قاصرة على جهة أو إقليم^(٢) . ومما ينبغي التنبيه إليه ، أن ما وجد على هذا النحو ، من بقايا الزخارف بالفساط ، لا يزال قليلا ، وكان متفرقا بين الانقاض بشكل يحيط من قيمة كل استنتاج ، يترتب عليه ، في تعيين تاريخ المباني . وإنا نأمل أن نصل بعمليات الحفر الآتية ، إلى ما يكمل معلوماتنا في هذا الموضوع .

(١) قلا عن *Erster vorläufiger Bericht* Pl. XI et XII تأليف مرزفد .

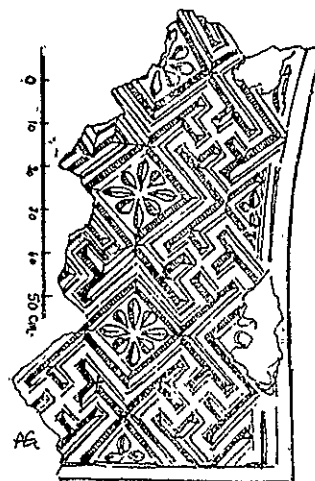
(٢) قلا عن « حفرات سامرا في العراق وأحد القصور الإسلامية من القرن التاسع عشر » . تأليف د . فيوليه H. Viollet لوصف ١٠ و ١١ ، Pl. X et XI) . *Un palais musulman du dix-neuvième siècle. Pouilles à Samarra en Mésopotamie* . المنسج ذلك في *Mémoires publiés par l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres* المجلد ١٢ رقم ثان سنة ١٩١١ .

(٣) راجع ما كتبه مرزفد بعنوان « مصادر الفنون الإسلامية ونصير المشي » (*Genesis der Islamischen Kunst und das Mshutta-Problem*) في مجلة « الإسلام » (*der Islam*) الصادرة بستراسبورج سنة ١٩١٠ ص ٤٧ .

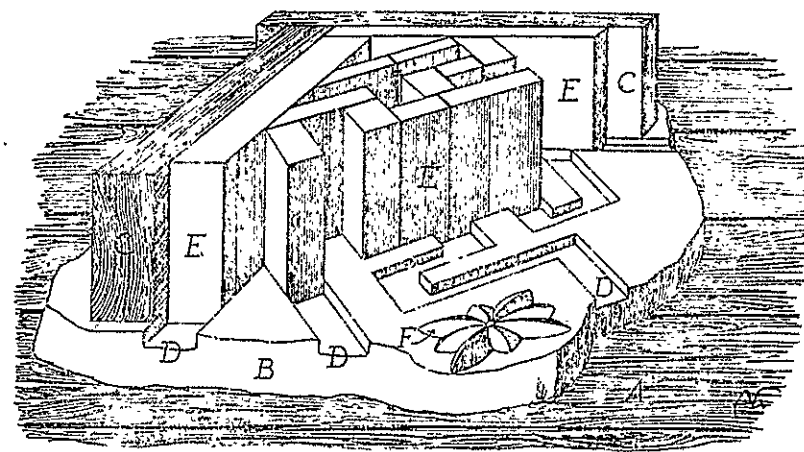
(٤) راجع ما كتبه . فلوري عن « سامرا وزخارف جامع ابن طولون » (*Samarra und die Ornamentik der Moschee des Ibn Tulün*) في مجلة « الإسلام » (*der Islam*) المنسج ذكرها سنة ١٩١٣ ص ٤٢١ و ٤٢٢ .

٢ - الكسوة بالحص والآجر

الغرض من هذه الكسوة، التي جمع فيها بين الحص والآجر على شكل غريب، مغاير للغرض من الكسوة المتخذة من الحص، وقد وجدت بعض قطع من هذا النوع كبيرة الحجم : منها ما يبلغ طوله أكثر من المتر، ومنها ما يزيد ثقله على الستين كيلو جراما . وهو دليل على أنها كانت مستعملة في بعض الأبنية بالمحل الذي وجدت فيه . ويصح أن نقول، عن القطع المرسومة في اللوحة ٢٢ رقم ١ (شكل ٥٨) والتي نجد منها عدد كبير في الدار السادسة، أنها من زخارف هذه الدار . أما القطع المرسومة في ذيل اللوحة، فإنها من الدار الخامسة . وقد لوحظ بين القطع المجموعة، من عدة جهات، من مناطق الحفر، أن صناعتها مختلفة كما سنبينه فيما بعد . ولكن الأصل في تركيب هذه الزخرفة بقي على حاله . ولما درس مسيو بياكو بستهل حالة الزخارف في تربة مؤمنة خاتون في ناخشان، وهي زخارف مصنوعة



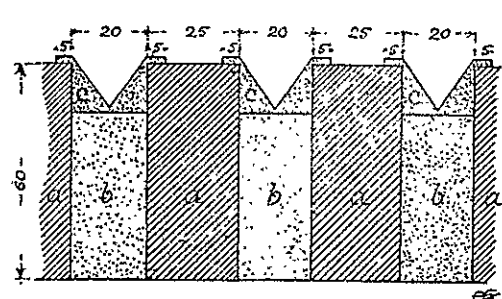
(شكل ٥٨)



(شكل ٥٩)

على ذلك النمط، تصور أنه امتدى الى طريقة عملها، فقال : انهم كانوا يتخذون صناديق من الخشب يخططون في أرضيتها الرسم المطلوب، ويحيطون هذا الرسم بحشوات أو قطع من الخشب، ثم يملا الفراغ بالآجر، ويصب الجبس، فتتكون القطعة المطلوبة .

وهذه الفكرة تظهر كأنها عملية لمن لا يعنى النظر فيها . أما نحن، فانا نرى أن طريقة العمل كانت أبسط من ذلك، إذ من الممكن الاستغناء عن عملية الأخشاب هذه . وقد بينا في (الشكل ٥٩) الطريقة التي كانوا يتبعونها، فكانوا يضعون على مستوى ١، طبقة من الجبس B يحكمون تسويتها، ويخططون عليها الشكل المطلوب . ويحدثون في الجبس وهو طرى الفراغ II، II بالأزميل، ويلبسون فيه قطعاً من الآجر ويحيطون الحشوة بالألواح A، ثم يصبون الجبس خلال الطوب . وإذا أريد الحصول على نقوش غائرة في الجبس طبعوها بقوالب بارزة مثل A . وهذه الطوابق كانت تستعمل عدة مرات وتبلغ ثمانية الحشوات بعد تمامها من ٦ الى ١٠ ستيترات .



(شكل ٦٠)

والظاهر أنهم كانوا عند ما يبنون الجدران يعدون في البناء القراع اللازم، لترتيب هذه الحشوات فيه .

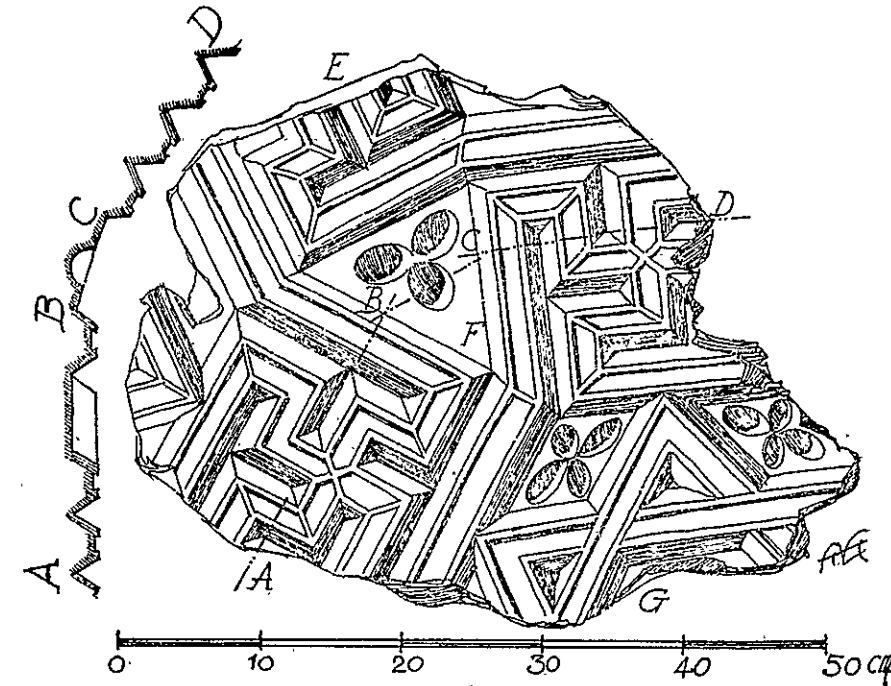
ولا يمكن تعيين المحل الذي كانت تتركب فيه هذه الحشوات إلا البعض منها فإنه كما تراه مختلف من بعض العقود

(الحنايا) . وإذا لاحظنا أن الجدران الواقعة على الطرق، كانت تترك عارية وتكحل فقط كما ظهر في عمليات الحفر، وضع أن هذا النوع من الزخرفة كان مناسباً لهذه الجدران . وكانوا يتخذونه فقط حول باب الدخول أو على هيئة طرز .

(١) راجع ما كتبه Jacobstahl، D. في "البياتية في القرنين العاشر والعاشر" بمقدمات "Mittelalt. Bauten von Nachtscheran" - برلين، سنة ١٨٩٩
(٢) ومن الواجب علينا أن نذكر أن بيان ما كانت عليه هذه الطريقة الغريبة التي اندثرت الآن، يرجع الى أحد المعلمين المسمر بين الأسفل أمين شافى من المقارن الذين يشتغلون في ترميم الآثار العربية، فإنه مع مجزوءة تعلمة من زخرفة لا تختلف عن القطع التي وجدت في القسطاط في شيب. مطلقاً .

وإذا رجعنا الى تفاصيل الصناعة وشكل الزخارف الهندسية ، نجد أن القطع المودعة بدار الآثار العربية، من هذه الزخارف، تدخل تحت أنواع عديدة :

النوع الأول (لوحة ٢٠ رقم ١ و ٢ ، ولوحة ٢٢ رقم ١ شكل ٥٨) يشمل النماذج التي تفوق غيرها باتقان صناعتها (شكل ٦٠) وكانت حشواتها تعمل من الآجر *a* ، وتجمع بالجبس *b* ، ثم يجعل بين كل طوبتين لحام على هيئة *v* ، بارز عن الآجر بصفة حلية لا يزيد عرضها عن بعض ملميمترات . وتحتوي الحشوة على نجوم ذات ثمان شعب غائرة ، تتبادل مع التعاريف والمشبكات ، ملونة بطونها بمغرة حمراء ، تقرب من لون الآجر .



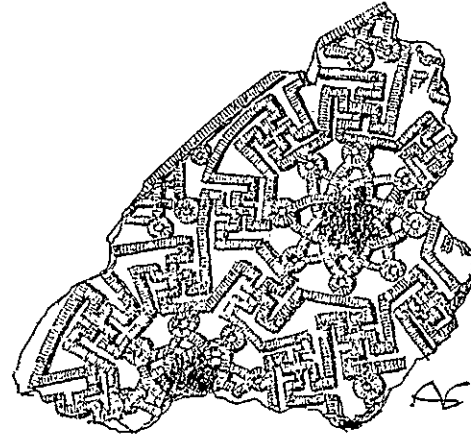
(شكل ٦١)

وفي اللوحة ٢٢ رقم ١ ، رسمنا قطعتين لا شك في أنهما مختلفتان من زخرفة بعض الحنايا ، لأنه يمكن معرفة مقياس وتر المنحنى من القطعة الخلفية من الجانب الأيسر ، فإذا اعتبرناه قوس دائرة يكون وتره قريبا من ٢,٢٠ م .

والقطعة الباقية من الطراز (لوحة ٢٠ رقم ٢) التي تكلمنا عليها فيما سبق (في الباب الرابع ، الدار السادسة) ، يجب عدّها من هذا النوع . ونمرة ١ من اللوحة العشرين ، مصنوعة بهذه الطريقة . ولكن على أسلوب تتّوعوا فيه ، فأدخلت فيه الجفوت والمنحنيات وركبت في بعض التجاويف محارة من الصدف .

وقد وجدنا بجانب هذه الحشوات قطعة من زخرفة ، كانت تكسو الجانب الأيسر من عقد (شكل ٦١) . ومن القطع ABCD ، يعرف أنها كانت مركبة على سطح منحن . ويتكرر هذا الانحناء في اتجاه EFG . ولا شك أن هذه القطعة كان موضعها يبطن عقد أحد الأبواب ، أو على عقد حامل لبعض الموردرات .

النوع الثاني (لوحة ٢٢ رقم ٢ شكل ٦٢) : شكله بسيط وصناعته لم يعن بتفاصيلها كما عني بسابقه . وقد استعملت الحشوة



(شكل ٦٢)

فيه كما خرجت من القالب . ويلاحظ أن آجرها من نوع خاص على هيئة *o* والفواصل التي تخلخل الآجر كملت بالجبس وصبغت بمغرة حمراء .

والطراز المرسوم في اللوحة ٢٠ رقم ٣ ، ومبدأ عقد الخنية (الطارة) في اللوحة ٢١ رقم ٤ ، يتبين منهما أنها مصنوعان بهذه الطريقة نفسها .

النوع الثالث (لوحة ٢٣ رقم ١ و ٢) : الصناعة لم تتغير وفي رسم الآجر أجزاء كثيرة ناقصة ولحافات عديدة بالجبس . وقد ساعدت كثرة استعمال الآجر المتخذ على أشكال منحنية في تنوع وتعقيد الرسوم الى الغاية . وعلى هذه القطعة بقية كلمة كوفية نتعذر قراءتها ، ولكنها تدل على عهد صنعها (اللوحة ٢٣ رقم ٢) .

النوع الرابع (لوحة ٢٣ رقم ٣) : رسمه بالتقريب من نوع سابقه ، ولكن الصناعة تختلف ، لأن الحشوة كانت برجل حنيتين متجاورتين . وكلها متخذة من الجص ، ما عدا حدود العقدین فانها من الآجر .

ولا شك أن هذه الزخرفة ، كانت تجاورها فتحتان مزدوجتان . وإذا قيس الوتران وقوساهما وجد ان نصف قطرة الدائرة ٣٠ ر .

ولو فرضنا أن المحور موجود على مقربة من نصف الدائرة ، فيكون أكبر سعة للفتحة ٦٠ ر ، والكسوات التي ذكرناها ، وان كانت بسيطة ، فانها ترجع الى نفس الأصل الذي تولدت عنه الزخارف الملقونة في بلاد آشور وفارس ، المشاهدة في الألواح المربعة المدهونة بالمينا بقصر حرزباد ، وفي نقوش الأبادانا بسوس .

وفي المدينتين المذكورتين ، كانوا يقصدون أن لا يبقى الجدار عاريا ، ليخفوا تحت ستار ملون حقارة البناء المتخذ من الآجر^(١) .

أما الصناعة في القسطاط ، فكانت بسيطة ، فلم يستعمل في الزخرفة غير لونين : لون الطوب الأحمر الداكن ، والأبيض الجصى . ولا شك أنهم كانوا يقصدون بذلك الاقتصاد في النفقة ، ومهولة العمل . وقد نشأت هذه الطريقة في بلاد فارس ، وراجت في جميع البلاد الإسلامية ، لأنها دخلت منذ القرن التاسع في بلاد الأندلس . وكان قصر مدينة الزهراء ، مجللا بزخارف من قبيل الموجود في القسطاط ، مؤلفة من الحجر الأبيض ، والآجر الأحمر ، على هيئة تعاريج ومشبكات^(٢) .

(١) هذا التأثير العراقى ، الذى أشرنا الى بعض ظواهره في غير هذا الموضع ، يدل عليه بعض فقرات واردة في كتاب الانتصار لابن دقاق . نال عن زقاق الرضى (ج ٤ ص ٢٢) : هو الزقاق الذى تباين دار ابن عسرات ، والدار المدورة بأبي عبد الله بن طاهر وفى أقله الدار المدورة بابن زياد ، ذات الباب العراقى وفى ص ١٠ من الجزء المذكور : روى عبد الله بن طاهر مصر من قبل المأمون فقدمها سنة احدى عشر ومائتين ، فأقام بها شهرا ، ثم انصرف الى العراق في هذه السنة . وقد ورد ذكر الدارين ، دار ابن عسرات ، ودار أبي عبد الله بن طاهر ، عند ذكر الأدر المشهورة بالقسطاط ، من عهد عمر بن العاص الى العصر الطولونى . وقد نقل ذلك عن سبته . والظاهر ، أنه لم يشاهدها . ولا يبعد ، أن تكون دار ابن زياد ، ربابها العراقى ، من عهد ابن طولون أرقبله .

(٢) راجع ما كتبه ريكاردو فيلا سكوز بوسكو بعنوان «مدينة الزهراء المأثرية» *Medina Azzahra y Alamiyia* طبع مدريد سنة ١٩١٢ ص ٥٨ شكل ١٦ لوحة ٢٤

وهذه الطريقة ، استمر العمل بها في البلاد التى نشأت فيها . من ذلك تربنا مؤمنة خاتون ، ويوسف بن كثير ، اللتان أقيمتا في القرن الثانى عشر بنخشان . وهما من الأدلة على الرقى الذى بلغته هذه الصناعة بمساعدة التلوين^(١) .

على أنه ليس من السهل ، أن تؤكد القول ، بأن هذه الطريقة التى جروا عليها في زخرفة المباني بالطرز وفي تحلية الحنايا ، بالجمع بين الآجر الأحمر ، والجص الأبيض ، عمت سائر مباني القسطاط ، أو أن ما وجدناه هو من الاستثناءات ، لأننا لم نجد له أثرا في جامع ابن طولون ، ولا في الأبنية الفاطمية المشيدة بالآجر ، التى ترى فيها الجدران مكسوة من الخارج والداخل بالبياض . ومن جهة أخرى ، فإن استعمال الحجر بدل الآجر في أبنية القاهرة ، منذ العصر الفاطمى ، قضى بطبيعة الحال على هذه الطريقة^(٢) ، هذا من حيث صناعة البناء . ومن ثم يظهر أن طريقة البناء هذه شرقية المصدر ، فان الزخارف التى عثرنا عليها بالقسطاط ، مأخذها الزخارف الهلاليستية دون غيرها ، أعنى بها الزخارف التى كانت منتشرة في البلاد الواقعة على البحر الأبيض المتوسط الى أقصى حدود مملكة الاسكندر . مثال ذلك : الزخرفة الجصية المرسومة في (الشكل ٥٨) فانها من الطرز المعروف المكون من المشبكات والصرر الثمانية الشعب .

وهذا الرسم ، كان متداولاً عند الأقباط ، ودليلنا الحشوة الخشب المحفوظة بالمتحف المصرى ، (شكل ٦٣)^(٣) . وهى قطعة قال عنها مسيو سترزيجوسكى ، أنها من القرن السادس أو السابع المسيحى ، وهى منسوجة على منوال الزخارف الهلاليستية .

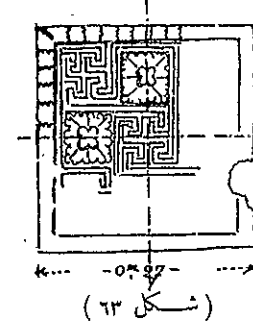
(١) راجع ما نشره ف . سار F. Sarre في مجلة «الأبنية الفارسية» *Denkmäler persischer Baukunst* لوحة ١ ص ٢٣ ، راجع أيضا ما نشره (D. Jacobstahl) في الكتاب السابق ذكره .

(٢) ربما يكون هذا الأسلوب الأثنيق ، الذى استعمل فيه الآجر على أشكال بسيطة ، له بقية هي التى نشاهدها في بيوت رشيد التى ترجع الى القرن السادس عشر . (راجع تقرير هرمنس بك عن مأموريته في رشيد ، في مجموعة لجنة حفظ الآثار العربية ، كراسة ١٣ سنة ١٨٩٦ ص ٥١ وما يليها) . ولا شك ، أن طريقة العمل بها ، أصبحت أقرب الى البساطة ، فالتحذات الزخرفية من وضع الآجر على حبات خضرة ، من الران مختلفة ، وكحلة اللوامات بمونة بيضاء ، بأوزة قليلة من وجه الجدار .

وقد ذكر مسيو سومرس كلارك ، وجود عقد مكتوب زخارفه منسوجة من طوب أحمر ظمّن علامات بيضاء ، على أشكال هندسية في دير العذراء ، بانجم راجع «الآثار المسيحية في وادى النيل» (*Christian Antiquities in the Nile Valley, p. 144*) ولا يعلم التاريخ الذى يرجع اليه هذا العقد .

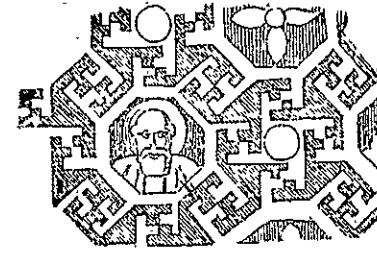
(٣) توجد زخارف من هذا القبيل في «الهن القبلى» (*Koptische Kunst*) لاسترزيجوسكى شكل ٩٠ و ١٨٧ وفى «الآثار القبطية» (*Coptic Monuments*) لكروم (Crum) لوحة ٥٣ و ٩١ و ٩٠ و ٩١ و «كنيسة وجبانة بربط» لكليدا (Clédat) لوحة ١٢ و ١٤ و ١٥

وفي نقوش بويط ، (شكل ٦٤)^(١) ، ودير القدس سمعان (شكل ٦٥)^(٢) ، توجد زخارف من

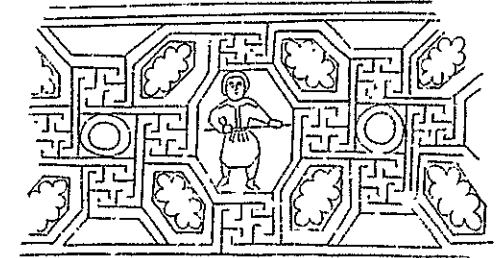


هذا القبيل مكوّنة من أشكال مماثلة ، وفي وسطها شكل مثنى الزوايا . والنوع الذي رمزنا له بحرف « هـ » (شكل ٦٢) ، مقتبس من ذلك . ولا يختلف عن زخرفة اسوان إلا في أن الصورة التي في الوسط مستبدلة بنجمة ذات ثمانية شعب وأن القطعة كلها على شكل حنية مكندجة .^(٣)

مما تقدم ، يظهر أن العرب وجدوا في أرض مصر ، وقت الفتح ، بعض الأشكال الهندسية من هذا القبيل ، فتوسعوا فيها بما أوتوه من ملكة التصور والدوق . ولكن ذلك لا نعهده



(شكل ٦٥)



(شكل ٦٤)

دليلا على أن العرب قلدوا الأقباط دون غيرهم ، فإن التقاليد اليونانية لا يزال أثرها باقيا في بلاد فارس والعراق وسوريا ومصر .

وإذا كانت الزخارف الجصية المكتشفة بسامرا بها أثر من التقاليد الشرقية ، فإن هناك زخارف أخرى اكتشفت بها ، تثبت انتشار الزخارف التي فيها مميزات الفن السكندري في أنحاء

(١) على ما أورده كليدا في الكتاب السابق لوحة ٦٥

(٢) عن جاييه في " الفن القبطي " ص ٢٨٤ ويراجع أيضا « فهرست آثار وكتابات مصر القديمة » ج ١ ص ١٣٥

(٣) توجد في الآثار القبطية عقود مكتوبة بها مشبكات ونجوم ذات ثمان شعاب ورسم مقوية (راجع « حفرات بويط » لثامينا لورس ٣ و ٤

و ٥٨ و ٧١ و ٧٦ و ٩١ وكليدا في الكتاب السابق ذكره لوحة ٥٨

العالم الاسلامي . ومن الأمثلة التي نذكرها قطعة من الفخار (شكل ٦٦)^(١) ، فإن لحة الرسم فيها كما في حشوات الفسطاط مشبكات وصرر ذات ثمانية شعب .



(شكل ٦٦)

على هذا المنوال ، كانت البلاد التي دخلت في حوزة المسلمين لا يزال موجودا بها وقت الفتح ، ما يكفي من التقاليد الهلنستية الحية ليتخذه العرب مرشدا في خطواتهم الأولى . وهذه التقاليد هي التي بقيت قاعدة أساسية للفن الاسلامي . وهي التي تفسر لنا كيف وجدت هذه المجامسة التي تعم المصنوعات العربية في ذلك المجال العظيم الذي انفتح لهذا الفن .

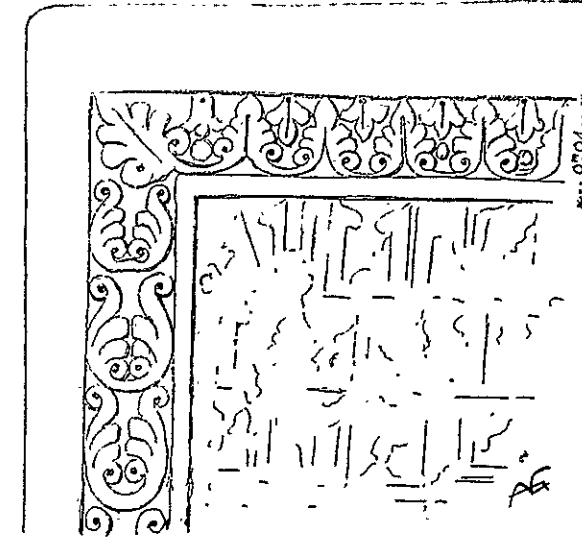
وما ذكرناه من الزخارف ، سواء كان من الجبس المصبوب في القالب أو المؤلف من الجبس والآجر ، لا يمكن اعتباره ، بالنظر لقله عدده بالنسبة لانتساع منطقة الحفر ، نموذجا عاما لـ زخارف مدينة الفسطاط . ولكنه ربما ساعد على تعيين تاريخ الأبنية التي أخذ منها على وجه التقريب .

أما الزخارف الجصية ، فلا مشاحة في وجود الشبه التام بينها وبين أول طرز زخارف سامرا . ولذلك نعدها من النصف الأول من القرن الثالث الهجري . ويوجد بدار الآثار العربية بالقاهرة ، شاهد مؤرخ سنة ٢٤٣ هجرية (٨٥٧ ميلادية) شكل ٦٧^(٢) ، محلى باطار من هذا الطرز ، ولكنه أحط منه في الرسم . وهناك شواهد أخرى مؤرخة سنة ٢٤٦ و ٢٤٨ و ٢٥٠ هجرية^(٣) . وأما الزخارف الهندسية ، فإن هناك من بعض القرائن ما يبعث على الظن بأنها متأخرة قليلا .

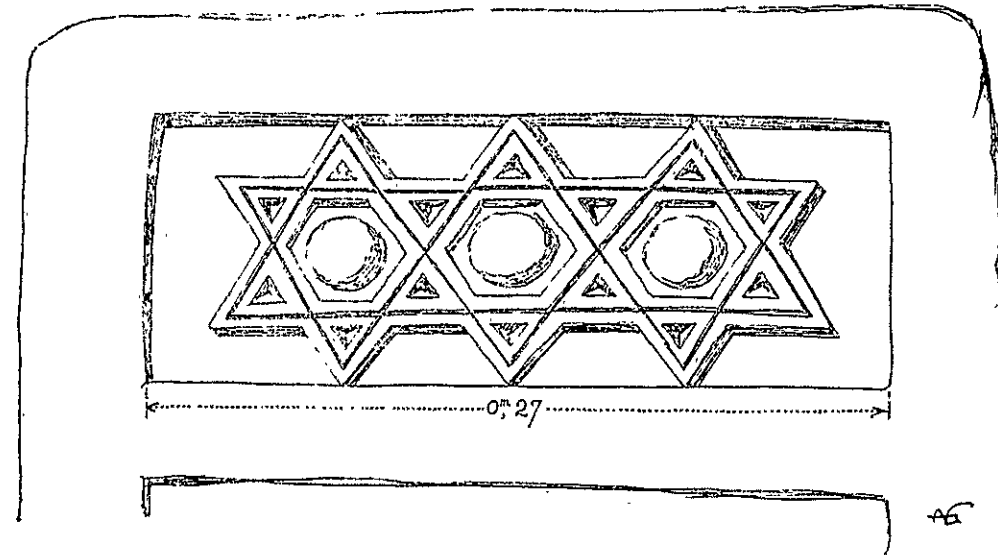
(١) نقل عن " سار " عن « اللقايا التي عثر عليها بسامرا وأميتها للفن الاسلامي في القرن التاسع (الثالث الهجري) » Die Kleinfinde von Samarra und ihre Ergebnisse für das islamische Kunstgewerbe des 9. Jahrhunderts ds. Der Islam, Straasburg, 1914, Tafel 3, fig. 5.

(٢) هذا الشاهد محفوظ بدار الآثار العربية تحت رقم ٣٩٠٤

(٣) بدار الآثار العربية تحت رقم ٢٩٠٣ و ١٢٧٣ و ١٢٧٤



(شكل ٦٧)



(شكل ٦٨)

وأقدم شاهد عرفناه من طرز هندسى (شكل ٦٨) مؤرخ سنة ٣٠٧ هجرية (٩١٩ ميلادية) .
وأخر من سنة ٣١٣^(١)

ولكن هذا التقريب ضعيف، وفضلا عن ذلك، فإن الفرق في الصناعة بين الزخرفة بالحص
والزخرفة بالآجر والجبس، يكفى وحده للبرهنة على اختلاف قواعد الرسوم .

ولقد مرّ بنا من جهة أخرى، أن الأقباط لم ينقطعوا عن استعمال الأشكال الهندسية على
الطريقة الهلينية . وأنها في سامرا كانت معاصرة للزخرفة الزهرية . ولما كشفت فتحات
الجدار الخارجى، من عهد قريب بجامع ابن طولون، وجدت عليها شبابيك زخارفها هندسية من
الجبس المقرغ . وكذلك، الحنايا بهذا الجامع، مزخرفة بنقوش على هيئة الغصون المتتوية، على نسق
طرز سامرا الثانى . ومن ذلك يتبين، أن الطريقتين كانتا معمولتا بهما، في آن واحد، منذ العصر
الطولونى .

(١) بدار الآثار العربية، تحت رقم ١٢٧٨ و ١٢٧٩

الباب الثامن

في العهد الذي ترجع اليه الأبنية التي كشفت من القسطنطينية

علينا مما تقدم، أن نحراب القسطنطينية كان يمتد، على عهد ابن دقاق والمقريري، حتى يقرب من جامع عمرو وقصر الشمع . وقد تختلف معالم كثيرة تكاد تتلبس فيها حقيقة الحد الذي كان يفصل وقتئذ بين العامر المأهول، والخراب المهجور . ولو نظرنا الى المنطقة التي أجريننا بها الحفر (راجع الشكل رقم ١) ، تظهر لأول وهلة أنها كلها من الخراب . ويدور بخلدنا، وان أعوزتنا النصوص التاريخية الصريحة، أن حدود الخراب لم يطرأ عليها تغيير كبير بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر الميلادي، وأن الخطة التي غادرها سكانها، على أيام المستنصر لم تتجدد عمارتها. ولقد كانت الحركة الصناعية والتجارية، تمتد من القسطنطينية، وتنتشر على شاطئ النيل، في الوقت الذي نشأت فيه خطط جديدة على الشاطئ، بين القاهرة والقسطنطينية، وفي الجنوب منه الى دير الطين .

ومن ثم يظهر، أن الروايات التاريخية تكاد تدل على أن الخطة التي رفعت عنها الأبنية، بقيت، منذ القرن الحادي عشر الى اليوم، مطمورة في التراب . وسنرى فيما بعد أن هذا الاستنتاج يتفق مع المعلومات التي كشفت عنها عملية الحفر .

فمن ذلك، أن موضع الحفر، سواء كان في الموقع الرئيسي بالقسطنطينية، أو في العسكر والقطائع، انكشف عن مبان متحدة الأسلوب، متشابهة النظام، قوامها الآجر نخلله، لحامات ثخينة، ومونة متخذة من الجير والقصرم، أو من الجير والحرة، وبلاط من الحجر الجيري، وأنايب مصنوعة من الفطر، وشباك من الحجارة المنقورة في الصخر . وإن لم يتيسر لنا في المناطق البعيدة أن نحصل على معالم تكفي لتكوين رسم أفقي لدار من الدور، فإن ما عثرنا عليه من نظام التفاصيل

المتشابهة يكفى للدلالة على أن جميع المنطقة التي أزرنا عنها التراب، كان مشيدا عليها في وقت ما أبنية أقيمت على أصول واخذة، وطرز متشابهة .

فان قيل : ولماذا لا تكون هذه المباني مخلقة من تجدد العمارة بعد الشدة العظمى التي حدثت على عهد المستنصر، مما لم ترد عنه اشارة في النصوص التاريخية ؟ فالجواب : ان ذلك يقتضى وجود بنائين مثلا، أقيم أحدهما فوق الآخر مع تباين في الوضع، واختلاف في مواد البناء . ولكن ما اتفق لنا العثور عليه من آثار التعديل، والتحوير، أو التجديد الكلي، إنما هي أمثلة فردية متفرقة . وما كنا نجد من ذلك في الدار الواحدة، كان يتكرر باستمرار ولا يتغير .

وقد شوهد أن لكل دار من الدور شبكة من الاقنية والمجارير، تنتهي كلها الى بر صرف واحدة، أو عدة آبار . وهذه الاقنية والآبار، تستعمل كلها إلا اليسير في الدور التي كشفناها، وتنبع في اتجاهها تخطيط الدار . ولا يمكن التسليم بأن هذه الأعمال الضخمة، ترجع الى عهد متأخر عن انشاء الدور . وقد التزم في إعدادها الدقة والعناية التامة، بغضت متداخلة في أجزاء البنية الأصلية، محكمة الوضع والارتباط .

ومن مشاهدة مواقع الحفر، التي اندثر ما عليها من الأبنية، نثبت أهمية هذه الأعمال التي كانت مطمورة في التراب . ولا يدل ظاهرها على أنها من تجديدات أجريت بسرعة، في عصر انحلال وانحطاط . ولكنها مثل المباني المتخذة لها، ترجع الى الوقت الذي كانت فيه مدينة القسطنطينية زاهية زاهرة .

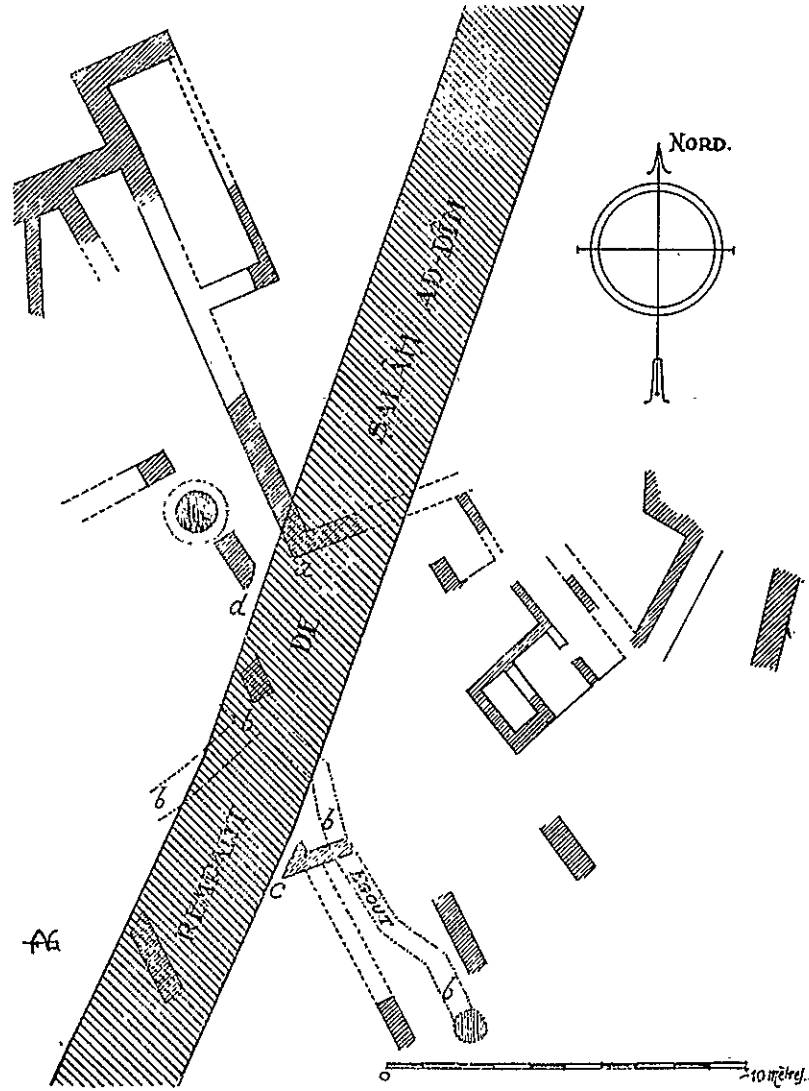
ولكى نعزز ذلك، نأتى ببيردان آخر نستمد منه من شخص صلاح الدين . وقد سبق لنا ان قلنا أن صلاح الدين رأى الضرورة قاضية بأن يبنى سوراً يجمع داخله القسطنطينية والقاهرة، وان أعمال الحفر أظهرت أجزاء من هذا السور، مما كان أعد لحماية القسطنطينية من الجهة الشرقية^(١) . وسنبين فيما بعد الظروف التي وضع فيها هذا المشروع، وكيف نفذ، وندرس تفاصيل بنائه .

(١) وقد شاهدنا أن القسم المتجه من القسطنطينية الى الشمال والجنوب الى القلعة قائم على أساس السور .

(٢) راجع كازانوف " تاريخ قلعة القاهرة ووصفها " - القاهرة ١٨٩١ ص ٥٣٥ وما يليها ص ٥٣٧ و لوحة ٣ ، ولاحظ أن سير كازانوف قد تمكن بواسطة النصوص التي أوردها القرظي فقط من تعيين تخطيط هذا السور تعيينا اقترابيا، وقد سقطت الحفر يات كثيرة .

ونقتصر الآن على ابداء بعض ملاحظات تساعد على تعيين تاريخ بناء الدور التي تكلمنا عنها، فنقول :

انه بالبحث عن الطريقة التي بنى بها السور (راجع اللوحة ١٤ - ١ و ٢ وشكل ٦٩)،



(شكل ٦٩)

ظهر أنه يمر بين الدور قاطعا لها، مخلفا على جانبيه، بل وفي حشوه، أجزاء من دار واحدة . كما أننا نراه يقطع في امتداده المجرور *b, b, b* . مما يتبين منه أن بناء السور متأخر عن بناء الدور . ويلاحظ أيضا، أن بعض المواقع بها جدران مبنية بالآجر مقطوعة على بعد بضعة سنتيمترات من صفحتي السور (*d, e*) ، مما يدعو الى الظن بأن الدور كانت هناك ملتصقة بالسور . والسبب في ذلك يعرف ، اذا لوحظ أنه في الوقت الذي وضع فيه أساس السور كانت المنطقة التي هيئت له مهجورة ، فأعدت فيها الحفر اللازمة ورمى الأساس فوق الصخر، حتى امتلأت ، وهدم ما كان هناك من الأبنية المشيدة بالآجر .

وبالإجمال ، فإن تخطيط السور يتفق مع هذا الاستنتاج ، لأن صلاح الدين أراد أن يجمع بين القلعة والطرف الجنوبي من الفسطاط ، وفي الوقت الذي بدأ فيه العمل ، كانت هذه العاصمة القديمة على ما انتابها من الانحطاط لا تزال مدينة عظيمة ، تجاريا وصناعيا ، ولكن حدودها أصبحت دون ما كانت عليه في القرن العاشر ، فكانت كشرط من الأبنية صرصة يختلف ويمتد على شاطئ النيل . ولقد كان في المشروع الذي اختاره صلاح الدين لحماية عاصمة البلاد من الهجوم المفاجئ ، أحسن حل وأيسره اقتصاديا، مع مناعة من الوجهة الحربية ؛ لأن مد السور مستقيما من القلعة الى الكوم الأحمر كان جامعا ما يلزم من كل الوجوه .

ولقد كان من العيب، أن يشيد السور على حدود الخراب، فيطول كثيرا بلا جدوى . وكان بين السور والخطط المأهولة بالسكان أرض براح تملؤها الأبنية المتخربة شبيهة باليوم، أي حرم النطاق الحربي عند الرومان .

ومن ذلك يظهر، أن أساس السور كله أقيم في الخراب، وان الاطلاع التي نخلل أرضه كانت تتكون منها تلال مرتفعة . وفي الواقع، أننا اذا رسمنا امتداد السور على حقيقته، نجده

(١) قال سيبو كازانوفنا إن هذا المنزل بدأ في سنة ٥٧٢ هجرية لأن هذه السنة أقرب الى الحقيقة التاريخية من سنة ٥٩٦ التي أوردتها القرظي (أول ص ٣٧٩) وقد بنى ملاحظته على أن مثل هذا المشروع « لم يكن من الممكن أن يفكر فيه إلا أن كان مستبدا نرى السلطان كما كان في سنة ٥٧٢ هـ سلطان دمشق الجديد حليف زعيم القديسين » (رابع كازانوفنا في الكتاب السابق ذكره ص ٥٢٨) .

في جملة مواقع قد نخرج كثيرا عن استقامته، وظهر فيه ازورار واضح دعا اليه كما نعتقد وجود كيان على مقربة، وتركت كما هي، لأن محاولة ازالتها لتهيئة الأرض الى الصخر فيها، كان يكلف عناء كبيرا ومشقة عظيمة . ومن البداية، أن يختار بناء السور فيما بين التلال من الفجاج حيث لا يحتاج العمل إلا الى نقل أقل مقدار ممكن من التراب .

وزيادة على ذلك يوجد في صفحتي السور، اختلاف جوهري في بنائهما لأن الصفحة الخارجة، مبنية من مبدأ الأساس، بالجر الجيد النحت، مداميك منتظمة، محدبة الوسط "بقجة"، ومحاطة باطار "تويص أو ميه" على مثال السور الشمالي الشرقى لمدينة القاهرة^(١) . ولا شك ان هذا الجانب، كان موجودا به خندق يمنع ميله الطبيعي الوصول إلى السور . أما الصفحة الداخلية، فانها مبنية باللبش الذي يكاد لا يكتفى لمقاومة دفع الأجار المحشوبها السور، وإنما كانت تستند الى التلال التي قامت الشواهد على أنها مخلقة من عهد صلاح الدين .

والآن وقد اهتمنا الى هذا الحد، يلاحظ أننا قد تركنا جانبا الكلام على بقايا الخزف وغيرها، مما عثر عليه في أثناء الحفر . وذلك، لأننا عقدنا العزم على أن نفردها بحثا خاصا . واذا كنا قد بينا في مقدمة هذا الكتاب، أن هذه الكيان تكوّنت على وضع لا يساعد على استنتاج معلومات قيمة من هذه البقايا، فكذلك لم يأت فحص المجموعات العديدة، من البقايا التي دخلت دار الآثار العربية، بما ينفي استنتاجاتنا العامة التي أوردناها . والواقع، أن البقايا التي ترجع الى ما قبل العصر الفاطمي، وبعض المصنوعات الفاطمية، قد يمكن التسليم بأنها من مخلفات الدور التي وجدت فيها، وأن كثيرا من بقايا الخزف الفاطمي وغيره، من المصنوعات المخلقة من الدولة الأيوبية، وعصر المماليك، معلوم أنه منقول الى الكيان من الجهات المجاورة التي كانت لا تزال معمورة .

وما تقدم يستنتج، أن زمن المستنصر، هو العهد الذي ينتهي اليه أحدث الدور التي تكلمنا عليها، وما عداها وهو الأغلب، يرجع الى عصر أقدم من ذلك . وعلى الأخص، الى زمن العباسيين والطولونيين . وفي عهدهما بلغت مدينة الفسطاط الغاية في الزهو والثراء .

(١) غريغرى وتيل برج القفر . ولأجل البحث في سور صلاح الدين يلزم القيام ببعض تحريات خاصة في هذه المنطقة حيث تم رفع الكثير من الأتربة .

وإذا حاولنا أن نجعل البحث، ونرجع بعض المباني الى أزمته معينة . نغير لنا أن لا نفعل، لأننا لم نزل نجعل معالم منازل العرب الأولى في الفسطاط . ولكن مجال التخيل واسع، في أن الدور التي اتخذها العرب بها على عهد الفتح، كانت دورا مؤقتة، فلم تدم طويلا . ثم على عهد بني أمية، أخذ في انشاء الدور المشيدة . ولا يمكننا الآن أن نعين المادة التي كان يبنى بها، هل هي اللبن؟ أو الآجر؟ وغاية ما وصلنا اليه بالمقارنة، بين أبنية الفسطاط وأبنية سامرا التي أنشئت في سنة ٢٢٧ هجرية (٨٤٢ م) وجامع ابن طولون، ومن تشابه الزخارف التي كانت تتخذ في واجهات بعض الدور بالفسطاط، بالزخارف المقوشة على بعض شواهد القبور، التي من القرنين الثالث والرابع الهجري، يمكننا أن نقول أن معظم أبنية الفسطاط هي من عصر الدولتين العباسية والطولونية . وليس في وسعنا الحكم، بأنه لا يوجد بينها ما يرجع الى أقدم من زمن هاتين الدولتين، أو أن يكون وقع فيه اصلاحات، أو تجديدات، أدخلت على طرزها الأصلي تعديلات جديدة . ولكن التزام ما كانت تمليه التصورات الأصباية، والعمل بنفس الطرق القديمة، لم يطرأ عليه أى تغيير ظاهر، إلا في القليل من التفاصيل . على أن ما اهتمدنا اليه من المعلومات في هذا الباب ليس بالكثير، ولا يمكن أن يكون له الأثر الذي يساعد على ترتيب الأبنية بأنواعها ترتيبا تاريخيا صحيحا .

(١) الباب الذي خصمه ابن دقماق للدور (ج ٤ ص ٥ وما يليها) مبنى كله على روايات من سبقه . وقد ذكر في هذه الروايات، ان كثيرا من الدور خلفت من عصر النبي عليه الصلاة والسلام . وفي ذلك شيء من المبالغة، وكل ما يمكن قوله ان بعض الدور التي ذكرت في هذه الروايات أقيمت في القرن الأول الهجري، وبنيت بمواد تقوى على المقارنة .

بيان اللوحات الملحقه بهذا الكتاب

اللوحة الأولى — منظر الفسطاط مأخوذ من كوم غراب، في صدره بقايا الكيان . ووراء ذلك، الموقع الذي تم فيه التنقيب . وفي الجوف، المقطم والقلة ومدرسة السلطان حسن على بعد .

اللوحة الثانية — (١) نقل السباخ المستخرج من موقع الحفر، على ظهور الجبال . (٢) إحدى مناطق الحفر بكوم غراب، تتخللها جدران اكتشفت مبنية بالآجر . وعلى اليسار عمال يغربلون التراب، لفصل السبخ، وفرز القطع الأثرية .

اللوحة الثالثة — صورة المناطق الجارية فيها الحفر، مأخوذة من الطيارة (بمعرفة فرقة الطيران الانجليزية، في يناير سنة ١٩٢٠)، ويرى فيها: (١) تخطيط الطرق، ومنظر البساتين المجاورة لقصر الشمع (بأعلى اللوحة على اليسار)، وجامع عمرو (على اليمين)، والمجاور أسفل ذلك . (٢) جامع عمرو (بأعلى اللوحة على اليسار)، وأبنية تابعة لشركة السباخ (على اليمين بأعلى اللوحة)، وهي في وسط منطقة من أهم المناطق، تحول دون التنقيب فيها .

اللوحة الرابعة — منظر مأخوذ بالطيارة من إحدى مناطق الحفر، يبين حالة الأعمال، وهيئة الأرض، في سنة ١٩١٨ والحفر الكبيرة التي على اليمين محاجر .

اللوحة الخامسة — (١) منظر مأخوذ من فوق الكيان، المشرفة من الجهة الغربية على عين الصيرة . وهي التي ترى في الشكل التالي « ٢ »، وفي الجوف المقطم، والقلة، والمجراة « العيون » . وبسفح المرتفعات البساتين . (٢) الكيان المشرفة من الجهة الغربية على عين الصيرة، تشاهد فيها الحفائر التي تتخللها، وهي تدل على المواقع التي كان يتقب فيها عن الآجر بجمعه .

اللوحة السادسة — منظر القسم المتوسط من موقع الحفر .

اللوحة السابعة — (١) منظر الفسطاط مأخوذ من فوق الكيان المشرفة من الجهة الغربية على عين الصيرة (اللوحة الخامسة ٢)، يرى فيه في الجوف وادي النيل، وأهرامات الجيزة والطرق التي تسير فيها العربات الحاملة للسباخ، والمجر الوارد من المحاجر .

(٢) الدار الأولى مرسومة من الجهة الجنوبية الغربية مع الحوش B، والغرف m و n و o و p و w

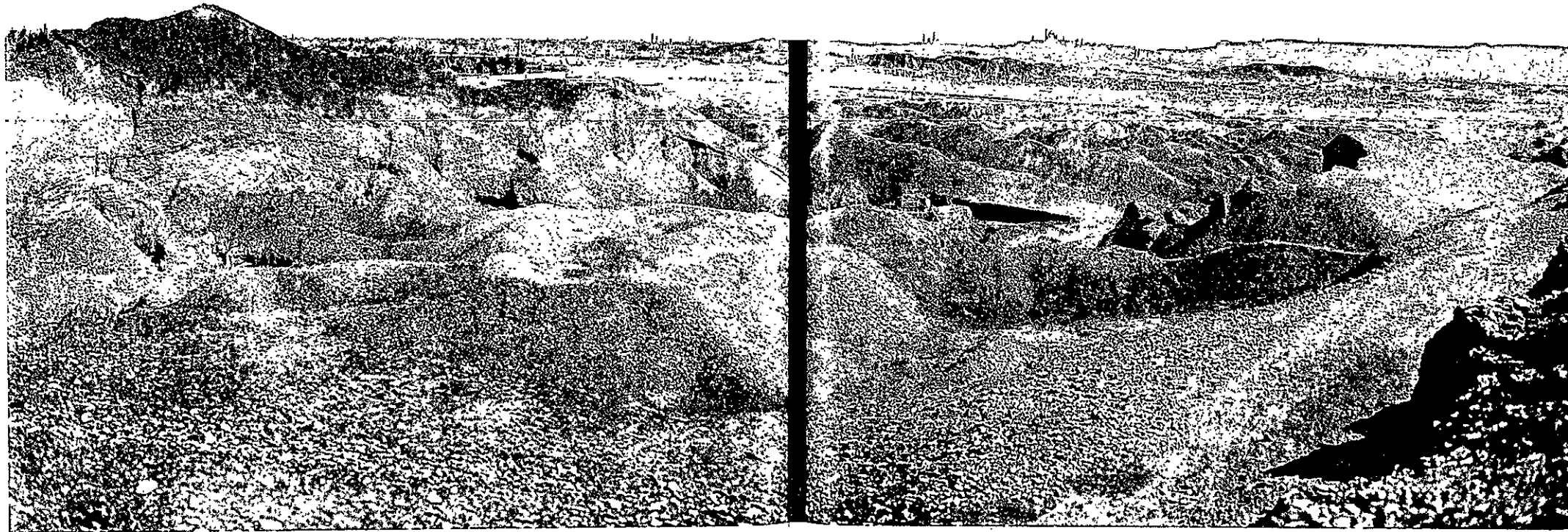
- اللوحة الثامنة — (١) فتحة مجرور . (٢) الدار الأولى مع الحوش A وفسقته .
- اللوحة التاسعة — الدار الأولى مع الحوش B ، وفسقته ، وبعض القوائم الحجرية الموجودة الآن بمكانها ، وأخرى في صدر الرسم .
- اللوحة العاشرة — الدار الثانية ، مرسومة من الجهة الجنوبية الشرقية ، وبعض التفاصيل من القاعة C .
- اللوحة الحادية عشر — الدار الثالثة ، مرسومة من الجهة الجنوبية الغربية .
- اللوحة الثانية عشر — الدار الرابعة ، مرسومة من الجهة الجنوبية الشرقية .
- اللوحة الثالثة عشر — منظر الحفر ، يتبين فيه ما كان للأعمال الصحية من الأهمية ، من البيارات والمجارير وغيرها .
- اللوحة الرابعة عشر — سور صلاح الدين (١) منظر بين مرور السور وسط المباني السابقة عليه في العهد . (٢) السور وأبراجه .
- اللوحة الخامسة عشر — تفاصيل فنية : (١) قطعة من أساس . (٢) قوائم حجرية بباطن جدار .
- اللوحة السادسة عشر — تفاصيل فنية : ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥ قوائم حجرية ، وقطع من الحجر مما يستعمل في باطن الجدار . ٤ و ٦ قطع من أساس . (٧) واجهة مكحولة .
- اللوحة السابعة عشر — مراحيض .
- اللوحة الثامنة عشر — مجارير ، وفسقيات .
- اللوحة التاسعة عشر — قناة صرف رأسية (المجموعة الأولى من الدور) R من الشكل رقم ٥ . (٢) تفاصيل تبين بقية من فتحة مجرور ، ومكان الأربطة الخشبية .
- اللوحة العشرون — زخارف متخذة من قطع الآجر المجموعة بالحصن : (١) النوع الأول « ، محتوية تجاويفة على قطع من الصدف . (٢) النوع الأول « ، كتابة كوفية تقرأ فيها كلمة "قصورا" . (٣) النوع الثاني « ، مشبكات ونجوم ذوات ثمان شعب .
- اللوحة الحادية والعشرون — (١ و ٢) قطع من كسوة متخذة من الحصص المصبوب بالتقالب .
- (٣) قطعة من كسوة متخذة من البلاط (من الدار السادسة) .
- (٤) مشبكات من النوع الثاني b ، وجدت في الدار الثالثة .

- اللوحة الثانية والعشرون — (١) قطع من النوع الأول a ، وجدت في الدار السادسة .
- (٢) قطع من النوع الثاني b ، وجدت في الدار الخامسة .
- اللوحة الثالثة والعشرون — (١ و ٢) قطع من النوع الثاني b . (٣) قطع من النوع الثالث c .
- اللوحة الرابعة والعشرون — نماذج من مصنوعات متخذة من الحجر والرخام .
- اللوحة الخامسة والعشرون — قطع من زخارف جصية .
- اللوحة السادسة والعشرون — قطع من زخارف جصية .
- اللوحة السابعة والعشرون — قطع من الخشب المنقوش .
- اللوحة الثامنة والعشرون — قطع من العظم والسن .
- اللوحة التاسعة والعشرون — مصنوعات من النحاس .
- اللوحة الثلاثون — حل من ذهب .
- اللوحة الحادية والثلاثون — منسوجات .
- اللوحة الثانية والثلاثون — قطع من زجاج مطلي بالمينا .

مطبعة دار الكتب المصرية ٣٠٠/١٩٢٨/٥٣٠

(Pl. 1.)

(لوحة رقم 1)



منظر عام للفسيطاط مأخوذ من كوم غراب - Kôm
Vue générale du Foustât prise de Kôm

(Pl. 1)

(لوحة رسم 1)



منظر عام للتسطاط مأخوذ من كوم غران

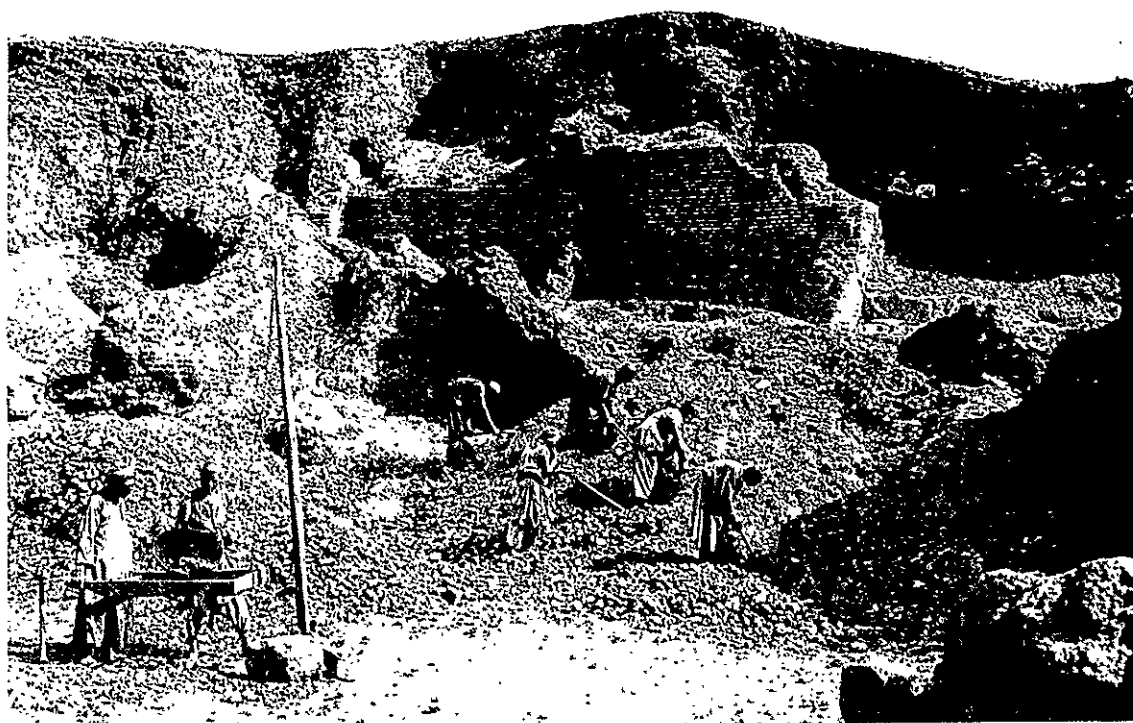
Vue générale du Foustât prise de K^{om}

(Pl. II.)

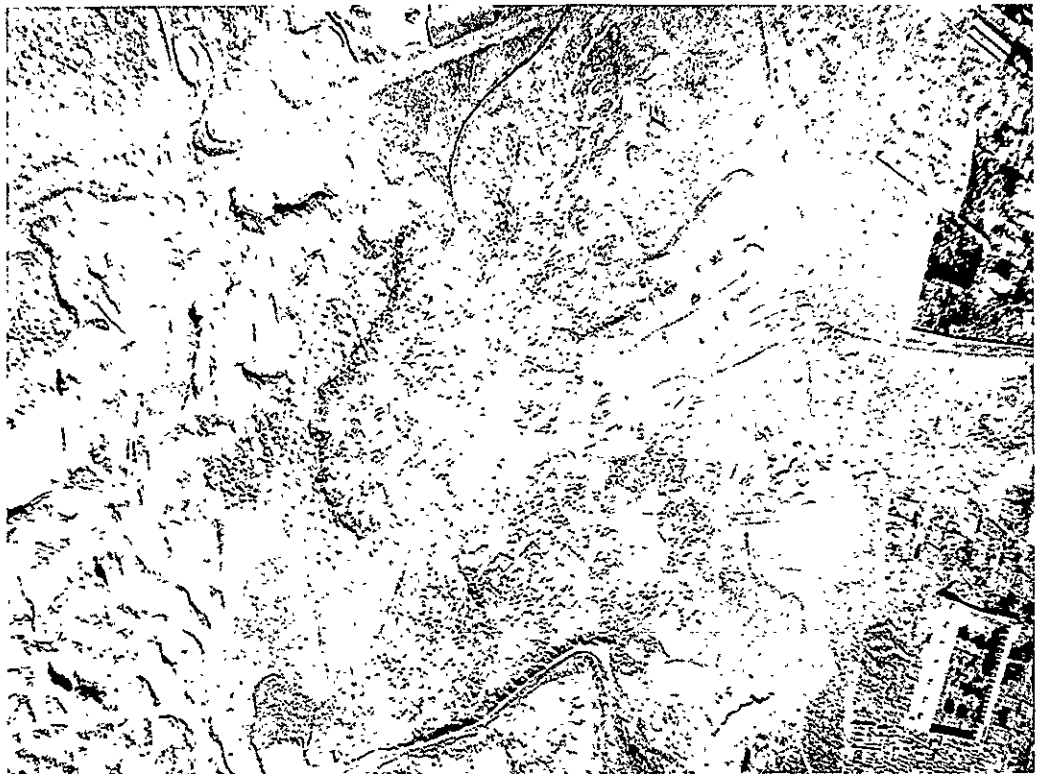
(الوحدة رقم ٢)



Transport du sabakh à dos des chameaux. — جمال تنقل السبخ



Fouilles à Kôm Ghourâb. — بعض مناطق الحفر بكم غراب



(Pl. III)



(رسم رقم ٣)

مبنى من حجارة الطينية سنة ١٩٢٠ م في منطقة المثلث في ارضنا

191A
Type of tumour part of the ...



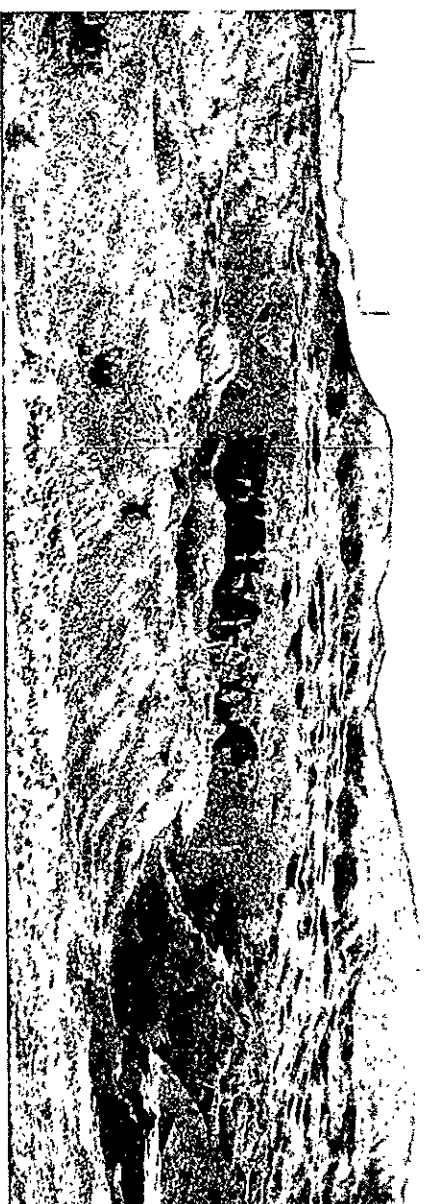
(100x)

(Pl. IV)

(Pl. V)



منظر الجري والقرية القديمة - منظر من Paqueduc و منظر المقبرة الجنوبية في عين السيرة.



التيارات التي تهيمن على عين السيرة - Collines qui dominent Ain-As-Sira.

(الرجوع إلى ص ٥)

Vue de la partie centrale des fondles





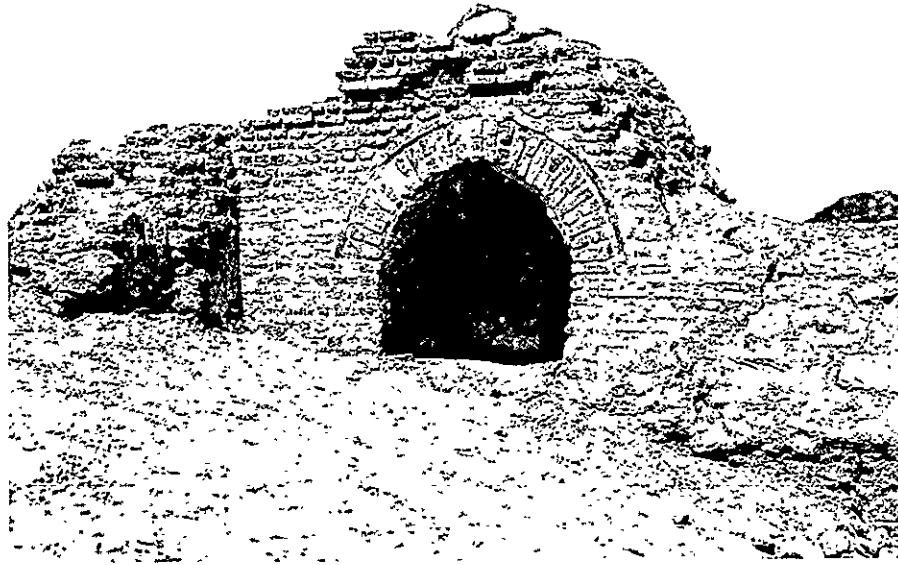
منظر عام عن موقع السلطان — Vue d'ensemble du site du Fousât.



منظر من داخل البيت I . . . Vue de la maison I.

(Pl. VIII)

(الوحدة رقم ٧)



Ouverture d'un égout. — فتحة مجرور



Cour de la maison I. — حوش المدار الأولى

(pl. IX.)

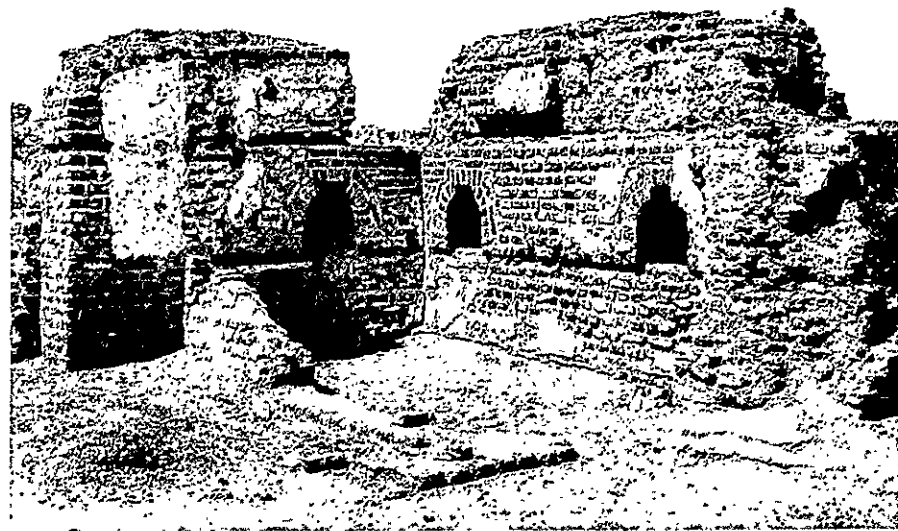


(رسم رقم ٩)

حوش تان من الدار الأولى ... Autre cour de la maison I.



الدار الثانية — Vue de la maison II.



تفاصيل قاعة من الدار الثانية — Détails d'une salle de la maison II.

الغار الثالث - Map on III



(توضیح رقم ۱۱)

(Pl. XI)



الدار السادسة — Maison VI.

(رسم رقم ١٢)

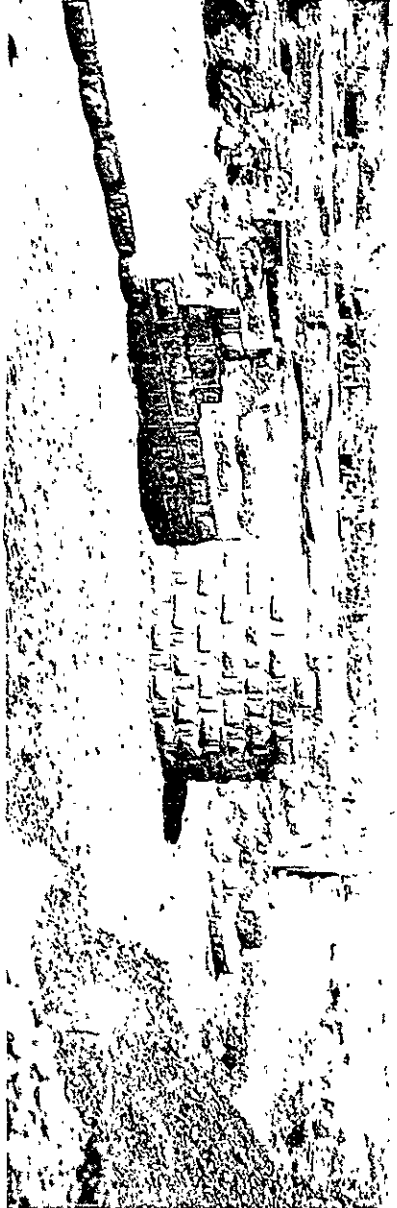
(Pl. XII.)

مظن الأبنية على الصحفة — Aspect des travaux d'assainissement



(رقم ١٣٠)

(Pl. XIII)



مدرسة الشيخ سليمان — صور



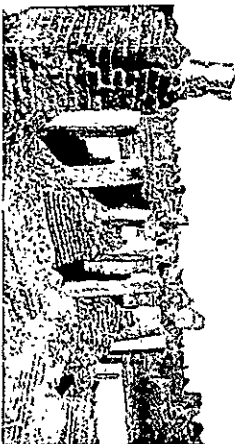
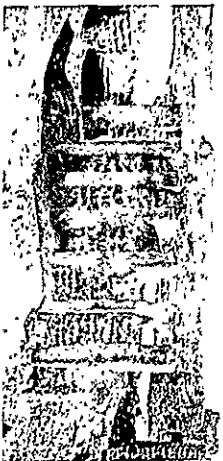
(Pl. XIV)

(الرسالة : ١٠٠)

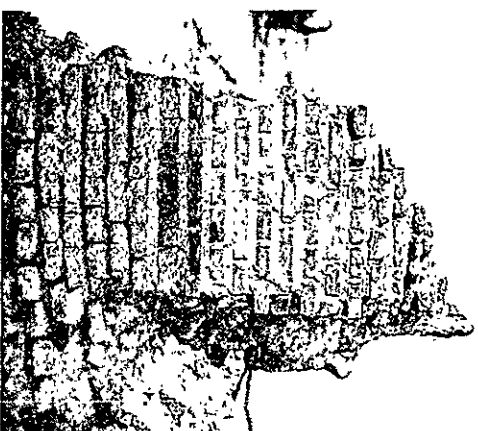
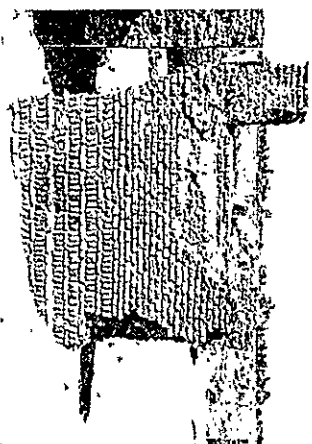


Détails de construction. — تفاصيل من الأبنية

(Pl. XVI)

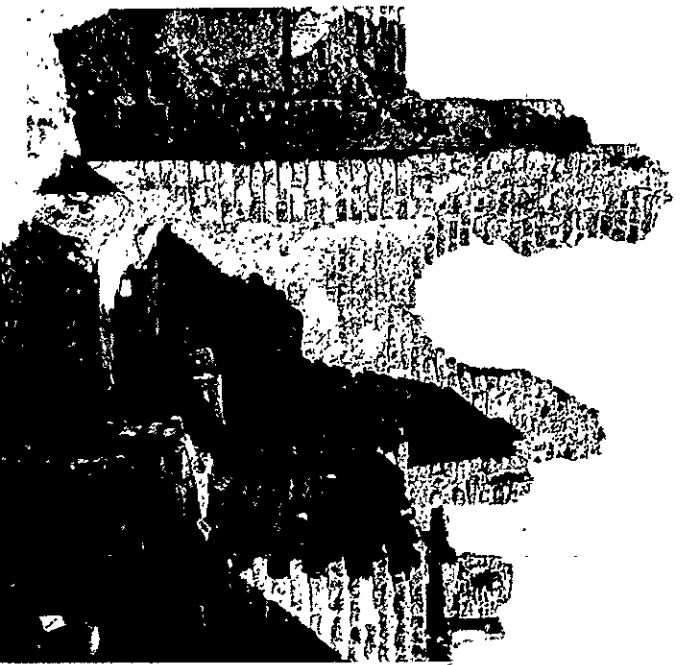


(Pl. XVII)

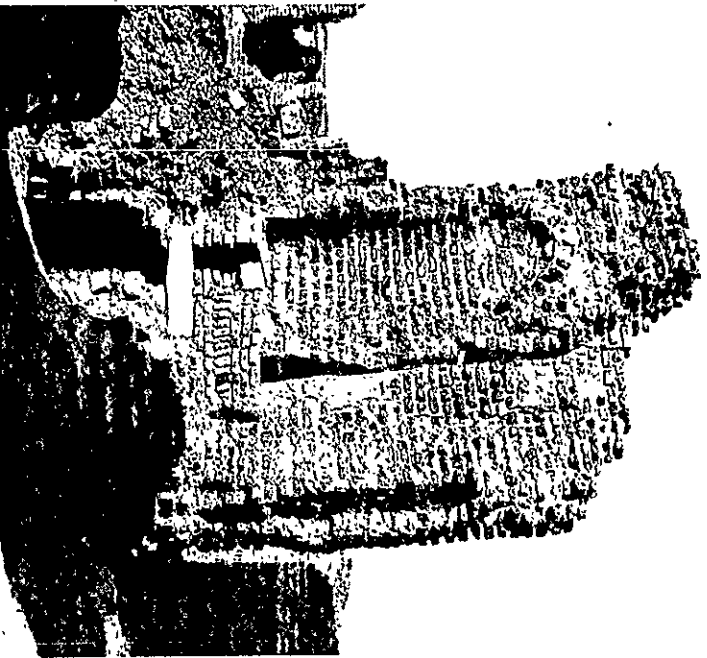


Details of construction

قواعد البناء



(Pl. XVII.)

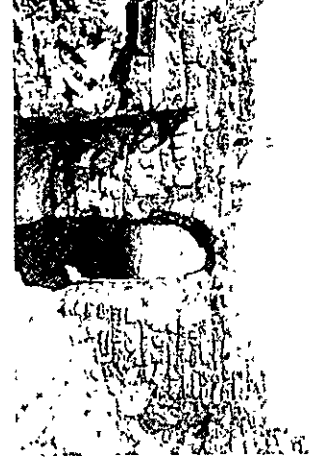
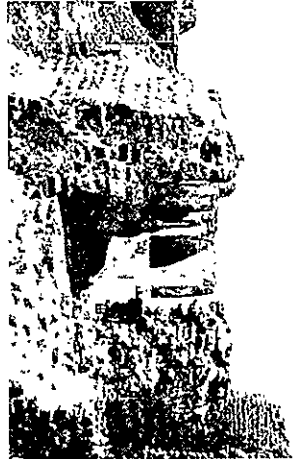


(Pl. XVIII.)



Latrines. —————
مراحيض

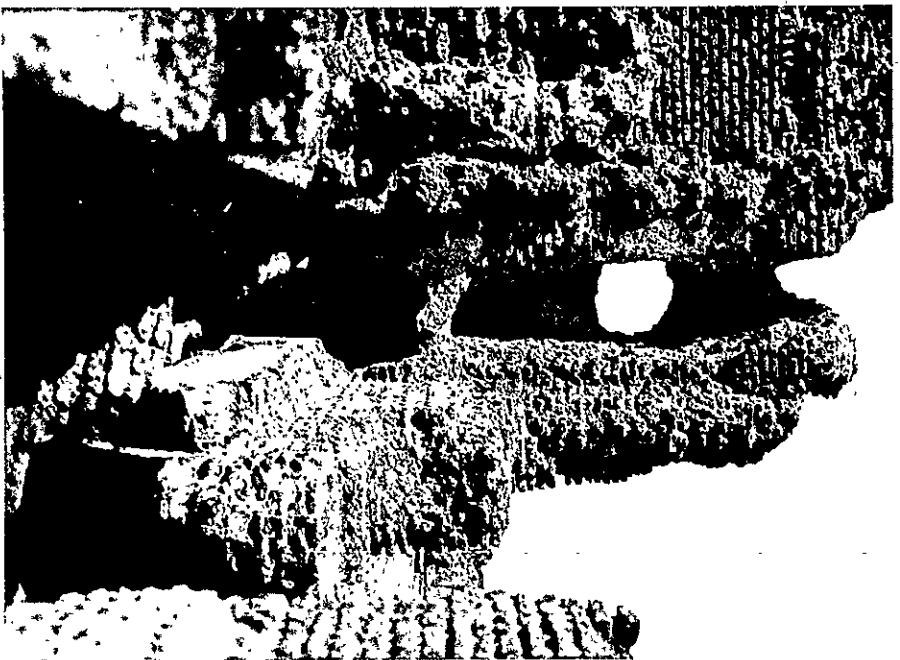




(Pl. XVIII.)

188

(pl. XIX.)

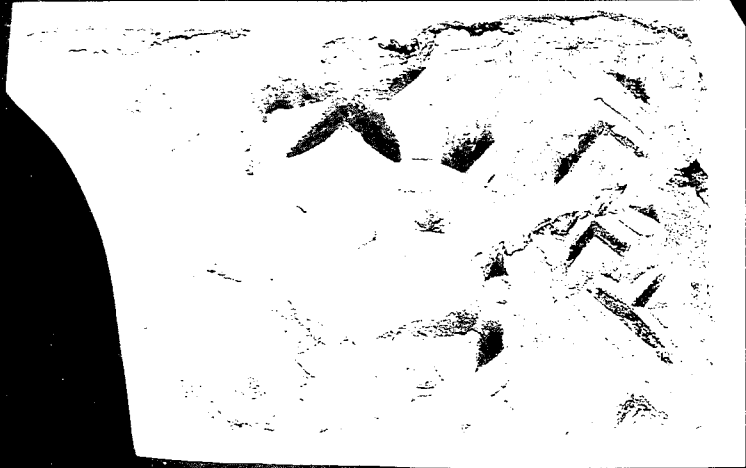


Conduite d'évacuation. — تصحیح درختی باد

(تصویر رقم ۱۹)

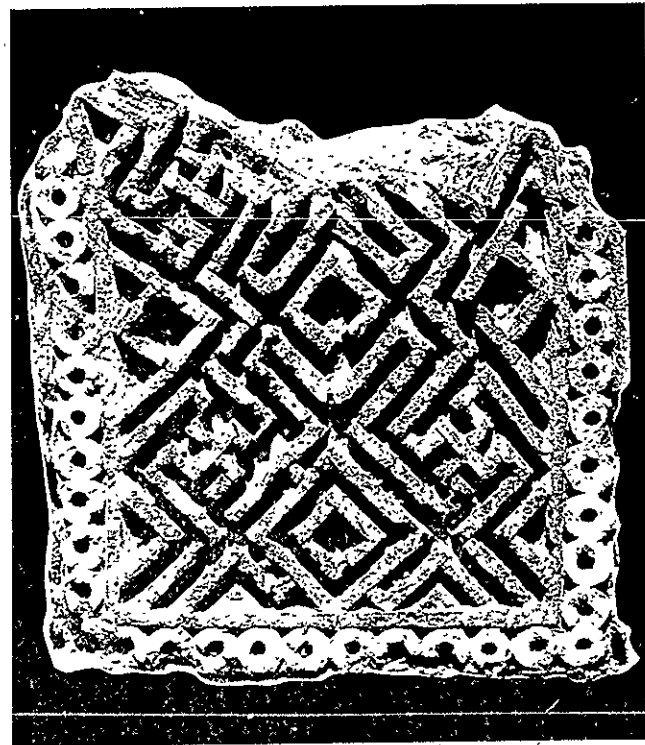
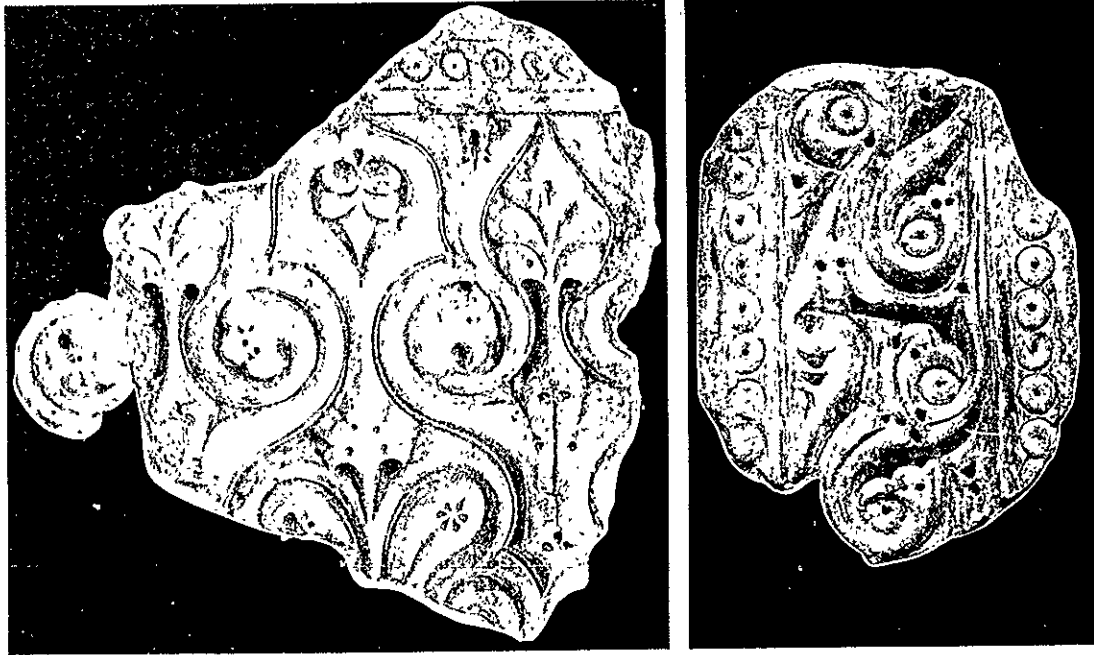


Détails de maçonnerie. — تفصیل آبنما

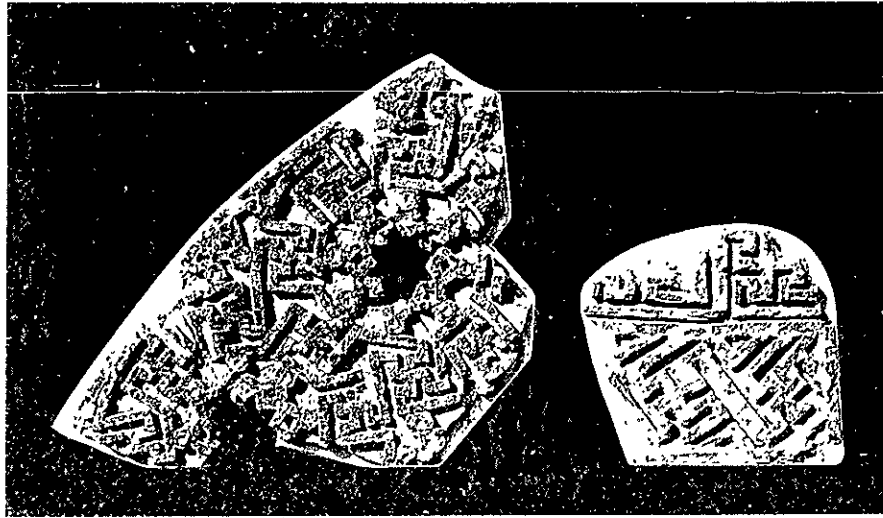
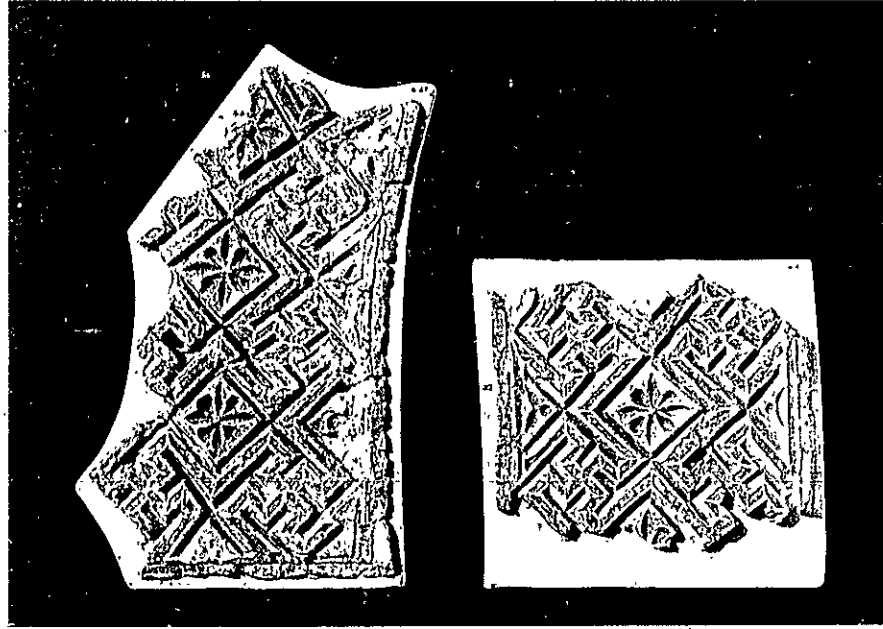


(Pl. XXI.)

لوحة زخرفية (21)



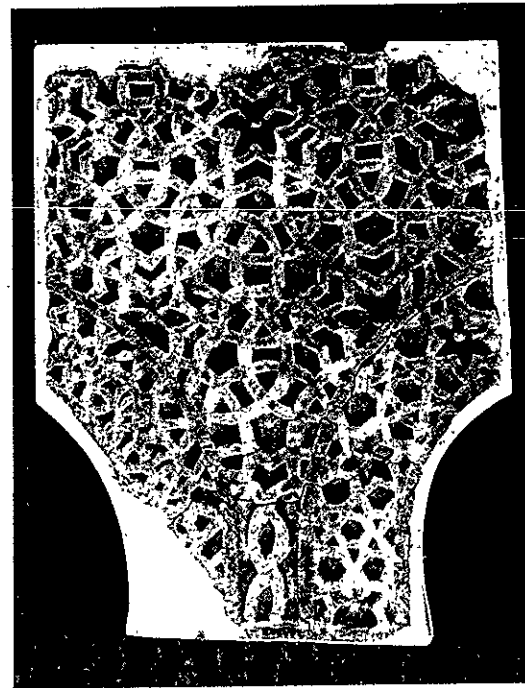
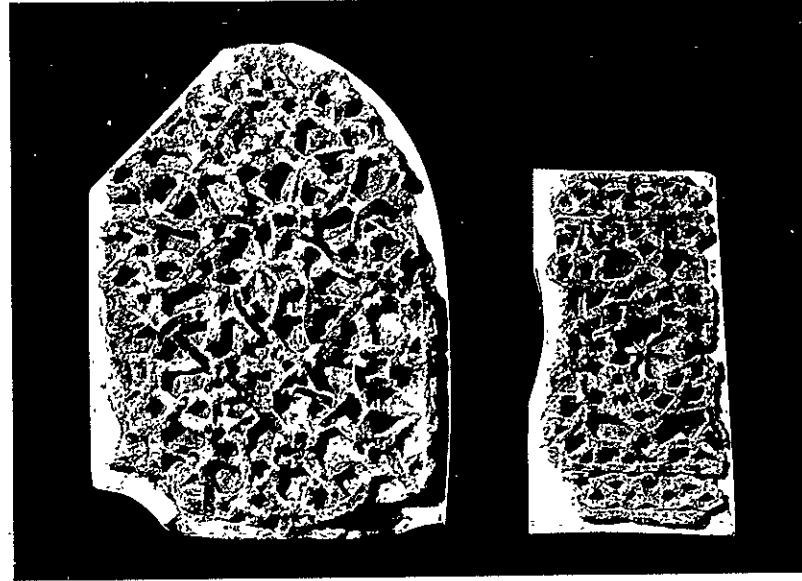
زخرفة بالفضة - Revêtements en platre.



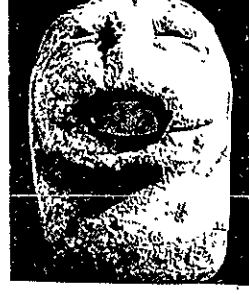
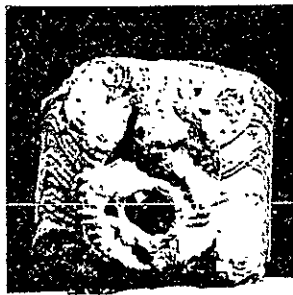
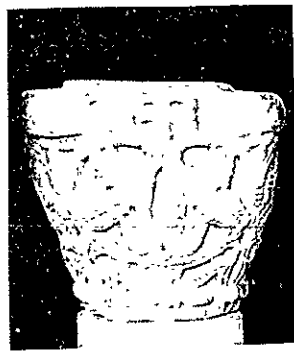
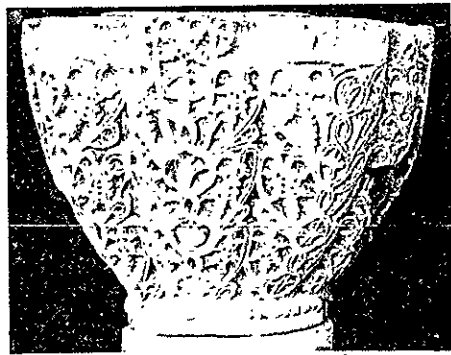
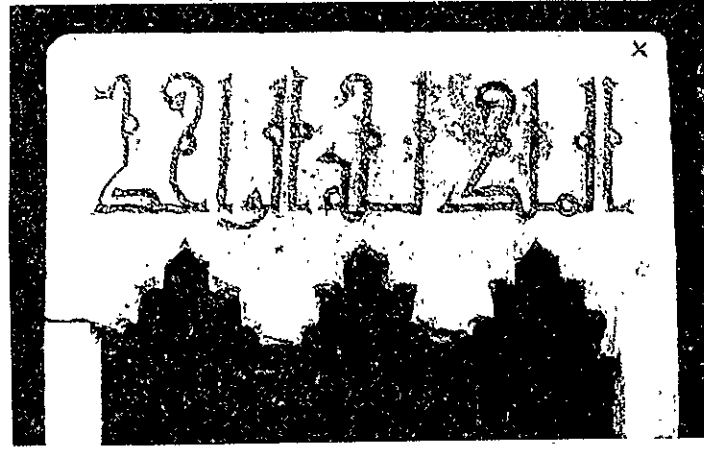
Fragments Décoratifs. — نماذج زخارف

(Pl. XXIII.)

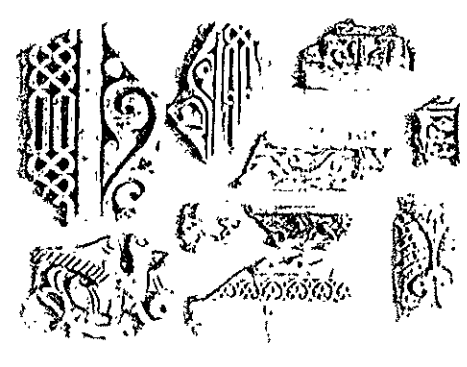
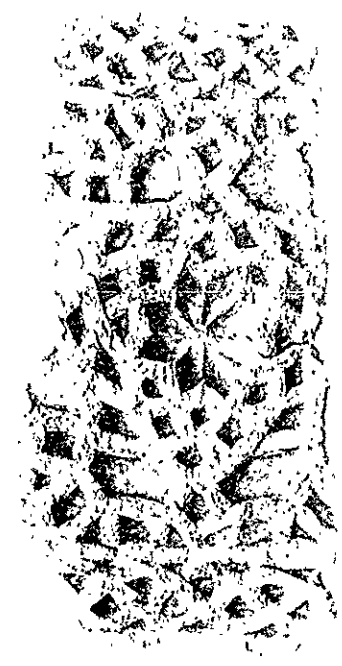
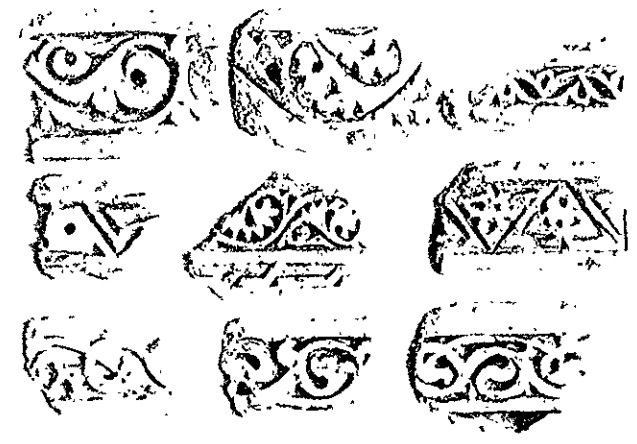
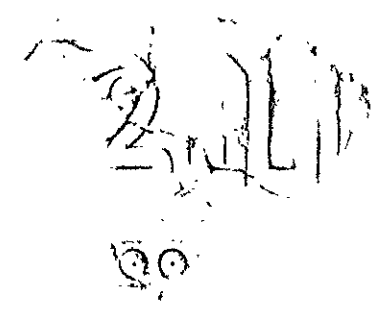
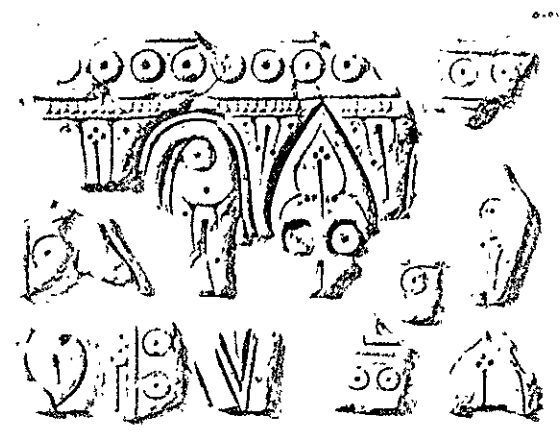
(۲۲ — ۲۳ — ۲۴)



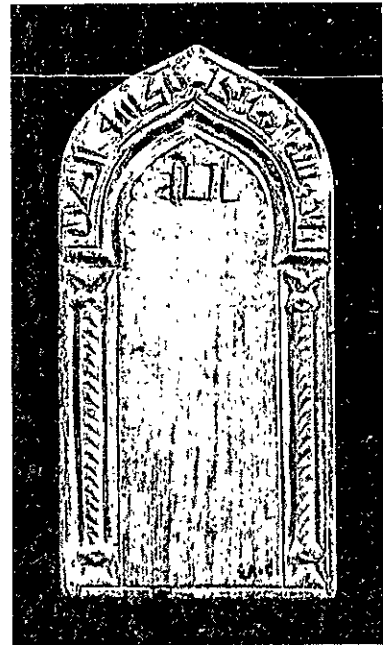
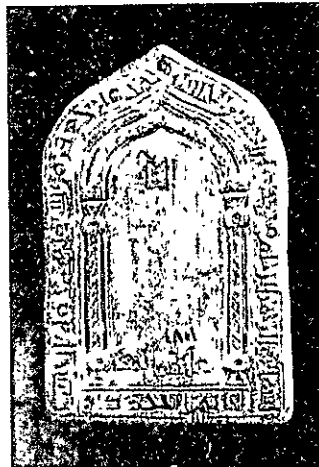
Fragments Décoratifs. — نماذج زخارف



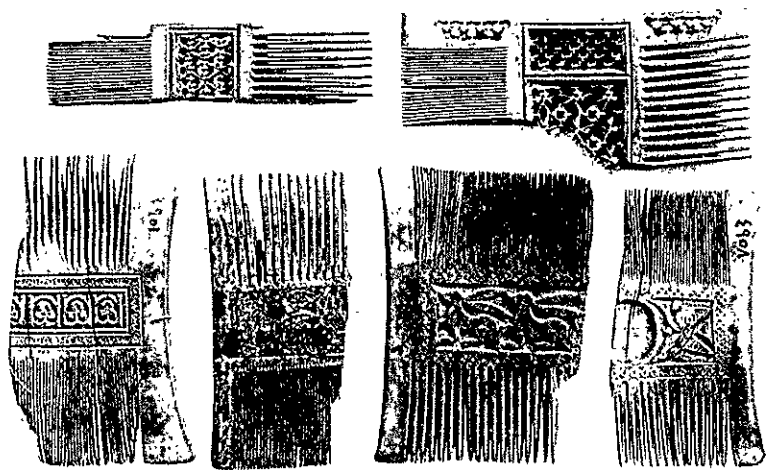
Objets en pierre et marbre نماذج مصنوعات الحجر والرخام



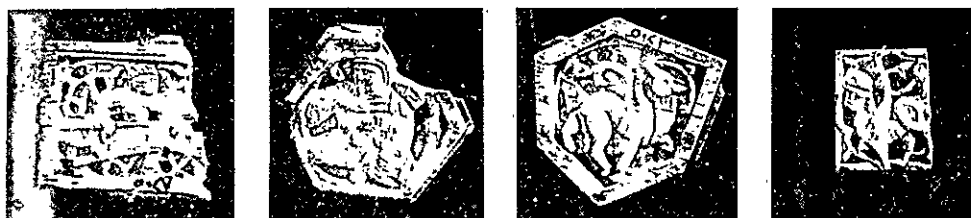
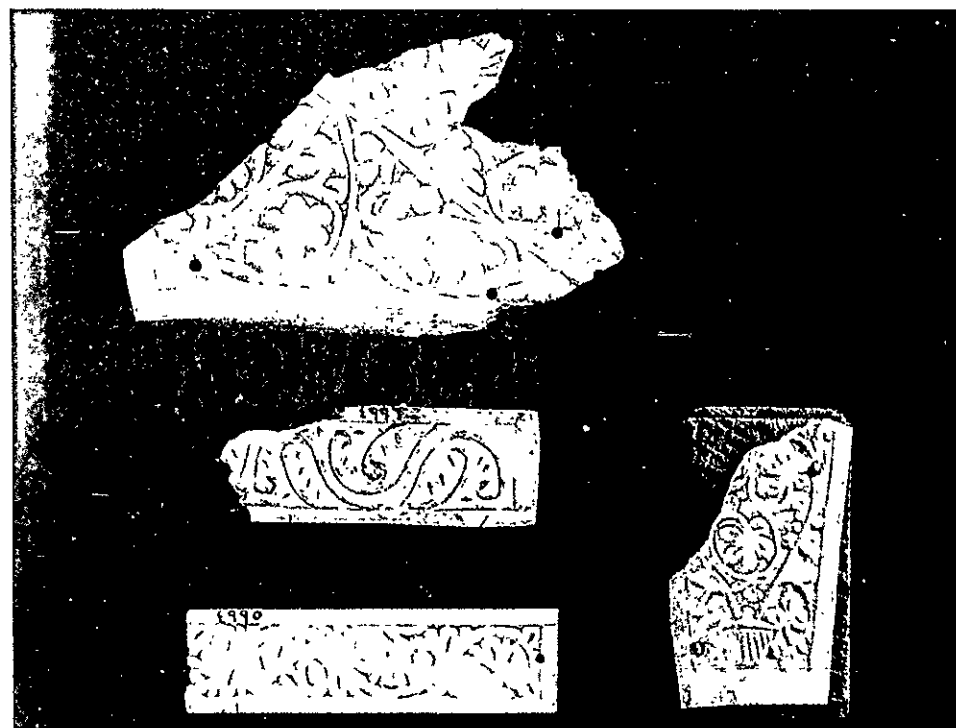
جہانگیر کے محلے



منحوتات چوب سے کی گئی ہیں۔



Fragments de bois sculptés. — مصنوعات من الخشب المنقوش



قطع مزخرفة من العظم والاحجار
Fragments d'os et d'ivoire.

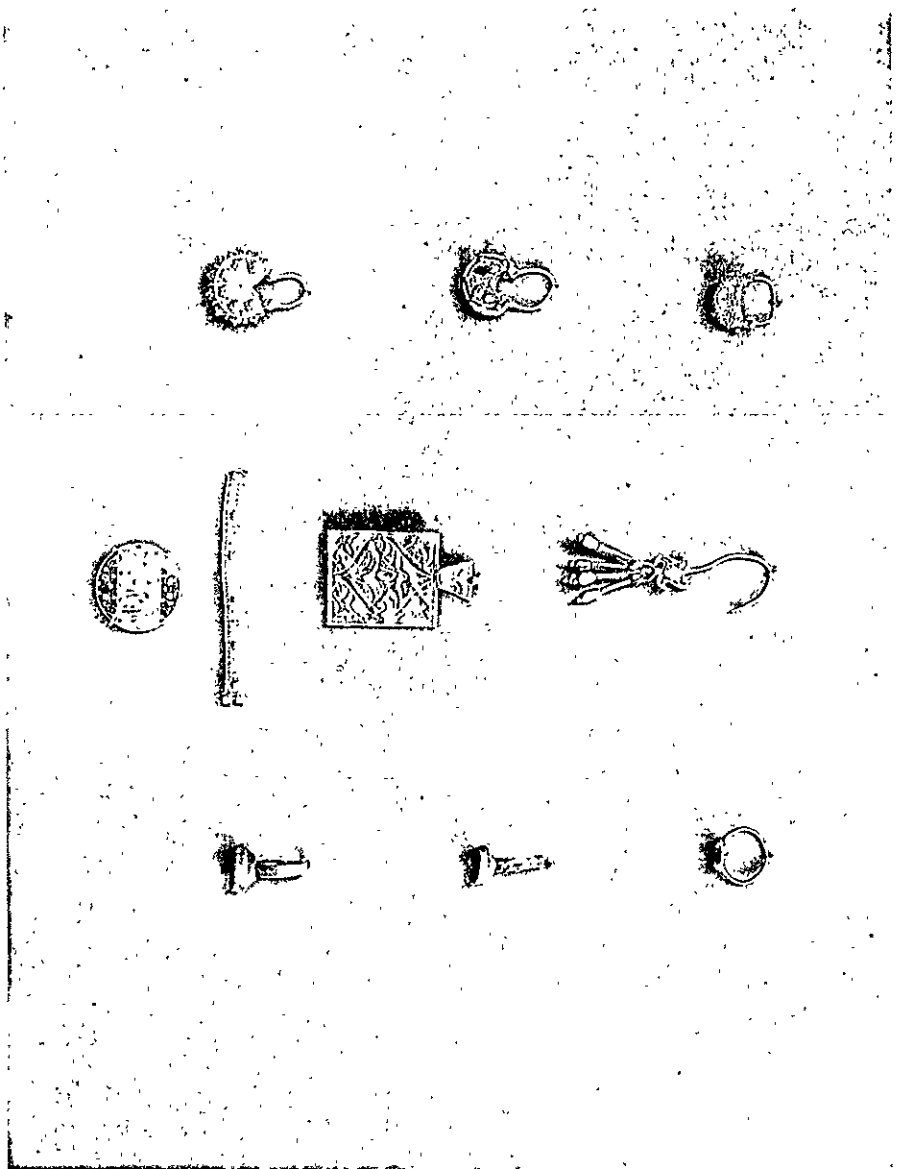
(Pl. XXIX.)

(رسم رقم ٢٩)



مصنوعات من النحاس — Objets en cuivre.

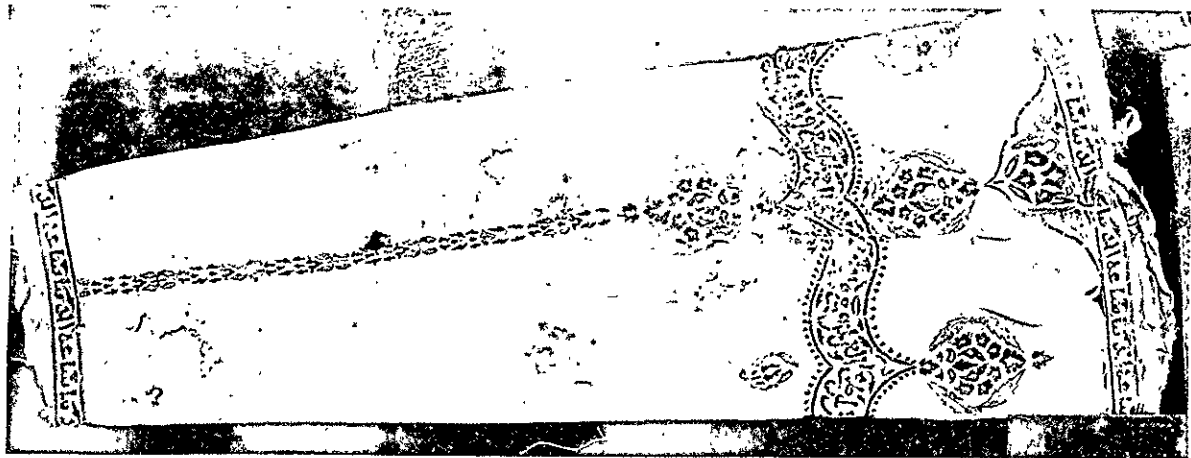
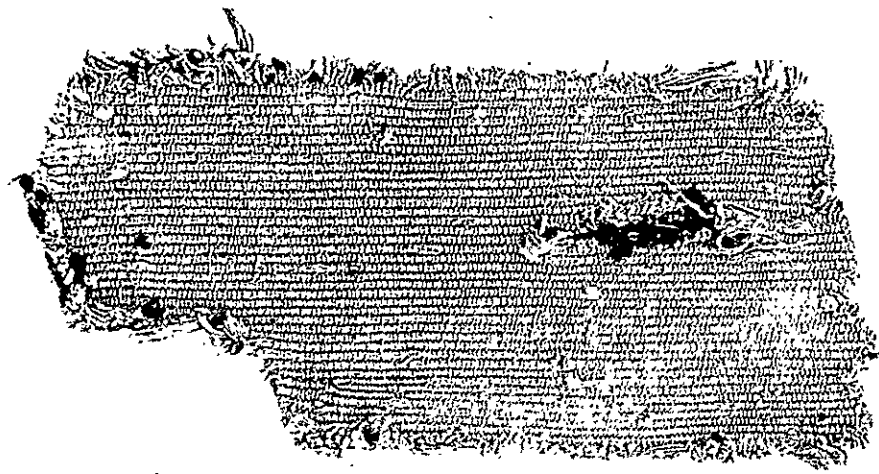
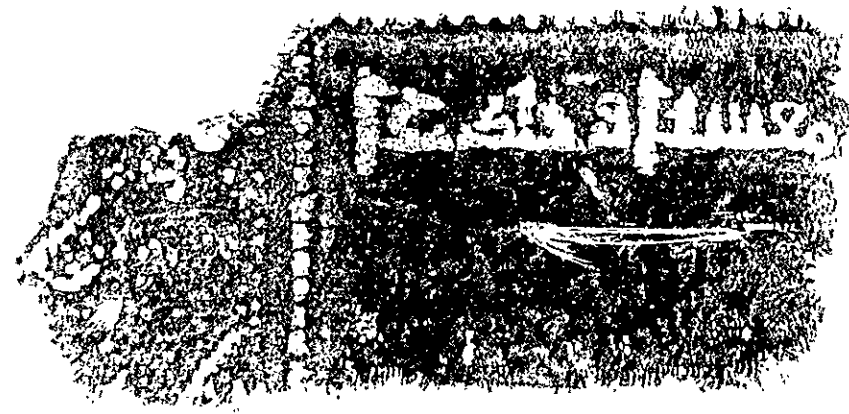
(Pl. XXX.)



(تصویر ۳۰۰)

مصنوعات من الذهب - - - - -
Objets en or.

۳۰۰



قطع من سجاد ونسيج - Fragments de tapis et de tissus.



قطع من الزجاج الممزه بالمينا -- Fragments de verre émaillé.